عثماني مسعود

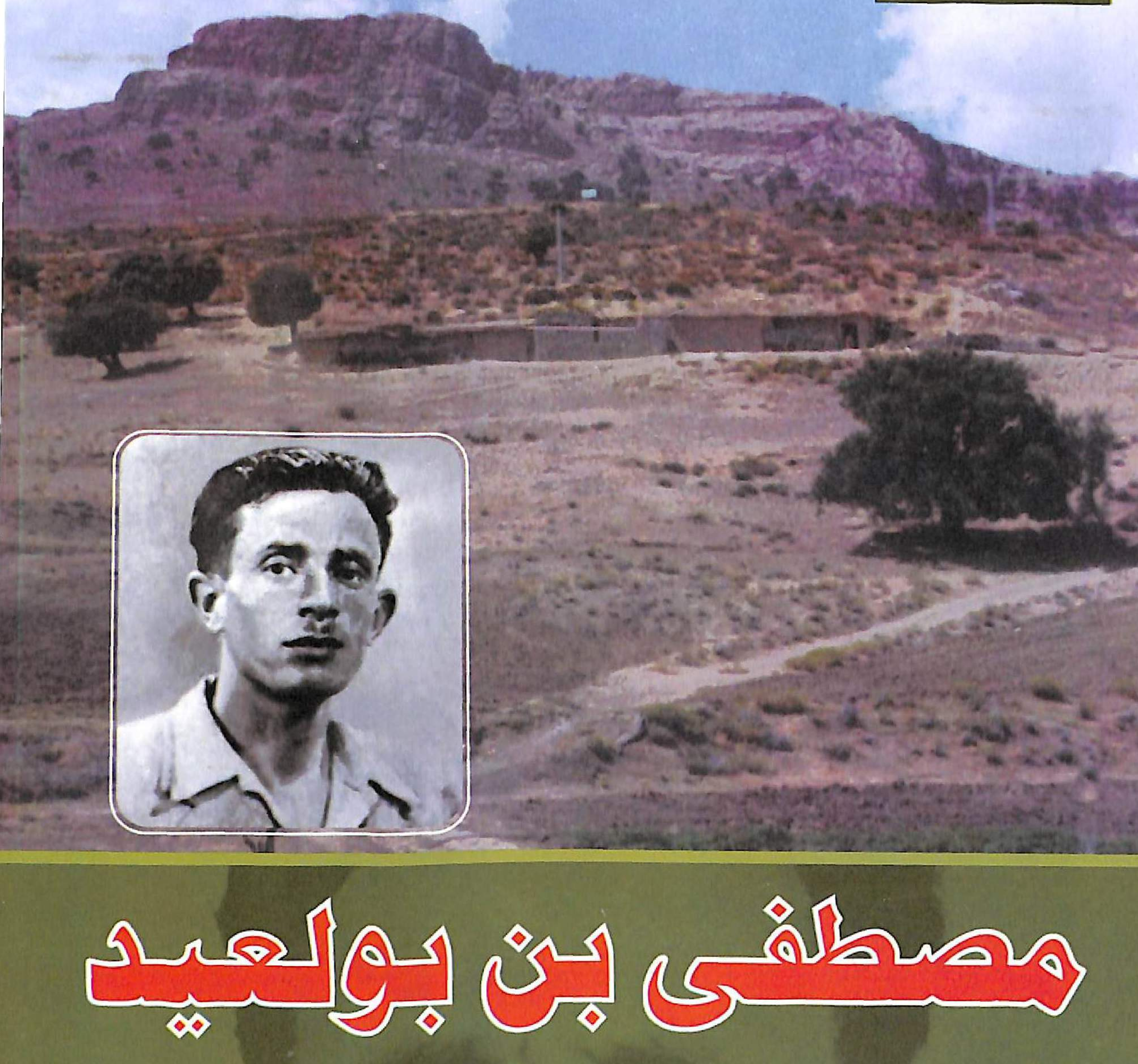

مصطفى بن بولعيد

مواقف و أحداث

الطبعة الرابعة

http://albordj.blogspot.com

مصطفى بن بولعيد

أحداث ومواقف

عثماني مسعود

مصطفى بن بولعيد

أحداث ومواقف

الطبعة الرابعة

منقحة ومزيدة ومدعمة بصور ووثائق

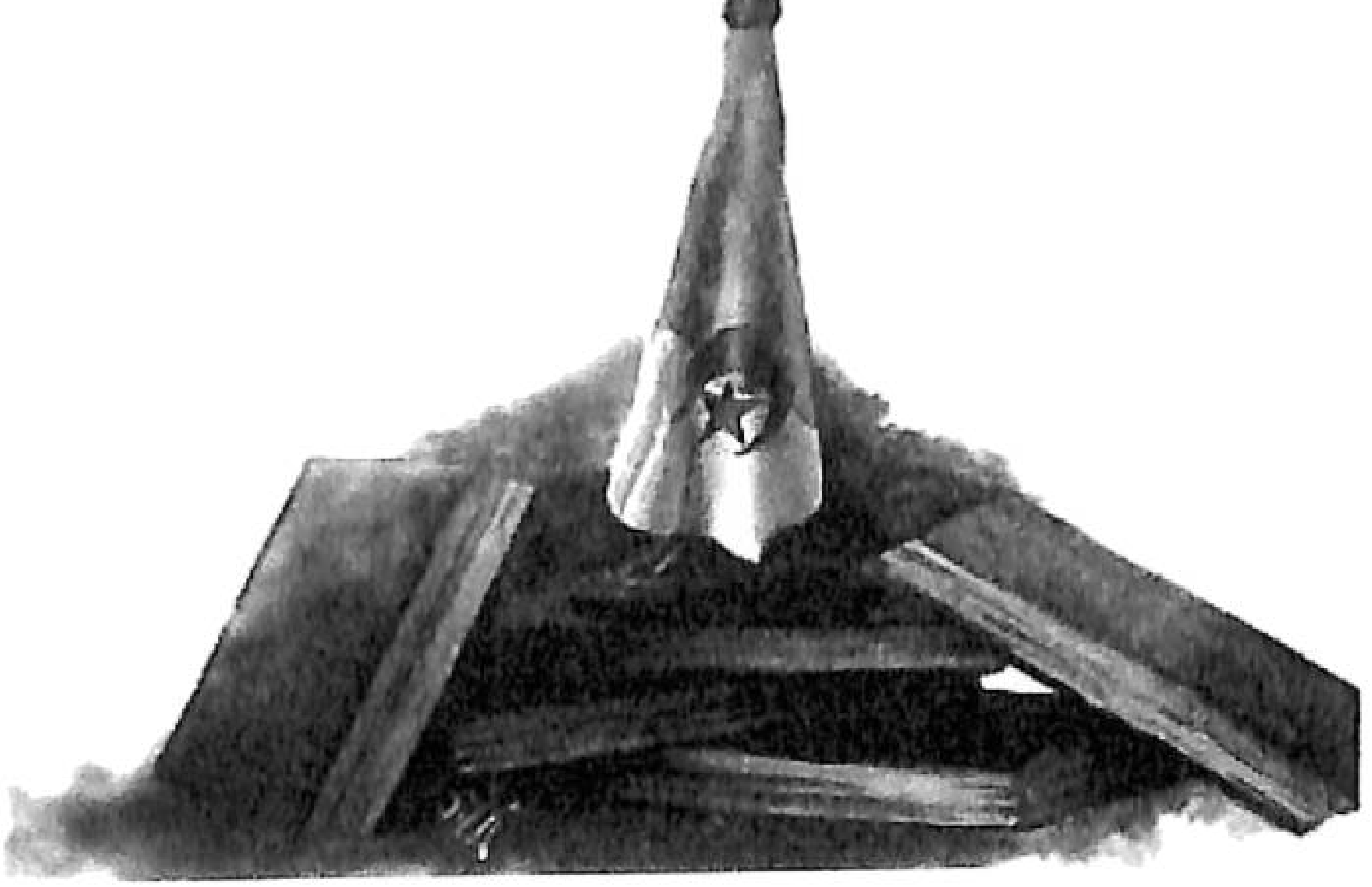

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

رقم الإيداع القانوني 2189 - 2005 المكتبة الوطنية

ردمك 0 - 0958 - 0 - 9947 - 978

طبعة
2013

تم الطبع بمطابع:

دار الهدى
للطباعة والنشر والتوزيع

المنطقة الصناعية ص ب 193 عين مليلة - الجزائر
الهاتف: 032.44.92.00 / 032.44.95.47
الفاكس: 032.44.94.18
web: www.elhouda.com
e-mail: darelhouda@yahoo.fr

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــداء

إلى والدي الشهيد: الصّالح عثماني شهيد الثورة التحريرية لسنة 1958م

إلى أخي الشّهيد: محمد عثماني شهيد الثورة التحريرية لسنة 1955م

إلى كل شهيد في هذا الوطن لا يُعرف له قبر يزار

إلى كل شهيد بذل روحه فداء هذا الوطن ولم يحظ بعد بالاعتراف

إلى كلّ شهداء هذا الوطن المفدّى

أهدي هذا الكتاب

المؤلـف

بسم الله الرحمن الرحيم

فاتحة الكتاب

تتجاذب كلّ من يحاول الكتابة في موضوع التاريخ الوطني قوّتان: قوّة العقل وقوّة العاطفة.

تدعوه الأولى إلى أن يتجرّد من الذات، وأن يأتي بالحقيقة على وجهها فتاريخ الأمم والشعوب ليس بالضرورة أن يكون كلّه صفحة بيضاء، بينما تحرّك فيه الثانية نوازعه وأحاسيسه الوطنية أو السياسية وتدفعه إلى كتابة تاريخ وفق ما تمليه عليه مشاعره، وقد لا يعكس ذلك مجريات الأحداث وتطوراتها فيفرط في الإطراء ويبالغ في الثناء إلى أن يأتي بخوارق لا يقبلها العقل ولا ترضاها الفطرة السليمة.

وقد يقتصر البعض على تسجيل أحداث ووصف وقائع وتتبع مسار حياة أشخاص كانوا محوريين في حلقة صراع مرير دار بين قوتين تنازعتا البقاء على هذه الأرض، قوّة ظلامية تجنح إلى العنف، وبه استولت على هذه الأرض وتسعى إلى استعباد شعب واحتوائه ضمن منظور استدماري توسّعي حاقد، واغتصاب وطن ذي سيادة معترف بها. وقوّة طلائعية فتيّة متفائلة ترفض منطق الإذلال والقهر والذوبان ضمن كيان مهجّن جمعته المصالح على هذه الأرض.

ولما كان علم التاريخ الحديث لا يكتفي عند تناول الأحداث التاريخية بسرد الوقائع والاقتصار عما حدث، فذلك شيء يسير، بل ينظر إلى ما حدث، وكيف حدث، ولماذا حدث، فيستوفي الموضوع حقّه.

وعليه، فقد حاولت أن أبرز ذلك في مواقف عديدة ومحطات مختلفة تعرض إليها الكتاب، بلا غلو ولا استطراد إلا ما دعت إليه الضرورة.

وإيمانا مني بأن هذا الاستقلال الذي ننعم به إنما جاء نتيجة تضحيات جسام لجيل كامل استفاق بعد الصّدمة – صدمة الاحتلال، وصدمة الهزائم المتلاحقة التي منيت بها الانتفاضات طوال قرن من الزمن، فهبّ لإنقاذ هذا الوطن من الاحتواء، وإنجاد بقية الشعب من الفناء.

وقد هيّأ القدر من هذا الجيل رجالا حاولوا بعث كيان هذه الأمة الموءودة وإحياء أمجادها، فنشطوا في العمل السياسي حينا من الدهر، أكدوا خلالها للمستعمر أن هذا الشعب متمسك بهويته الوطنية وبشخصيته، وأنه ليس فرنسيا ولن يكون فرنسيا ولو أراد ذلك.

ولما تبين لهم استحالة تحقيق الأهداف السياسية عن طريق الحوار، وثبت لهم بأن الاستعمار الذي يرفض الاعتراف بالشخصية الوطنية، يرفض الاندماج بين الشعبين، يرفض المساواة في الحقوق، يرفض حتى منح الجنسية الفرنسية للجزائريين حسب قانون فيوليت سنة 1936م القاضي بمنح الجنسية الفرنسية لنخبة لا تتجاوز المئات من الجزائريين - رغم معارضة الشعب لهذه المطالب التي تقدمت بها أحزاب معروفة على الساحة السياسية في تلك الفترة - إنما يهدف إلى إحياء فكرة العبودية وبعث أسواق النخاسة، والإبقاء على الجزائريين مجرد أدوات للإنتاج الرّخيص.

وقد استطاع الاستعمار أن يجنّد أتباعا من أبناء هذا الوطن فسلكوا سبيله أسماهم: (قيّادا وآغات وباشاغات وشيوخاً....) استحوذ عليهم الشيطان، فتنكروا لبني جلدتهم وعقيدتهم وكانوا خطرا ثانيا على هذه الأمة التي ذاقت منهم الويلات.

ولما ثبت لهؤلاء الوطنيين المخلصين ممن عشقوا الجزائر واتخذوا من النضال حرفة، عدم جدوى محاورة الاستعمار في موضوع الاستقلال الوطني راحوا يعملون في سرية تامة لإحياء الأمل، وبعث الثّقة في نفوس الجزائريين ويعدون لثورة شعبية شاملة ترفض كلّ حلّ لا تتضمّن بنوده جلاء الاستعمار وتحقيق الاستقلال الوطني، وقد نشط في هذا الاتجاه شباب متحمسون لا يؤمنون بالنضال الجامد وتقديم اللوائح والتوصيات والخطب الجوفاء ويُعَدُّون أقطابا في النضال المسلح لثورة نوفمبر 1954م الخالدة.

ومن بين هؤلاء الأقطاب الشّهيد: مصطفى بن بولعيد الذي حاولت أن أسجل في كتابي هذا - ما استطعت الوصول إليه بالبحث والتحقيق والمطالعة - بعضا من مواقفه ومحطات نضاله.

واختياري لهذه الشخصية ليس وليد الصّدفة، ولا من باب العاطفة، إنما جاء تقديرا منّي وإعجابا لما قدَّمه من جهد وجهاد وتضحيات جسام في زمن قصير نسبيا لا يتجاوز عقدا من الزمن.

فقد تفرّد بخصال قلّت مثيلاتها بين الرّجال.

- آتاه اللّه مالا وفيرا ومنزلة رفيعة بين الناس، فلم يقنع بما أوتي ورأى فيهما نعما زائلة فتاقت نفسه إلى العلا، وطلب المجد، فزهد في ماله وأنفقه بسخاء لصالح القضية الوطنية، وعندما شحت عليه الحركة بالمال رهن قسما من ممتلكاته ليشتري بثمنها السلاح للثورة.

- سخر ممتلكاته لخدمة القضية الوطنية فحوّل المزارع إلى مراكز للتدريب على استعمال السلاح وصناعة القنابل وملاجيء لإيواء الفارّين من مطاردات البوليس الفرنسي.

- نشط في جمع السلاح وكوَّن خلايا داخل وخارج التراب الوطني ظلت تنشط في نقل السلاح في سرية تامة من ليبيا وتونس إلى الأوراس إلى أن جمع ترسانة من الأسلحة في مستودع قرية الحجاج - المفخرة -، وبها كانت الانطلاقة الأولى للثورة.

- جمع بين النشاط الاجتماعي في النوادي والجمعيات الدينية، والنشاط السياسي والعسكري.

- نشر الوعي السياسي والفكر الثوري بين طبقة تُعدُّ الأدنى من حيث المستوى الفكري والمعيشي وألّف بين قلوبهم وجعل منهم قوّة أرعدت أوصال المستعمرين.

- سلك مسلك الاعتدال عندما احتدم الصّراع بين جناحي الحركة وظل على موقفه حتى آخر لحظة، وكان يأمل إقناع الحاج مصالي في الانضمام إلى المنادين بالثورة المسلحة، وعندما تبين له تصلب موقف المصاليين وفساد رأيهم انقطع عن حضور اجتماعاتهم، وكانت القطيعة بعدها نهائية.

- فضَّل العمل داخل الوطن ولم يفكر لحظة في الخروج منه إلا عندما اشتدت حاجته إلى السلاح فخرج وهو ينوي العودة إلى ميدان القتال في أجل قريب فكان أن ألقي عليه القبض، وكان سجنه وفراره ملحمة أخرى من ملاحم الثورة.

محامد الرجل ومكارمه أكثر من أن تحصى، وقد حاولت جهدي خلال هذا العمل المتواضع أن أدقّق في صحّة المعلومات وأوثّقها حتى تطمئن إليها نفس القارئ بعيداً عن العاطفة وعن الغلوّ وعن المقالات التي لا تستند إلى حقائق تاريخية ملموسة، فاتصلت بعدة أشخاص ومؤسسات التمست منها المساعدة بالوثائق في حدود الإمكانات المتوفرة، غير أن الكثير كانوا يقابلون عملي بالفتور وكلامي بالقول الزّور، فلم أستطع الحصول إلا على النّزر القليل القليل من المعلومات الموثّقة استقيتها من مراجع مختلفة ذكرت بعضها في آخر الكتاب.

وليس هذا كل نشاط الرجل، إنما هو غيض من فيض، وقطرة من بحر.

وكم كان بودّي أن أحصل على شهادة مدرسية من المدرسة التي درس بها، أو أجد محضرا من محاضر الاجتماعات التي كان يعقدها، أو أعثر على رسالة من الرسائل التي كان يبعث بها إلى أهله من السّجن - والتي وصفها الكتّاب الفرنسيون بالمؤثّرة، وكانت تعكس قناعة الرجل الذي لم يندم لحظة وهو في زنزانات الموت بسجن الكدية عما صنع - أو مذكرات اتهام أو أحكام وكل ما يحتاج إليه الباحث لكي ينجز عملا ذا شأن، لكن ذلك كان بعيد المنال.

وقد آليت على نفسي بأن لا أقتصر على سرد الأحداث التي صنعها ابن بو العيد أو كان محورا لها أو كانت هذه الأحداث ارتدادات لنشاطه الحزبيّ أو الثوري كما هو في كثير من الكتب، لكني أبديت رأيي في بعض المواقف معبّرا كذلك عمّا حدث، وكيف حدث، ولماذا حدث، في وضوح وصراحة، وحاولت كذلك تجنب أحداث لا طائلة من ورائها.

... ولا أَدَّعِي أخيرا أنّي قمت بعمل يستحق التقدير، لكني أزعم أنَّي قمت بمحاولة قد تثير شهية غيري للبحث والتنقيب عن مكارم رجال جاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل عزة هذا الوطن ومجد هذه الأمة.

وبالله التوفيق

المؤلف

عثماني مسعود

بوصالح 2 نوفمبر 2005

بسم الله الرحمن الرحيم

والصّلاة والسّلام على رسول اللّه وعلى آله وصحبه ومن سار على هديه إلى يوم الدين.

مقدمة الطبعة الرابعة:

لا يسعني مرة أخرى، وقد نفذت الطبعات الثلاثة من السوق تماما إلا أن أجدد شكري لعموم قرّاء الكتاب والمهتمين بالتاريخ الوطني، وبهذه الشخصية موضوع الكتاب خصوصا، وأمام إلحاح كثير من القراء، وتلبية لرغبتهم حول مسألة إعادة طبع الكتاب مرة أخرى، أعدنا مراجعة الطبعة الثالثة بالتنقيح والتهذيب والتصحيح، وأضفنا إلينا قليلا من الصور والوثائق كسندات تاريخية تؤكد صحة المعلومة.

أملنا أن تكون هذه الطبعة موفية بالغرض من وضع الكتاب مستجيبة لتطلعات القراء بالكشف عن جوانب ظلت مغمورة من حياة هذه الشخصية.

واللّه الموفق والهادي إلى سواء السبيل

بوصالح 24 ماي 2012

الباب الأول

الفصل الأول

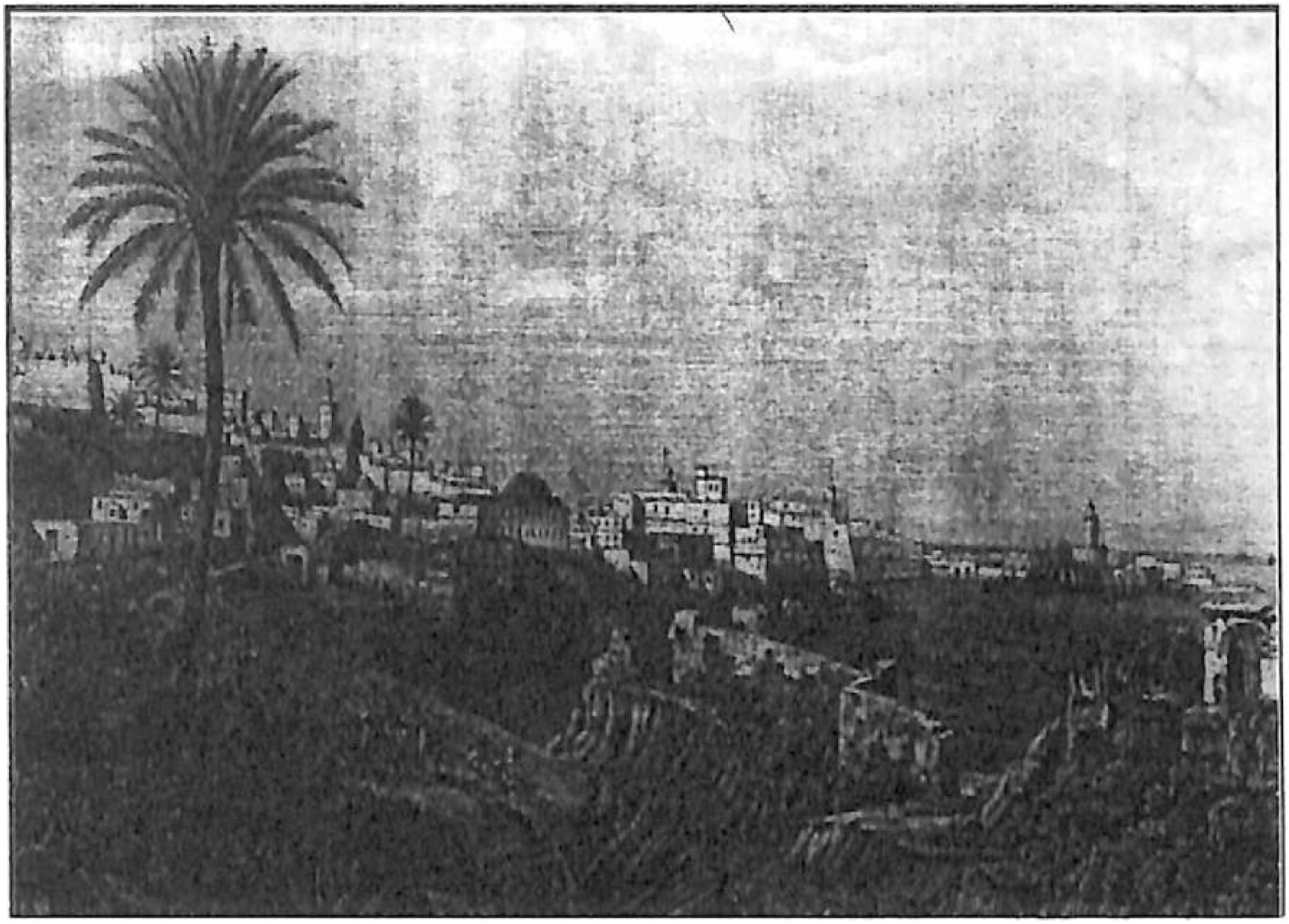

مدينة الجزائر قبل الاحتلال

الاحتلال الفرنسي للجزائر

كانت الجزائر أولى المستعمرات الفرنسية في إفريقيا، وكانت قبل ذلك ضمن أجزاء الامبراطورية العثمانية، وإن كان نفوذ السّلطان فيها اسميا بحتا، فقد كان الداي صاحب السّلطة والنفوذ الفعلي، وكانت الحكومة على جانب كبير من الفوضى وسوء التنظيم في الإدارة والتسيير. غير أنّ الأسطول الجزائري ظل محافظا على قوته بل كان يُعَدُّ من أقوى الأساطيل في البحر المتوسط. وكان كثير الإغارة على السّفن المارّة عبر مياه البحر ينهب متاجرها ويأسر رجالها مما اضطرّ هذه الدّول إلى عقد معاهدات مع الداي من أجل حماية تجارتها وأمن رعاياها، ورغم ذلك فقد ظل الأسطول الجزائري يغير على السّفن المارة عبر مياه المتوسط دون احترام لمعاهدة أو اتفاق.

وحادث المروحة الذي صفع فيه الداي القنصل الفرنسي بمروحة كانت في يده خلال محادثات جرت بينهما سنة 1827م، هو الذريعة الشكلية التي اعتمدت عليها فرنسا في هجومها ثم غزوها للجزائر، ولكن الحقيقة غير ذلك، فنوايا الاحتلال بدأت مع إعتلاء (لويس السادس عشر) الحكم في فرنسا، حيث كلف قنصله في الجزائر (دي كيرسي DE KERCY) سنة 1782 بوضع خطة لذلك، وقد بدأ هذا التفكير يتجسد أكثر عندما أمر نابليون الأول النقيب "بوتان" سنة 1808 بوضع الخطة في صيغتها النهائية. ولما كانت الحكومة الفرنسية التي كان يرأسها "بولنياك" آنذاك تريد إخفاء فشلها أمام المعارضة التي قامت بها جميع الأحزاب الفرنسية واشتدت ضغوطها حتى أوشك الحكم الاستبدادي الذي أقامه "شارل العاشر" أن ينهار، فأرادت الحكومة أن تُحْدِثَ ما يُلْهي الشعب ويصرف نظره عن الوضع السيّئ الذي وصل إليه الحكم.

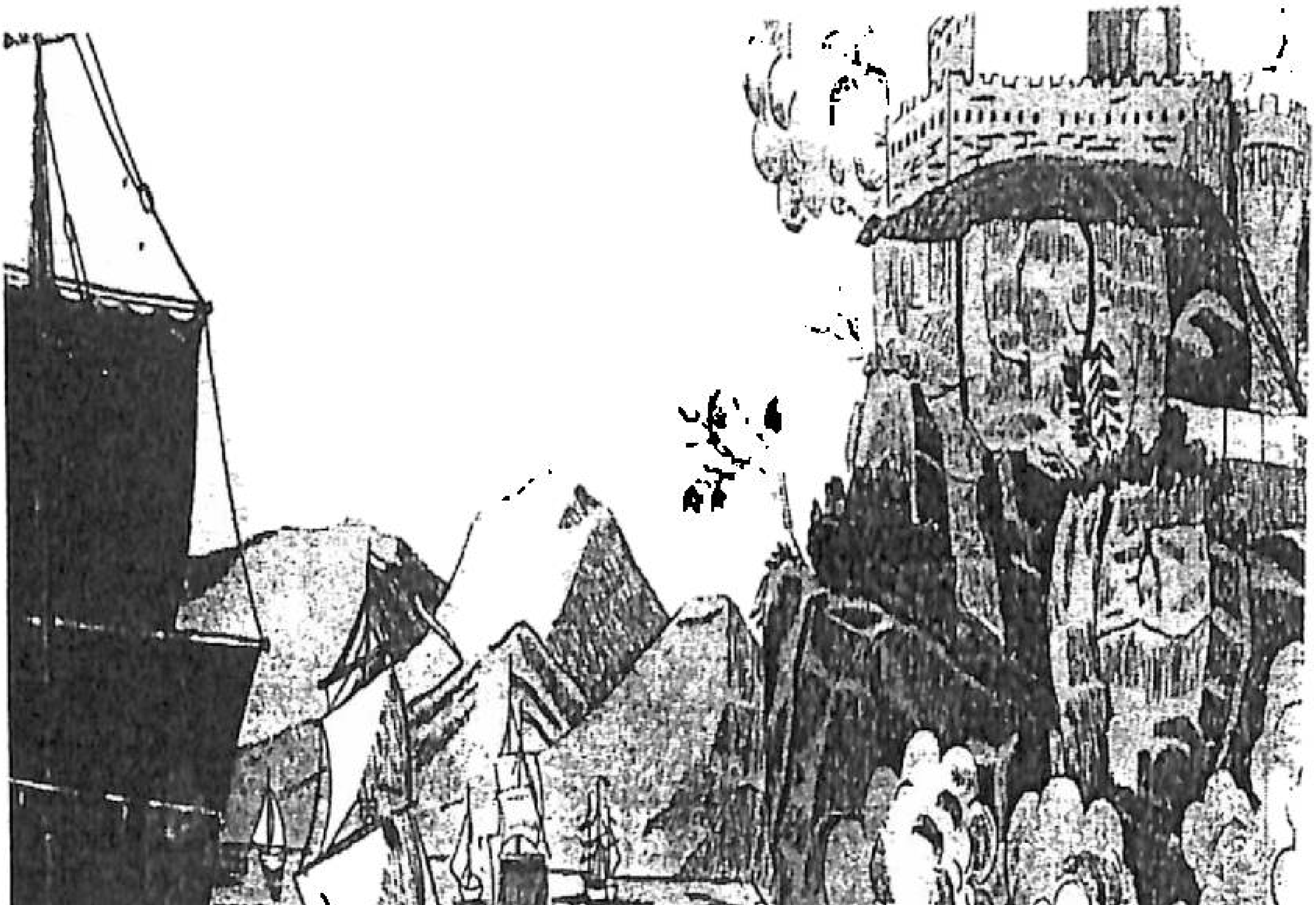

مدينة الجزائر – المرفأ – يوم 5 جويلية 1830.

ولمّا كان الأسطول الجزائري قد تمّ تدميره كليّاً تقريبا في معركة "نفرين" أثناء نجدته للأسطول العثماني ضدّ الرّوس سنة 1827م، فقد أمست الشواطئ الجزائرية مكشوفة، بالإضافة إلى أن الأسطول الفرنسي كان مقيّدا في ميناء طولون لا يبرحه بسبب عدم وجود قواعد فرنسية أو صديقة يتجه إليها، بينما كان الأسطول الأنجليزي يتنقل بين أجزاء هذا البحر الواسع دون متاعب، ولكن الحكومة الفرنسية ظلت تتردد، إذ خشيت أن تقحم نفسها في مشكلة تجهل عاقبتها والوضع الداخلي فيها يزداد تدهورا، فاتصلت بصديقها **محمد علي** في مصر وعرضت عليه الفكرة على أن يقوم بحملة بحرية برية على الجزائر تموّنها فرنسا ماليا وحربيا، وكاد الأمر ينتهي إلى اتفاق بينهما لولا أن الباشا علم أن انجلترا تعارض هذه الحملة فنكص على عقبيه، فلم تجد فرنسا بدّا من أن تقوم بهذه المغامرة وحدها(1)، ولكي يبرهن محمد علي عن وفائه وجميل صنعه لتحقيق مشروع فرنسا الاستعماري، بعث برسالة إلى الداي حسين مع بداية الغزو يدعوه إلى الاستسلام لفرنسا وعدم المواجهة، ملخصا رسالته في عبارة موجزة، ومضمون قاسٍ "استسلم فإنك لا تقدر".

فكان ردّ الدّاي مزيجا من المرارة والطّرافة في نفس الوقت فقد شعر بخيانة من كان ينتظر منه النصرة والتضامن، فحزّ هذا في نفسه وفاضت بعبارة لا تقل قسوة عما جاء في رسالة محمد علي، حيث ردّ عليه: "كل الفول واسكت"(2)

وبتاريخ 14 جوان سنة 1830م وصلت الحملة البحرية إلى "سيدي فرج" غرب الجزائر العاصمة، وبعد عشرين يوما من المقاومة تقهقرت القوات المشتركة - الجزائرية - التركية - التي كانت لها شبه حامية بالجزائر إلى الداخل

1) - استعمار إفريقيا للدكتور: زاهر رياض...الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة - 1965م
2) - عن كتاب: أصالية أم انفصالية للسيد: مولود قاسم نايت بلقاسم الجزء الأول. الصفحة: 181.

واستولت القوات المهاجمة على مدينة الجزائر، واضطرّ الداي إلى الإستسلام واللّجوء إلى إيطاليا. وحتى سنة 1834م لم تكن فرنسا قد استولت على أكثر من ثلاث مدن ساحلية منفصلة عن بعضها بسبب قوة المقاومة بقيادة والد الأمير ثم الأمير عبد القادر بعده.... شدّة القتال أكرهت فرنسا على أن تعترف بالأمير فعقدت معه أول معاهدة بتاريخ 26 فيفري 1834م.

نصت على اعتراف فرنسا بسلطة الأمير على المناطق الداخلية فاتخذ الأمير معسكر عاصمة له.

داي الجزائر حاج حسين

محمد علي (باشا) سلطان مصر

وفي سنة 1835م تجدّد القتال بين الفريقين بحجة طلب بعض القبائل الحماية من فرنسا، وكان القتال شاقا والحرب سجالا، فاضطرت فرنسا إلى الاعتراف بسلطة الأمير عبد القادر مرة أخرى وأبرمت معه معاهدة "تافنا" المشهورة في وادي (تافنا) في ماي سنة 1837م. غير أن القتال تجدّد مرّة أخرى سنة 1840م واستمر عنيفا طوال سبع سنوات طرد فيها الغزاة الفرنسيون إلى الساحل أكثر من مرة وتقهقر جيش الأمير وتراجع إلى الداخل أكثر من مرة. فلمّا شعر الأمير بتضعضع قوته لجأ إلى مراكش طلبا للنّجدة، فضغطت فرنسا على سلطان مراكش كي يطرد الأمير من بلاده وإلا تعرضت للغزو، فأمره السلطان بالخروج فاضطر إلى التسليم في آخر سنة 1847م، وكانت الوسائل الوحشية التي لجأت إليها الجيوش الفرنسية من حرق للقرى وتدمير للمداشر وتشريد للسكان وإتلاف للمزروعات، بل وإلى إحراق الناس أحياء وسدّ المغارات عنهم سببا في إضعاف قدرات الأمير واضطراره إلى الاستسلام، فألقت فرنسا القبض عليه وزجّت به في السّجن خمس سنوات إلى أن أفرج عنه الإمبراطور "نابليون الثالث" سنة 1852م، على أن يقيم خارج البلاد فاختار سوريا مقاما له، وظل بها إلى أن مات في 24 ماي 1883م وقد نقل جثمانه من دمشق إلى الجزائر بتاريخ 5 جويلية 1966، وظل الحكم العسكري طابع الإدارة الفرنسية في الجزائر حتى سنة 1870م حيث أعلنت الجزائر جزءا من فرنسا وجُعل لها نوابٌ يمثلونها في الجمعية الوطنية الفرنسية وحاكم مدني صوري.

الأمير عبد القادر
رمز المقاومة الوطنية

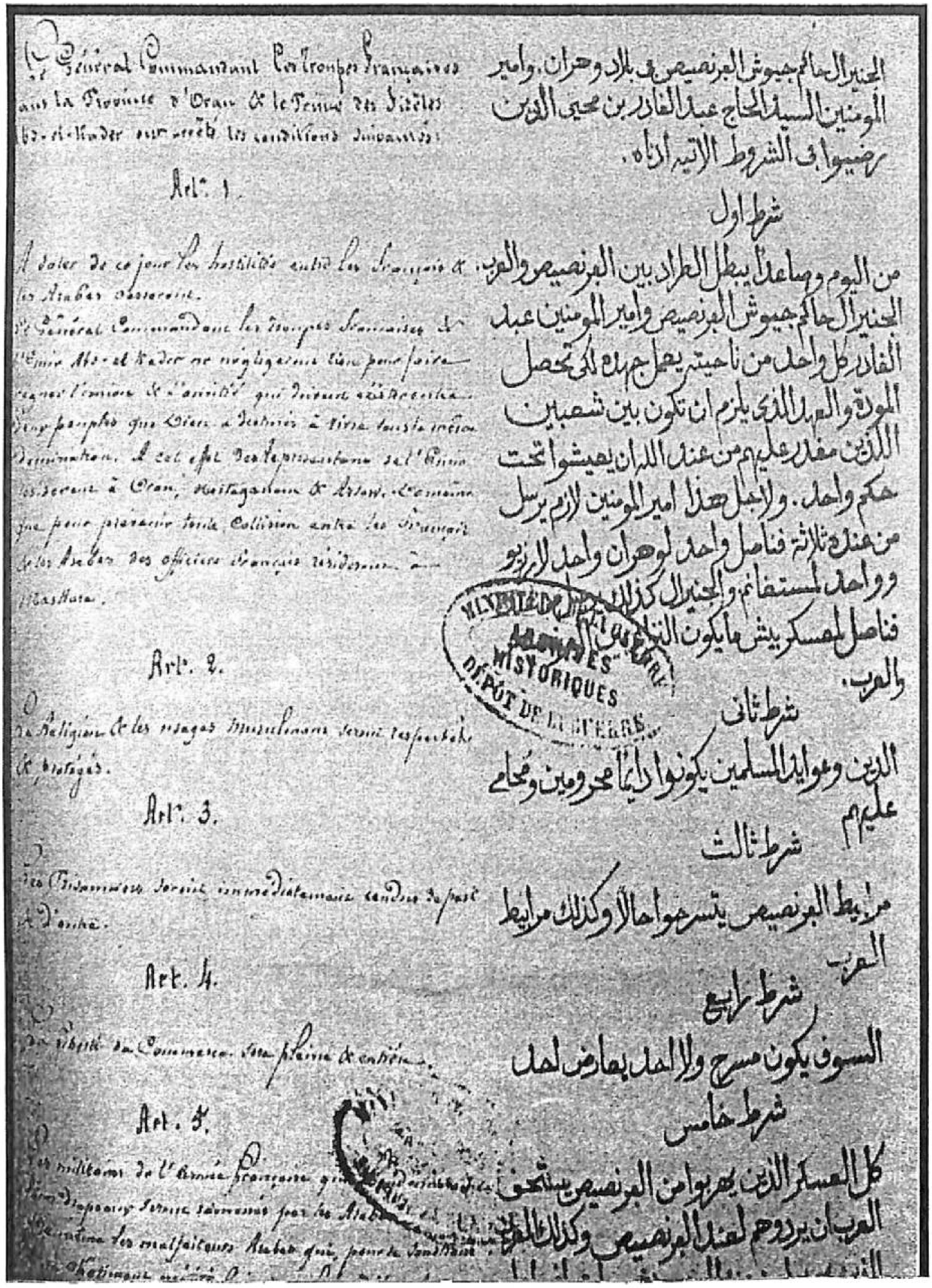

Le Général Commandant les troupes françaises dans la Province d'Oran & le Prince des fidèles Abd-el-Kader ont arrêté les conditions suivantes:

Art. 1.

A dater de ce jour les hostilités entre les Français & les Arabes cesseront.
Le Général Commandant les troupes françaises & l'Emir Abd-el-Kader ne négligeront rien pour faire régner l'union & l'amitié qui doivent exister entre deux peuples que Dieu a destinés à vivre sous la même domination. A cet effet des représentans de l'Emir résideront à Oran, Mostaganem & Arzew. De même que pour prévenir toute collision entre les Français & les Arabes des officiers français résideront à Mascara.

Art. 2.

La Religion & les usages musulmans seront respectés & protégés.

Art. 3.

Les prisonniers seront immédiatement rendus de part & d'autre.

Art. 4.

La liberté du Commerce sera pleine & entière.

Art. 5.

Les militaires de l'Armée française qui abandonneraient leurs drapeaux seront ramenés par les Arabes ...
... les malfaiteurs Arabes qui, pour se soustraire à un châtiment mérité ...

الجنيرال حاكم جيوش الفرنصيص في بلاد وهران وامير المومنين السيد الحاج عبد القادر بن محي الدين رضيوا في الشروط الاتيه اذناه.

شرط اول

من اليوم وصاعدا يبطل الطراد بين الفرنصيص والعرب. الجنيرال حاكم جيوش الفرنصيص وامير المومنين عبد القادر كل واحد من ناحيته يعمل جهده لكي تحصل المودة والعهد الذي يلزم ان تكون بين شعبين الذين مقدر عليهم من عند الله ان يعيشوا تحت حكم واحد. ولاجل هذا امير المومنين لازم يرسل من عنده ثلاثة قناصل واحد لوهران وواحد لارزيو وواحد لمستغانم والجنرال كذلك ... قناصل لمعسكر باش ما يكون ... الفرنصيص والعرب.

شرط ثاني

الدين وعوايد المسلمين يكونوا دايما محرومين ومحامي عليهم

شرط ثالث

مرابيط الفرنصيص يتسرحوا حالا وكذلك مرابيط العرب

شرط رابع

السوق يكون مسرح ولا احد يعارض لحد

شرط خامس

كل العسكر الذين يهربوا من الفرنصيص ... العربان يردوهم لعند الفرنصيص وكذلك ...

نص المعاهدة الموقعة من قبل الأمير عبد القادر والجنرال دي ميشال

مقتطفات من همجية الغزاة للكاتب
فريديريك أنجلز

وهذه مقتطفات تبيّن همجية الغزاة الفرنسيين والمقاومة العنيفة للسكان للكاتب: "فريديريك أنجلز" الذي تابع الغزو الفرنسي للجزائر وكان ينشرها في الجرائد في شكل مقالات جمعتها "نيو أميريكان سكويبيديا" ونشرتها في الجزء الأول من القاموس الشعبي سنة 1859م، وهو كاتب غير متعصّب وغير منحاز. يقول في واحدة من هذه المقالات: "منذ أن احتل الفرنسيون الجزائر وحتى اليوم، وهذا البلد البائس مسرحا لإراقة دماء لم تتوقف ونهب وأعمال عنف، وقد فتحت كل مدينة كبيرة أو صغيرة على التوالي مقابل تضحيات هائلة، وقد استهدفت القبائل العربية والقبائلية التي تقدر استقلالها فوق كل شيء والتي تجعل كراهية السيطرة الأجنبية مبدءا أغلى من الحياة ذاتها لحملات دمّرت خلالها مساكنها وحطمت ممتلكاتها، كما أتلفت مزارعها، وذهب الذين أفلتوا ضحية مذابح أو سلموا لمعاناة كل أنواع الفسق والتنكيل، وقد استمر الفرنسيون في استعمال أساليب الحرب البربرية هذه محتقرين كل مقاييس الإنسانية والحضارية ومقاييس المسيحية، وكتبرير صاروا يدّعون أن القبائليين شرسون وذوو نزوع إلى القتل وأنهم يعذبون مساجينهم وأن العفو اتجاه المتوحشين خطأ. ومن حقنا يقول الكاتب أن نشك في سياسة حكومة متحضّرة تلجأ إلى قانون طاليون[1]. وبحكمنا على الشجرة من خلال ثمارها فإن كل ما يمكن أن نقوله على الجزائر بعد أن صرفت عليها بضع مئات الملايين من الدولارات وضحّى لها بمئات الآلاف من الأرواح هو أنها مدرسة حربية للجنرالات والجنود الفرنسيين[2]".

---

1) – وقانون طاليون يعني تطبيق نفس العقوبة على المذنب سواء مارسها أو نوى ذلك.

2) – التعريف بالجزائر المحتلة عن مجلة آفاق عربية العدد: 52 لسنة 1974 الصفحة 47، ترجمة قادر. ب

ولبيان مدى جسامة هذه التضحيات والخسائر في الأرواح والهجرة إلى بلدان مجاورة، ومهما تكن نوايا هذا الكاتب أو ذاك فالإحصائيات الرّسميّة التي جرت في فترتين غير متقاربتين تكشف عن أرقام مذهلة لا يكاد العقل يصدّقها فحسب إحصائية رسمية للسيد: حمدان خوجة وهو الكاتب الأول للدّاي وأمين سرّه ومحافظ السكة والشخصية المثقفة اللامعة في ذلك العصر، أشار إليها في كتابه: مرآة الجزائر، فقد بلغ سكان مملكة الجزائر سنة 1830م – سنة الاحتلال – عشرة ملايين نسمة، وفي تقديرات رسمية للسلطات الاستعمارية جرت خلال سنة 1954م فإن سكان مقاطعة الجزائر الفرنسية يقدر بثمانية ملايين ونصف مليون نسمة. وتحت عنوان: "ثمن السيادة سبعة ملايين أين ذهبوا؟" كتب السيد: محمد باهي في صحيفة المجاهد الأسبوعية العدد: 559 الصادرة بتاريخ: 9 ماي 1971م تحليلا مفصلا كشف فيه عن النوايا المبطّنة للاستعمار الاستيطاني الذي كان يهدف إلى إفراغ الأرض من سكانها الأصليين وفق قانون الزّوال الحتمي للعنصر الأهلي المتخلف الذي لا يستطيع مواكبة الحضارة الغربية التي كان يدعيها السّاسة الغربيون، وبعض رجال الدين أمثال "لافيجري" وتشجيع المغامرين الأوروبيين للاستقرار بها وأشار في معطيات رقمية تضمنت إحصاءات فرنسية جزئية كالتي جرت سنتي 1851م، و1866م. أو شاملة كالتي وقعت خلال سنة 1872م إلى تناقص عدد السكان بشكل مستمر وبوتيرة سريعة نتيجة الحرب المفروضة على السكان من جهة، ونتيجة للأوضاع الاجتماعية المتردية للمواطنين بعد أن انتزعت منهم أراضيهم وهجّروا من ديارهم وشرّدوا في أماكن متفرقة يتقاسمون البؤس والشقاء وشماتة الأعداء من جهة أخرى، فقد انخفض عدد السكان حسب التقديرات الفرنسية من ثلاثة ملايين سنة 1830 إلى مليونين سنة 1845[1].

1) – محمد حربي الثورة الجزائرية "سنوات المخاض الصفحة 78.

ويعترف الكونت "لوهون" مقرّر لجنة البحث عام 1869م وبلغة لا تقل قساوة عن أسلوب حكومته في إبادة السكان بقوله: إن الأهالي هلكوا بسبب النظام المفروض عليهم وأن خسائر سنة 1868م (بسبب المجاعة) بلغت 4500.000 رأس من الغنم و217000 عربي، حيث اعتبر العرب والأغنام نفس الجنس، ويتساءل بموضوعية مصطنعة " لماذا يهلك العرب قبل أن يدخل أي تغيير على تركيبتهم، كانو يلبّون حاجاتهم من ناتج الأرض، وحينما أصبحوا شعبا من الخمّاسين بدون أراضٍ ولا مخازن للحبوب صار رجالهم وأطفالهم ونساؤهم يموتون من الجوع في ضواحي مراكز الاستيطان لقد ماتوا دون أن يجأروا بالشكوى[1].

وأمسى هؤلاء المواطنون عرضة للعراء والجوع والأمراض الفتّاكة "كالكوليرا والتّيفوس" بلغت حدّتها خلال سنوات: 1866 - 1867 و 1877 - 1878. أن صار النّاس في بعض المناطق من الوطن يمشون حفاة عراة كالحيوانات، وقد اضطر بعضهم إلى أكل اللحوم الآدمية بعد أن أشرفوا على الهلاك. حدث هذا كله بعد أن أحرقت قراهم وانتزعت منهم أراضيهم ومنحت إلى المتشردين والمغامرين الوافدين من أوربا، ومن وجدوا أنفسهم خارج القانون واعتبروا في أعداد المجرمين، حيث استقدمتهم فرنسا وقدمت لهم كل التسهيلات لإقامة مجتمع أوروبي العنصر فرنسي الجنسية جزائري الموطن. فلقد تمت أول عملية استيطان رسمية في الجزائر سنة 1832م، حيث وصلت إلى مدينة الجزائر سفينة تحمل 400 ألماني وسويسري، قسمتهم السلطات الفرنسية إلى قسمين: أحدهما في القبة، والآخر في دالي إبراهيم، ومنحت لهم الأراضي ووفّرت لهم شروط الإقامة والأمن، ولم تمر سنة واحدة حتى بلغ عدد المستوطنين 8000 نسمة وذلك قبل نهاية سنة 1833م، وعندما أصدرت الحكومة الفرنسية مرسوما

1) - جريدة المجاهد الأسبوعية الصفحة: 25 - العدد: 559 - السنة: 1971.

سنة 1834م ينص على أن الجزائر جزء من التراب الفرنسي تضاعفت الهجرات وظهرت التجمعات الأوربية في المدن وفي الأراضي الزراعية خاصة، وأنشئت أول قرية استيطانية في بوفاريك سنة 1836م، وهكذا تواصل الاستيطان واستمرّ التوسّع ونهب أراضي السكان الجزائريين وتشريدهم، واتّخذ الاستعمار من المستوطنين حزاما أمنيّا واقياً ضدّ المقاومة وورقة مساومة في أيّة مفاوضة.

وقد استمرّت المقاومة بعد الأمير عبد القادر لكن بصورة متقطّعة عبر أجزاء التراب الوطني، ولم يكن التوسّع الاستعماري داخل البلاد بالأمر الهيّن. فقد عملت فرنسا أوّلا على إسقاط الحكومة وتحطيم مؤسّساتها الرّسمية حتى تصبح الأمّة بلا قيادة فتعمّ الفوضى ويسهل تشريد السكان وتشتيتهم، ولما تحقق لها ذلك راحت تهاجم الموانئ والمدن الرئيسية لمنع النجدات المحتملة وقطع موارد الدّعم التي يمكن أن تأتي عبر البحر، ثم أخذت تسدّد الضّربات إلى المجتمعات القبلية في الداخل كلّ على انفراد، ولمّا وجدت بأن بعض القبائل تدافع عن حياضها وليس عن الوطن ولا عن شرف الأمّة، راحت تغري ضعاف النفوس وتستميلهم إليها لمناوأة إخوانهم وبني جلدتهم، غير أن المقاومة ظلّت مستمرّة في كامل أرجاء البلاد، فما إن أخمدت فرنسا انتفاضة الزعاطشة بواحة طولقة ومقاومة ابن سالم بجرجرة حتى قامت ثورة بوبغلة سنة 1851م، ولالّة فاطمة نسومر سنة 1854م فجردت لهما فرنسا حملات تلو حملات وفرقا عسكرية ضخمة بلغ تعدادها 45 ألف رجل وعلى رأسهم ثلاثة جنرالات وهم: بيجو وراندون وجوزفين، والمارشال: ماكماهون. وبعد مقاومة عنيفة واقتتال ضار وقعت لالّة فاطمة نسومر في الأسر بقرية الخميس بتاريخ 10 جويلية 1857م، واستشهدت في سبتمبر ببني سليمان سنة 1863م. غير أن أعنف ثورة وأوسعها نطاقا بعد مقاومة الأمير عبد القادر كانت ثورة أولاد سيدي الشيخ، وقد بدأت سنة 1864م واستمرّت إلى

غاية 1904م، حيث جرت في ميدان للفروسية وجد فيه الفارس الجزائري فضاءا واسعا لإظهار براعته في ميدان الفروسية، وامتدت عبر أرجاء واسعة من الصحراء تحت قيادات وزعامات مختلفة أبرزها الشيخ: بوعمامة. استدرج الثوار خلالها المحتلين إلى أعماق الصحراء، وانقضُّوا عليهم في أكثر من موقعة، وبعد 40 عاما من المقاومة والصمود ومواجهة قوة بلغ تعدادها 100 ألف عسكري فرنسي، خمدت هذه الثورة، واشتعلت خلالها ثورة المقراني سنة 1871م، وثورة الأوراس الأولى سنة 1879م، وثورة جيجل سنة 1871م. وهكذا تواصلت المقاومة دون توقف في أرجاء البلاد كالشرارات ما إن تنطفئ شرارة حتى تندلع شرارة أخرى مثلها أو أعنف منها. غير أن هذه الانتفاضات باءت بالفشل جميعها ولم تحقق الكثير، وإن برهنت للمستعمر بأن هذا الشعب يرفض الاحتواء ولا يقبل الذوبان، وسيظلّ متمسّكا بشخصيته رغم المحن. فقد كان الاستعمار يقابل كل انتفاضة بمنتهى القسوة يدمّر القرى ويتلف الممتلكات ويعتدي على الحرمات ويحرق الناس أحياء(1)، فخمدت تلك الثورات فترة قصيرة امتدّت ما بين الحربين العالميتين لتتيح المجال للعمل السياسي والنضال السلمي.

وقبل أن أختم هذا الفصل القصير أنقل للقارئ هذه الرسالة لمثقف فرنسي هو الدكتور ساغو... صدرت في 2 مارس 1833م وقد نقلها الدكتور عبد القادر جغلول، في كتابه (الاستعمار والصراعات الثقافية في الجزائر) وترجمها إلى العربية الأستاذ سليم سطون ص 158 ف3. لأوضح للقارئ شكلا من أشكال الحضارة التي جاءت بها أمة متمدنة لشعب متوحش! وله أن يحكم.

يقول الدكتور ساغو:

1) – فقد أقدم الجنرال "روفيقو" قائد الحملة الفرنسية يوم 6 - 4 - 1832م على إحراق قبيلة بكاملها في قرية العوفية كما قام "بليسي" بالمثل مع قبيلة " أولاد رياح" بتاريخ 11 - 6 - 1849م.

بطل انتفاضة 1871
الحاج المقراني

الشيخ بوعمامة بطل
المقاومة وفارس الصحراء

علمت بالطرق العامة أن بين العظام التي تستعمل لصناعة الفحم الحيواني توجد عظام تعود إلى الجنس البشري على متن النفير المسمّى "جوزفين" الطيبة والآتي من مدينة الجزائر محمّلا بالعظام... تعرفت على عظام عديدة تشكل أجزاءًا من هياكل عظمية بشرية، رأيت فيها جماجم وعظام فخذ من طبقة الكهول، وقد انتزعت حديثا من الأرض وبها بقايا أجزاء لحمية..." لم يكن يجب السماح بشيء كهذا... إن وجود مصافي السكر في مدينتنا "مرسيليا" قد لا يتهدّد بالقرف الذي أخذ الناس يبدونه لمادة يدخل في صنعها الجسم البشري[1]".

1) - مجلة التراث لجمعية التراث والتاريخ بباتنة - العدد: 1 الصفحة: 69 - 70.

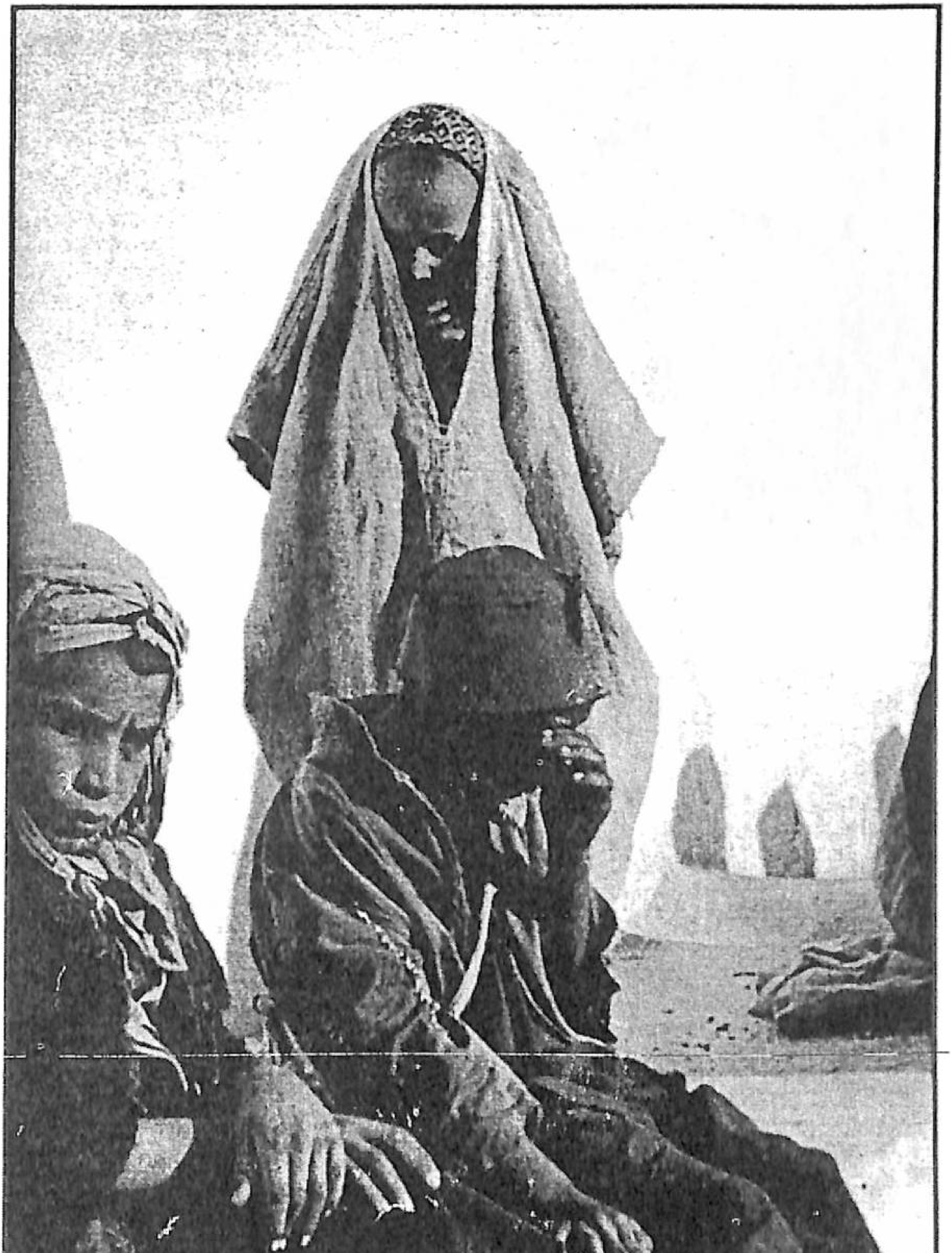

نماذج صنعتها حضارة جاءت بها أمة متمدنة – فرنسا –
لشعب متوحش! بؤس، وفقر، وتشرد، وأوبئة

الباب الأول

الفصـــل الثاني

ظهور الأحزاب السياسية

يعتبر الأمير خالد حفيد الأمير عبد القادر الجزائري الذي عاد إلى وطنه رفقة أبيه هشام بعد ضمانات تعهد بها للسطات الاستعمارية أول من أيقظ الوعي القومي والنضال السياسي في الجزائر خلال هذه الفترة بعد فترة من الركود، فما إن أكمل الأمير دراسته الثانوية حتى انخرط ضمن القوات المسلحة الفرنسية حيث دخل كلية "سان سير" العسكرية وتخرج منها برتبة ضابط، خاض مع ربع مليون جزائري أكرهوا على القتال دفاعا عن فرنسا أهوال الحرب العالمية الأولى، ورقي خلالها إلى رتبة "نقيب".

الأمير خالد بن هشام عاد إلى وطنه وزرع في قلب أهله الأمل

عاد الأمير إلى وطنه بعد أن وضعت الحرب أوزارها، واتصل بعدة شخصيات وطنية (أعيان ومثقفون ومهتمون بالعمل السياسي) وقاموا بتحرير عريضة قُدِّمت إلى مؤتمر السلام بباريس سنة 1919م، وقد تضمنت الوثيقة مطالب صريحة تدعو إلى الاستقلال الوطني، غير أن المؤتمرين خيبوا آمال الشعوب المستعمرة وجعلوا من مؤتمرهم مؤتمراً لتوزيع الغنائم وتكريس الاحتلال، وليس مؤتمراً لتحرير الشعوب وإزالة الهيمنة عنها، ويعترف للأمير خالد بمكرمة تظل خالدة مخلّدة لجرأته ووطنيته، كما خلدت من قبل اعتزازه بنسبه العربي، فقد كان يردد دوما "أنا عربيّ وسأظل عربيًا".

فقد برز بين الصفوف أثناء زيارة الرئيس الفرنسي "ملران" إلى الجزائر، وارتجل كلمة اهتزّ لها الحاضرون، وتجاوبوا معها بالتصفيقات الحارة وزغاريد النسوة، دعا فيها إلى الاعتراف بالشخصية الوطنية والاستقلال عن فرنسا. ضايق نشاطه السياسي الحاكم العام في الجزائر فأمره بالرحيل إلى أي بلد يختاره، فاختار الاسكندرية، وما إن حلّ بها حتّى عرّج إلى أوربا، ومنها إلى فرنسا بالذات حيث توجد أكبر جالية جزائرية ليواصل نضاله السياسي، فراح يهزّ الضمائر الحية ويحرّك النفوس الجامدة في أوساط العمال الجزائريين ويوقظ في نفوسهم الحس الوطني ومشاعر الحقد والكراهية للجور والظلم وينبههم إلى معاناة مواطنيهم في بلدهم الجزائر، واستطاع أن يحرك الضمائر الحية لدى فئة المهاجرين ويعقد ملتقى بتاريخ: 7 - 12 - 1924م، وكان أن بعث المجتمعون في آخر اللقاء برسالة تهنئة إلى الزعيم المغربي: عبد الكريم الخطابي بعد انتصاره في معركة "أنوال" على الاسبان، فاعتبرت فرنسا هذه الرسالة تهديدا غير مباشر لها.

وقد كان لهذه الحركة العمالية أثرها الإيجابي في إيقاظ المشاعر الوطنية وتوحيد الصف والإحساس بالمصير المشترك للمهاجرين في فرنسا، وبعد أن فرضت على الأمير الإقامة الجبرية في مصر تزعّم هذه الحركة: عبد القادر بن الحاج علي بمساعدة مصالي الحاج، وكان لها صدى عميقا وواسعا في أوساط العمال فتجاوبوا معها وانتشرت في أرجاء فرنسا حيث تنتشر الطبقات العمالية في التعدين وفي الصناعة والزّراعة، ولما وجد منشطو هذه الحركة تجاوبا إيجابيا من قبل العمال عقدوا

الحاج مصالي

مؤتمرهم الأول خلال شهر مارس 1926م أعلنوا فيه عن تأسيس "حزب نجم شمال إفريقيا" يضمّ الحزب مناضلين من دول شمال إفريقيا المستعمرة من قبل فرنسا، وإن اختلفت الظروف السياسية لكل بلد عن البلد الآخر، وأول من اختير رئيسا لهذا الحزب هو السيد: محمد جفال، وأبرز شخصية فيه والذي ارتبط اسمه باسم الحزب فيما بعد هو: الحاج مصالي، وكان مصالي عضوا في الحزب الشيوعي الفرنسي – الحزب الوحيد الذي كان يسمح للجزائريين بالنشاط السياسي بين صفوفه باعتبار أفكاره أفكار أممية. فوجد الشباب الجزائري فيه متنفّسا إلا أنه لم يحقق لهم أمانيهم في الحرية المنشودة وفي الكرامة، ولمّا توجّه الحاج مصالي إلى الجزائر لتوسيع قاعدته النضالية رفضوا التجاوب معه كونه ينتمي إلى حزب شيوعي غير مقبول بل ومرفوض عند الشعب الجزائري المتمسك بعقيدته الدينية. اعتقل مصالي مدة سنتين خلال سنتي 1933 - 1935م، وبعد الإفراج عنه عاد إلى النشاط السياسي من جديد. حيث عقد زعماء حزب: نجم شمال إفريقيا اجتماعا بمدينة " نانتير" الفرنسية يوم 11 مارس 1937م، وأسسوا حزبا جديدا سمي بحزب" الشعب" – ثوب جديد وأفكار قديمة – وقد ساندهم أعضاء الحزب داخل الوطن، وفي شهر جوان من نفس السنة انتقل مقر هذا الحزب إلى داخل الوطن واستقبله الشعب بحماس كبير حيث انخرط الآلاف منهم في الحزب في ظرف قصير وعلى مستوى كامل التراب الوطني.

غير أن هذا الحزب حُلَّ بدوره بعد سنتين من العمل العلني وتم تجميد نشاطاته وبالتحديد بتاريخ 25 جويلية 1939م.

ولما علم الاستعمار أن عناصره يمارسون نشاطهم في السرّ شنّ حملة اعتقالات مسّت عناصر هذا الحزب. وهكذا تمّ اعتقال زعيمه ومحاكمته في محكمة عسكرية بالجزائر بتاريخ 28 مارس 1941م والحكم عليه بـ 16 سنة

سجناً إلا أنه أفرج عنه بعد سنتين، ولم يعد للجزائر إلا في سنة 1946م ومنع من زيارة المدن الكبرى. اجتمعت بعدها جميع الإطارات التي كانت تنشط في هذا الحزب وأجمعت على مواصلة النضال السياسي.

واحدة من المجازر الرهيبة التي ارتكبها الاستعمار في ماي 1945

ومن هنا، وبعد أحداث 8 ماي 1945م التي أكّد فيها الاستعمار همجيته، وأثبت إصراره على تصفية الحركات الوطنية بدأ النضال يأخذ منعرجا آخر وبدأ التفكير في اللجوء إلى العنف يلوح في الأفق وظهرت أفكار جديدة في أوساط المناضلين ترفض سياسة الخطب والبيانات والتنديدات الجوفاء، رغم وجود جناح في الحزب لا زال متمسكا بالنضال السياسي والحوار مع المستعمر، وقد جنح مصالي - رئيس الحزب - إلى هذا التيار المهادن والداعي إلى الحوار والسلم، وهو ما لم ترضه فئة الشباب ذات النزعة الثورية والتي ترفض أسلوب الخطب الرنانة والبيانات المذلة التي لا تزيد المستعمر إلّا تعنّتا واستكبارا في الأرض. "فما أُخذ بالسّيف لا يُستردّ إلّا بالسّيف"، فظهرت إلى الوجود منظمة شبه عسكرية سمّيت "بالمنظّمة الخاصّة"، وهي تمثل الجناح العسكري لحركة الانتصار

والحريات الديموقراطية منذ منتصف فيفري سنة 1947م، تعمل تحت أوامر الحركة ووفق توجيهاتها، وقد أسندت رئاسة هذه الحركة على التوالي إلى كل من: محمد بلوزداد ثم آيت أحمد ثم أحمد بن بلّة، وكان الهدف من إنشاء هذه المنظّمة هو الإعداد للعمل المسلّح، وراحت تمارس نشاطاتها في سريّة تامّة. وكان القانون الداخلي الذي سنّ لهذا التنظيم صارما بحيث لا يسمح لأيّ شخص انتسب إلى المنظّمة أن يستقيل منها، وأثناء قيام عناصر من المنظّمة بتبسّة ليلة 18 - 19 مارس 1950م قيادة رحيم خياري[1] وأحمد لورس اللذين عبّرا عن رغبتهما في الانسحاب من المنظّمة لأسباب لم يفصح عنها المؤرّخون[2] بعد إلى مجلس التأديب فرّ رحيم خياري وسلّم نفسه إلى جهاز الأمن الاستعماري وذلك ليلة: 18 - 19 مارس 1950م وباح لهم بكل ما يتعلق بالمنظمة السرية، فشنّت فرنسا حملة اعتقالات واسعة سنة 1950م، ولولا أن الكثير من المناضلين والعناصر النشيطة كالقائمين على التأطير والتدريب على استعمال السلاح كانو يحملون أسماء مستعارة لكان الخطب أعظم، ولم تنج من المناطق المختلفة عبر التراب الوطني إلّا الأوراس التي لم يتمكّن الاستعمار من القبض على أي عنصر من عناصرها، ولو اكتشفت المنظّمة في هذه المنطقة لتأخرت الثورة عن موعدها سنوات أخرى. وقد كانت منطقة الأوراس في البداية تحت مسؤولية عبد القادر العمودي ثم أسندت إلى مصطفى بن بولعيد.

1) - وقد ورد باسم عبد القادر خياري في كتاب: الثورة الجزائرية في عامها الأول، للدكتور: العربي الزبيري ص 80.

2) - لا تزال الأسباب الحقيقية التي أدت إلى انكشاف المنظمة الخاصة غامضة حتى إن بعض المؤرخين يتهمون قيادة حركة الانتصار - المرجع السابق -

تضاريس المنطقة وقساوة الطبيعة واستبداد المستعمر وهيمنته أكسبت أهلها الصلابة والعناد وجعلتهم يتمسكون بالنهج الوطني أكثر، وجعل من المنطقة ملجأ للأحرار وملاذا للعناصر المطاردة من قبل البوليس الاستعماري وبخاصة إطارات هذه المنظمة، وقد وفّر لهم مناضلو هذه المنطقة وعلى رأسهم مصطفى بن بو لعيد ظروف الإقامة والأمن فعاشوا بأسماء مستعارة في الأوراس خلال سنوات 1950م – 1951م – 1952م، ولما لم تكن الحركة الوطنية التي ينتسب إليها هؤلاء المناضلون قادرة على أن تجد لهم حلّا مناسبا يخفّف من معاناتهم، بل دعتهم إلى تسليم أنفسهم للسلطات الاستعمارية بنية التخلص منهم...... راح هؤلاء المناضلون يفكرون في إيجاد تنظيم جديد قويّ يكون بديلا عن الحركة التي انتموا إليها، فقد سيطر عليها الجمود وطغى على أسلوب عملها المنهج التقليدي القائم على الخطب الجوفاء وعقد المؤتمرات وتنظيم اللّقاءات وتحرير البيانات والتوصيات وعندها يتوقف كلّ شيء...

تنظيم يكون أكثر حيوية ونشاطا يتجاوز الخلافات القائمة بين عناصر الحركة والتي أدت إلى تمزيق وحدة الصف (لا مصاليون ولا مركزيون). وهكذا ظهر تنظيم جديد يحمل اسم: **اللجنة الثورية للوحدة والعمل.** وهدف هذا التنظيم هو محاولة التوفيق بين جناحي الحركة المتصارعين وفي حالة الفشل يجري الإعداد للعمل المسلح، ولم يكن إنشاء هذا التنظيم مجرد مناورة سياسية بهدف صرف الأنظار عن النشاطات التي ستقوم بها العناصر الفاعلة في هذا التنظيم، في ظرف يتميز بالتشنج التام بين جناحي الحركة، وبالتكتل بين بعض العناصر في هذه الأجنحة. وقد وجد الاستعمار الفرصة سانحة للتغلغل في أوساط الحركة ومراقبة نشاطاتها. فحسب "جان فوجور" مدير إدارة الأمن: أنه ومنذ

شهر أفريل 1954م. كانت التّقارير تصله بأن شيئا ما بصدد الإعداد، وأن مجموعات من شمال إفريقيا تتدرب في مصر[1].

وقد أسّسه كلّ من: "محمّد بوضياف، مصطفى بن بولعيد، محمد دخلي، ديدوش مراد، بوشبوبة رمضان"، وذلك بتاريخ 23 مارس 1954م، وهي حركة لا تحمل بعدا سياسيا جديدا أكثر واقعية، لكنها تحمل مشروعا يتماشى والطموحات ذات النّزعة الثورية، حركة تجنح إلى العنف لمواجهة العنف، وتؤمن فقط بالعنف الثوري وسيلة وأداة لاسترداد الحق الضائع وقد أصبحت هذه قناعة الأغلبية في الحركة بعد أحداث 8 ماي 1945م التي كانت بمثابة منعرج حاسم في مسار العمل السياسي، إذ أثبتت فرنسا الاستعمارية وحشية نادرة الحدوث في مذابح شملت الآلاف من الجزائريين والتمثيل بهم، ذنبهم الوحيد أنهم خرجوا في هذا اليوم كبقية شعوب العالم إلى الشارع حاملين رايات الدول المنتصرة في الحرب ضدّ النازية والفاشية ومعها العلم الجزائري ليذكّروا فرنسا والدّول الديمقراطية بوعودها خلال الحرب. ولم يكن منظر العلم الوطني ولا المسيرات غير المرخص بها هما وحدهما اللذان أثارا حفيظة الفرنسيين جنودا ومستوطنين فصنعوا ما صنعوا، بل إن هذه الأعمال الوحشية كان قد خطط لها من قبل. فحسب الشيخ: محمد خير الدّين نائب ثان لرئيس جمعية العلماء المسلمين أن الدكتور: سعدان أخبره، كما أخبر أيضا السيد: فرحات عباس بأن عامل عمالة قسنطينة (استراد كاربونال ESTRADE KARBONAL) أسرَّ إليه عندما كان في مكتبه يوم 25 أفريل 1945م للقيام ببعض الأعمال التي تخص دائرته الانتخابية، بأنّ أحداثا خطيرة سوف يشهدها هذا الوطن، وستكون لها آثار وخيمة العواقب[2]، وهكذا تبلورت فكرة العمل المسلّح لدى أغلبية المناضلين وأمسى قرار الحرب ضد المستعمر هو الخيار الوحيد، فقدْ فَقَدَ معظم

1) - محمد حربي - الثورة الجزائرية، سنوات المخاض الصفحة 28.

2) - عن مذكرات الشيخ: محمد خير الدين، الجزء الثاني، الصفحة: 19.

المناضلين الأمل في أي حوار مع المستعمر الذي لا يؤمن سوى بمنطق القوّة وحدها. وبعد تفكيك المنظّمة السريّة وتشتيت عناصرها وتشريدهم في الداخل والخارج برزت ضرورات أخرى تدعو إلى الإسراع في إعادة تنظيم هذه العناصر وتشكيل حركة ترفض الجمود السياسي الحالي وتنبذ الخلافات من أجل المناصب وتجعل المصلحة العليا للأمة الجزائرية فوق كل اعتبار، فاجتمعت في المرادية طائفة من مناضلي المنظمة الخاصة (السرية) وبالأحرى كوادرها بتاريخ 24 جوان 1954م سميت فيما بعد بجماعة 22 وسمي الاجتماع باجتماع 22، وهو عدد العناصر الذين حضروا الاجتماع وبعد نقاش عميق سادته الصّراحة والوضوح، أجمع الحاضرون على قرار يعتبر نقطة تحوّل في تاريخ الحركات الوطنية ومنعطفا خطيرا في مسار الأحداث السياسية للبلاد. قرار يدعو للتعبئة العامة والاستعداد للمقاومة المسلحة، ولم يكن هذا الإجماع عملاً ارتجاليًا أو قرارًا بدون مقدّمات، إنما جاء بعد دراسة جادة لجملة من النقاط أعدّتها اللجنة الخماسية(1) لتعرض على المدعوين وتتعلق عموما بالوضع السائد في البلاد.

صحيح أن الإجتماع جرى في جو حماسي طغى عليه الاندفاع والعنف الثوري إلا أن القرار كان حكيما، وقد أملته المعطيات السياسية الوطنية والإقليمية والدّولية السائدة آنذاك.

وقد أسفر النقاش الطويل عن ظهور اتجاهين متفقين من حيث المبدإ لكنهما مختلفان من حيث التوقيت.

الاتّجاه الأول: يدعو إلى الشروع في العمل المباشر لتجاوز الخلافات الهامشية التي سادت الوسط السياسي في البلاد.

---

1) – تتألف اللجنة الخماسية من: محمد بوضياف، مصطفى بن بولعيد، ديدوش مراد، العربي ابن مهيدي، رابح بيطاط.

الاتّجاه الثاني: يؤمن بفكرة العمل المسلح لكنه يرى أن وقته لم يحن بعد، وخوفًا من ضياع فرصة قد لا تعوّض واحتمال ظهور تصدّع بين أوساط هذه الطليعة الرائدة الحاملة لأحلام هذه الأمة وآمالها. وقف بوجمعة السويداني، وقد ضاق ذرعًا بما كان يظنه مماطلة ويراه تهربا من المسؤولية التاريخية لأصحاب الاتجاه الثاني، وقد اغرورقت عيناه بالدموع، وتساءل: هل نحن ثوريون حقا؟ فإذا كان الأمر كذلك، وإذا كنا صادقين مع أنفسنا فماذا ننتظر للقيام بالثورة؟ فقطعت مداخلته المؤثرة هذه قول كل خطيب. ولم يبق بعدها مجال للكلام أو التردد أو طلب التريث.

وقد أجمع المؤرخون على أن عناصر اللجنة الخمسة هي التي حضرت لهذا الاجتماع، وهي التي وجّهت الدعوة لهؤلاء المناضلين.

كما أجمعوا على أن ابن بولعيد هو الذي ترأس هذا الاجتماع بصفته الشخص الوحيد الذي كان يتمتع بعضوية اللجنة المركزية - حسب ما يراه الدكتور العربي الزبيري في كتابه: الثورة في عامها الأول. بينما تولى محمد بوضياف مهمة المقرر العام.

غير أنهم اختلفوا في طريقة تعيين لجنة التنسيق والتنفيذ، فبعضهم يرى أن ذلك قد تم عن طريق الانتقاء والتزكية، ويرى آخرون أن المجتمعين كلفوا محمد بوضياف بتعيين هذه اللجنة، وفي كلتا الحالتين فإن جماعة قسنطينة - كما سميت فيما بعد - لم ترض بالنتيجة فقرّرت الانسحاب[1] [2].

---

1) - جماعة قسنطينية هم: 1 - عبد السلام حباشي، 2 - سعيد بوعلي، 3 - رشيد ملاح، 4 - حميدة يوسف، 5 - عبد الرحمان كراس.

2) - يرى بعض الكتاب بأن معارضة ممثلي قسنطينة لا مبرر لها سوى رفضهم المشاركة في الإنتفاضة / حربي ص: 61.

واختلف المؤرخون كذلك في الطريقة التي تم بها الاقتراع وفي الشخص الفائز كمسؤول وطني، ولست أدري لماذا هذا الاقتراع مادام هناك إجماع من حيث المبدإ على أن التسيير يكون جماعيًا.

وهناك نقطة أخرى لم يجتمع عليها رأي المؤرخين والمتعلقة بعدد العناصر وأسماء المشاركين في هذا الإجتماع. ونقطة الخلاف هنا حول أسماء ثلاثة عناصر، وهم: يوسف حدّاد، عبد القادر خليفي، إلياس دريش، ومردّ ذلك أن الكثير من هؤلاء كانوا يحملون أسماء مستعارة، ومع مرور الزمن اشتهروا بهذه الأسماء إلى أن غلبت على أسمائهم الأُصلية، كما أن الظرف الذي وقع فيه الاجتماع والجوسسة النشيطة في تلك الفترة تستدعي التكتم التام وعدم الإفصاح عن الأسماء الحقيقية، حتى أن الكثير من الذين شاركوا في هذا الإجتماع لا يعرفون بعضهم البعض.

ويبدو أن لجنة التنسيق والتنفيذ التي تتألف من نفس العناصر التي قامت بالترتيبات اللازمة لعقد الاجتماع، قد تمت تزكيتها باعتبارها اللجنة المسؤولة والمديرة لهذا الاجتماع، وطريقة التزكية معمول بها في حزب الشعب الذي ينحدر من صلبه جميع هؤلاء المناضلين، ومادام الإجماع قد حصل، فإن هذه اللجنة الخماسية ثم السداسية بعد أن انضم كريم إليها هي التي ستولى التنسيق والتنفيذ والتمثيل وإصدار القرارات، وضبط مختلف العمليات.

وقد عكفت هذه اللجنة منذ إنشائها على دراسة أهم القضايا التي يمكن أن تعرقل إنطلاق الثورة في موعدها، أو التي يمكن أن تدعم مسار الحركة وتقوّيه في سلسلة من الاجتماعات أهمها: الاجتماع الذي انعقد في دار مراد بوقشور الكائنة بحي (بوانت بيسكاد) رايس حميدو حاليا بتاريخ 23 - 24/ 10/ 1954م.

وقد درس أعضاء اللجنة الستة في هذا الاجتماع.

1) - اقتراح حزب جديد بدل اللجنة الثورية للوحدة والعمل ذات المهمة المحدودة والتي حلّت نفسها خلال شهر جويلية 1954م بعد أن أدّت مهمتها.

2) - تحديد مصادر تمويل هذه الحركة. 3) - تحديد تاريخ اندلاع الثورة.

4) - وضع بيان أول نوفمبر في صيغته النهائية. 5) - تحديد الأهداف الأولى للثورة.

وقد حضر الاجتماع كل من:

1) - مصطفى بن بولعيد الذي أعملُ بتواضع على تسجيل بعض من مواقفه ومحطات نضاله خلال مسار حياته بالإضافة إلى:

2) - محمد بوضياف 3) - ديدوش مراد 4) - العربي بن مهيدي

5) - رابح بيطاط 6) - كريم بلقاسم

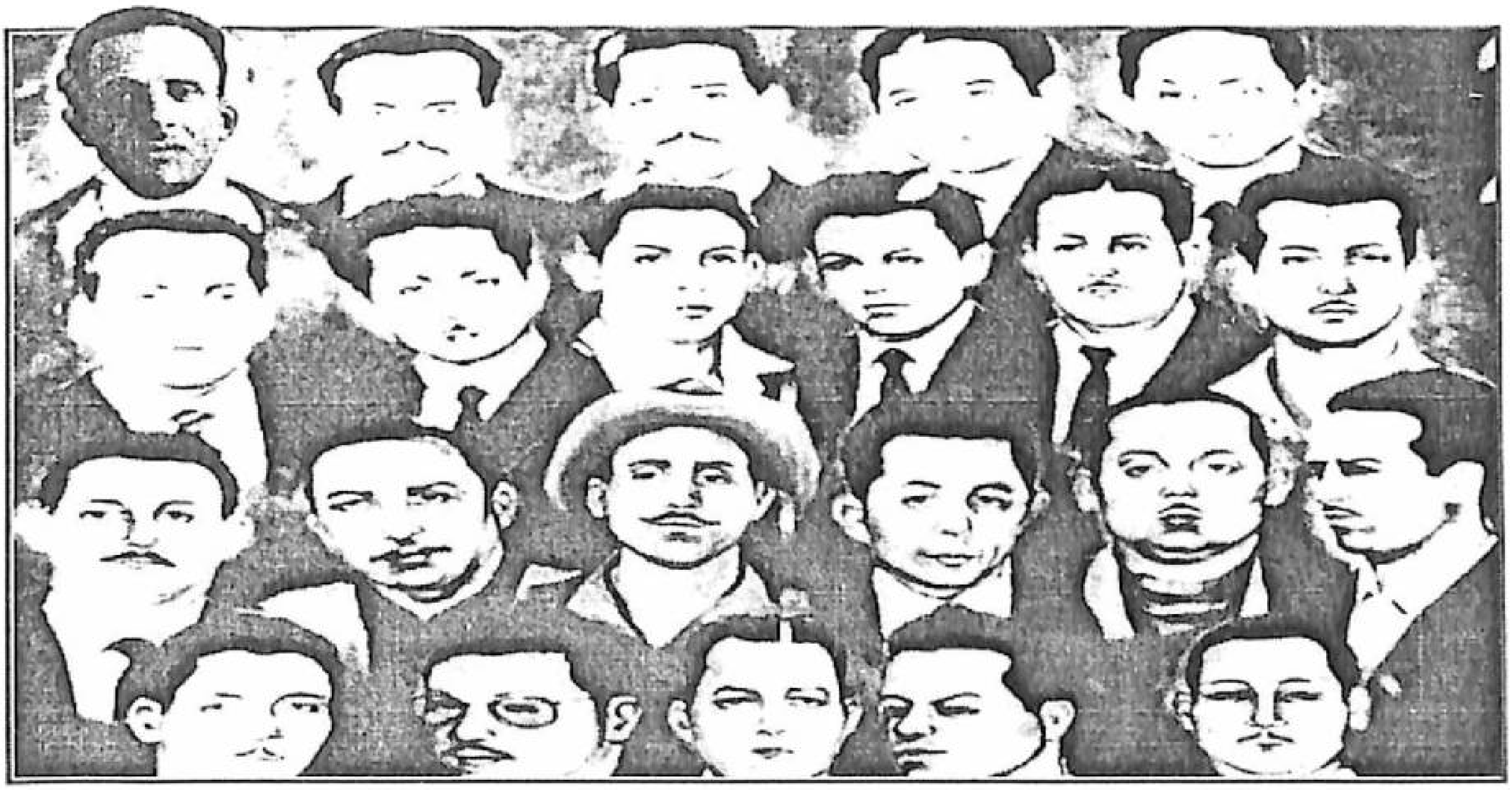

جماعة 22 أنصار العمل المسلح

جماعة 22 أنصار العمل المسلح

اللقب	الإسم	التمثيل	المهام التي تقلدها خلال الثورة
باجي	مختار	سوق أهراس	تولى إدارة العمليات في ناحية سوق أهراس استشهد 18 -11- 1954
بوعجاج	الزبير	الجزائر	أسر في شهر نوفمبر 1954
مشاطي	محمد	قسنطينة	لم يبرز خلال مرحلة الكفاح المسلح
ابن مهيدي	العربي	عين مليلة	عيّن على رأس المنطقة (5) استشهد في مارس 57
ابن بولعيد	مصطفى	الأوراس	عيّن على رأس المنطقة (1) استشهد يوم 23 - 3 - 1956
ديدوش	مراد	الجزائر	عيّن على رأس المنطقة (2) استشهد يوم 18 - 1 - 1955
ملاح	سليمان (رشيد)	قسنطينة	استشهد خلال سنة 1956 في ظروف غامضة
ابن عبد المالك	رمضان	قسنطينة	عين نائب لقائد المنطقة (5) استشهد يوم 4 - 11 - 1954
باوزداد	عثمان	الجزائر	أسر خلال شهر نوفمبر 1954
بوعلي	السعيد	قسنطينة	استشهد خلال سنة 1956 في ظروف غامضة
حباشي	عبد السلام	عين مليلة	لم يبرز خلال مرحلة الكفاح المسلح
بوضياف	محمد	مسيلة	أسر في حادث الطائرة يوم 22 - 10 - 56 اغتيل يوم 29 - 6 - 92
سويداني	بوجمعة	قالمة	كان ينشط في المتيجة إلى أن استشهد يوم 17 - 4 - 56
ابن طوبال	لخضر	ميلة	قاد الولاية الثانية بعد ديدوش وزيروت
زيروت	يوسف	سمندو	تولى قيادة المنطقة (2) بعد ديدوش استشهد 23 - 9 - 1956
بوشعيب	أحمد بلحاج	وهران	أسر خلال شهر سبتمبر 1955
ابن عودة	عمار/ مصطفى	عنابة	عمل في الولاية (المنطقة) الثانية ثم انتقل إلى تونس
بيطاط	رابح	قسنطينة	عيّن على رأس المنطقة (4) أسر يوم 23 مارس 55
العمودي	عبد القادر	بسكرة	لم يبرز خلال مرحلة الكفاح المسلح
بوصوف	عبد الحفيظ	ميلة	تولى قيادة الولاية (5) بعد استشهاد ابن مهيدي
مرزوقي	محمد	الجزائر	لم يبرز خلال فترة الكفاح المسلح
دريش	صاحب المنزل		

القادة التاريخيون الستة:
محمد بوضياف - مراد ديدوش - مصطفى بن بولعيد
- رابح بيطاط - العربي بن مهيدي - بلقاسم كريم

أعضاء لجنة التنسيق والتنفيذ (تراجم)

» ولد رابح بيطاط سنة 1925 بعين الكرمة (قسنطينة)، وانضم إلى حزب الشعب خلال الحرب العالمية الثانية. عضو في المنظمة الخاصة، شارك في تأسيس جبهة التحرير الوطني. سلطات الاحتلال أخذت تلاحقه ابتداء من 1954، عيّن على رأس المنطقة الرابعة واعتقل يوم 23 مارس – 1955، أطلق سراحه مع زملائه الأربعة عشية وقف إطلاق النّار. ساند ابن بلّة في مؤتمر طرابلس 1962. وأصبح عضوا في المكتب السياسي لجبهة التحرير الوطني، لكنه انسحب وأيّد انقلاب 19 جوان 1965، يعين وزيرا للدولة سنة 1965 ثم وزيرا للنقل سنة 1972 ورئيسا للمجلس الوطني. توفّي يوم 4 أفريل 2000.

ولد كريم بلقاسم عام 1922 في عائلة ريفية في منطقة ذراع الميزان (تيزي وزو). انخرط في حزب الشعب بعد 1945. قاد تمرّدا مسلّحا في جبال القبائل حتى عام 1947. حكم عليه بالإعدام مرتين. ابتداء من فيفري 1954 يبرز كريم بين المنادين بالكفاح المسلح. كان أحد مؤسّسي جبهة التحرير الوطني وانفصل عن حزبه (حركة الانتصار) بعد مؤتمر هورنو 1954. عيّن على رأس المنطقة الثالثة وقادها بنجاح حتّى آخر أوت 1956. انتقل إلى تونس، كان من بين أبرز الموقعين على اتفاقية ايفيان. أبعد عن الساحة السياسية بعد 1962، ولكنه عاد إليها سنة – 1965. اتّهم بتدبير مؤامرة لاغتيال، العقيد: هواري بومدين وحكم عليه بالإعدام، قتل شنقا في أحد فنادق فرانكفورت بألمانيا سنة 1970.

* ولد محمد بوضياف يوم 23 جوان 1919 في المسيلة. ترك الوظيفة ووضع نفسه في خدمة الحركة الوطنية، ناضل في صفوف حزب الشعب، وفي المنظمة الخاصة مسؤولا عن ناحية قسنطينة. كان أبرز الشخصيات في تجمع أنصار

الكفاح المسلح خلال سنتي 1953 - 1954 اختطف مع ابن بلّة يوم 22 أكتوبر 1956. كلف بعدة مهام قيادية وهو في السجن، عارض بشدة زعامة ابن بلّة وهيمنة الجيش على السلطة بعد 1962. أسّس حزب الثورة الاشتراكية في سبتمبر 1962. يعتبر من أوائل مؤسّسي جبهة التحرير الوطني المتخلين عن فكرة الحزب الواحد. قضى شطرا من حياته لاجئا في المغرب إلى أن استقدمته السلطة في البلاد لامتصاص غضب الشارع، باعتباره رجل تاريخ، قاد البلاد خمسة أشهر، اغتيل في عنابة يوم 29 - 6 - 1992.

* ولد العربي بن مهيدي خلال سنة 1923 في عين مليلة ينتمي إلى عائلة فلاحية متوسطة، ناضل في صفوف حزب الشعب، وهو يعتبر عنصرا بارزا فيه، اعتقل بعد أحداث 8 ماي 1945. واتّهم في قضية المنظمة الخاصة سنة 1950 وحكم عليه بـ 10 سنوات غيابيا. عضو مؤسس للجنة الثورية للوحدة والعمل، عيّن قائدا للمنطقة الخامسة (وهران)، ثم تخلّى عنها لنائبه بوصوف بعد مؤتمر الصّومام 1956 الذي عيّنه عضوا في القيادة العليا لجبهة التحرير الوطنيّ – لجنة التنسيق والتنفيذ -. خلال معركة الجزائر العاصمة يتولى بنفسه قيادة المجموعات المسلحة، قوات الكولونيل بيجار تعتقله يوم 23 فيفري 1957 في أثناء عملية تمشيط ومداهمة للأحياء، يتعرض للتعذيب الشديد من قبل بيجار لكنه يظل صامدا فينال بشجاعته وصموده إعجاب العدو نفسه وهو الذي قال لبيجار:

«إنكم تتحدثون عن فرنسا من **دانكرك** إلى **تامنغست** وإني أتنبأ لكم بميلاد جزائر من **تامنغيست** إلى **دانكرك**» أعدم شنقا في مارس 1957.

« ولد مصطفى بن بولعيد بقرية إنركب بأريس بتاريخ 5 فيفري 1917 عاش في طفولته وفي صباه عيشة أبناء الطبقة المحرومة من عامة الشعب تلقى معارفه الأولى في المدرسة القرآنية بآريس، وعندما انتقل أبوه إلى باتنة أدخله إلى مدرسة الأهالي - الأمير عبد القادر حاليا - ولما ارتحل أبوه من باتنة توقف عن الدراسة... هاجر إلى فرنسا وخلال فترة قصيرة قضاها في المهجر انتسب إلى تشكيلة نقابية وعين ممثلا للعمال... أدّى الخدمة العسكرية الإجبارية في صفوف القوات الفرنسية مرتين، كان يجمع بين النشاط الديني والاجتماعي، قبل أن ينخرط في الحركة الوطنية تدرج في مناصب المسؤولية بسرعة إلى أن أصبح عضوا في اللجنة المركزية بعد أقل من عشر سنوات من النضال. عضو في جماعة 22 - وفي لجنة الستة مفجري الثورة. عضو مؤسس لجبهة التحرير الوطني وقائد مفجر للثورة في المنطقة الأولى (أوراس النمامشة) - ألقي عليه القبض وحكم عليه بالمؤبد ثم بالإعدام - يفرّ من السجن ويلتحق بالثورة خلال شهر نوفمبر 1955. يد الغدر ظلت تلاحقه إلى أن اغتالته ليلة 22 - 23 نوفمبر 1956.

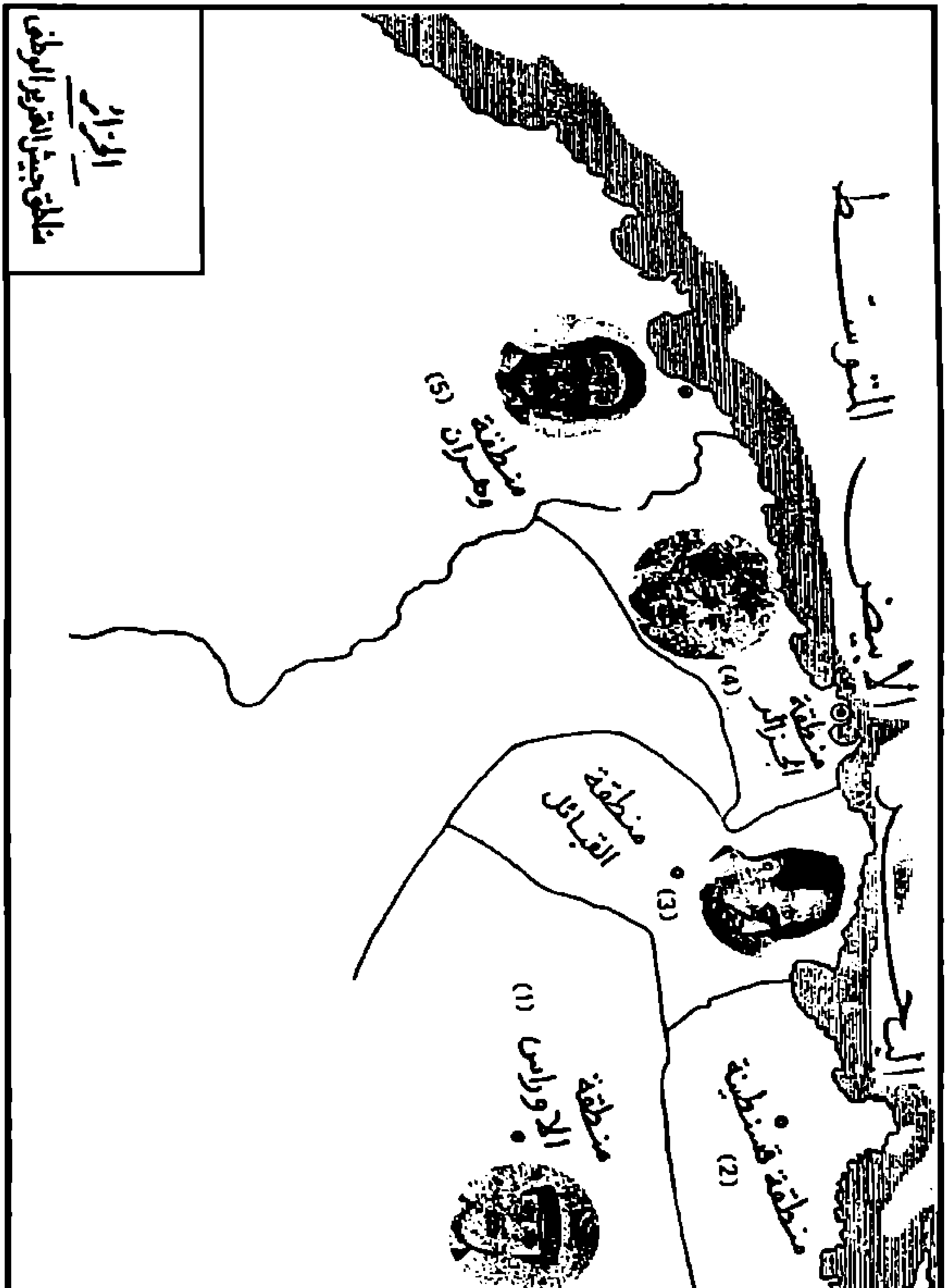

خارطة مناطق العمليات

FRONT DE LIBERATION NATIONALE

PROCLAMATION

PEUPLE ALGERIEN,

MILITANTS DE LA CAUSE NATIONALE,

A vous qui êtes appelés à nous juger, le premier d'une façon générale, les seconds tout particulièrement, notre souci, en diffusant la présente proclamation, est de vous éclairer sur les raisons profondes qui nous ont poussé à agir, en vous exposant notre programme, le sens de notre action, le bien-fondé de nos vues dont le but demeure L'INDEPENDANCE NATIONALE dans le cadre Nord-Africain. Notre désir aussi est de vous éviter la confusion que pourraient entretenir l'impérialisme et ses agents administratifs et autres politicailleurs véreux.

Nous considérons avant tout qu'après des décades de lutte, le Mouvement National a atteint sa phase finale de réalisation. En effet, le but du mouvement révolutionnaire étant de créer toutes les conditions favorables pour le déclenchement d'une action libératrice, nous estimons que sur le plan interne, le peuple est uni derrière le mot d'ordre d'indépendance et d'action, et sur le plan externe, le climat de détente est favorable pour le règlement des problèmes mineurs dont le

APPEL

PEUPLE ALGERIEN,

A l'exemple des peuples qui ont brisé les chaînes de l'esclavage et de l'oppression,

En accord avec tes frères Marocains et Tunisiens auxquels tu es lié par des siècles d'histoire, de civilisation et de souffrances, tu ne dois pas oublier un seul instant que notre avenir à tous est commun.

Par conséquent, il n'y a pas de raison, pour ne pas unifier, confondre et intensifier notre lutte. Notre salut est un et notre délivrance est une. Dissocier le problème maghribin c'est aller contre une réalité historique qui, à dater de 1830, fait notre malheur à tous.

En outre, pense un peu à ta situation humiliante de colonisé, réduit sur ton propre sol à la condition honteuse de serviteur et de misérable surexploité par une poignée de privilégiés, classe dominante et égoïste qui ne cherche que son profit sous le couvert fallacieux et trompeur de civilisation et d'émancipation.

A propos de civilisation, nous te rappelons quelques dates illustres : 1830 avec ses rapines et ses crimes au nom du droit du plus fort ; 1871 suivie de massacres et d'expropriations qui ont frappé des milliers d'Algériens ; 1945 avec ses 40.000 victimes ; 1948 et ses élections Naegelen ; 1950 avec son fameux complot. Comme tu le constates, avec

صورة لـ:

النص الأصلي لبيان أول نوفمبر موجه للشعب الجزائري «باللغة الفرنسية»

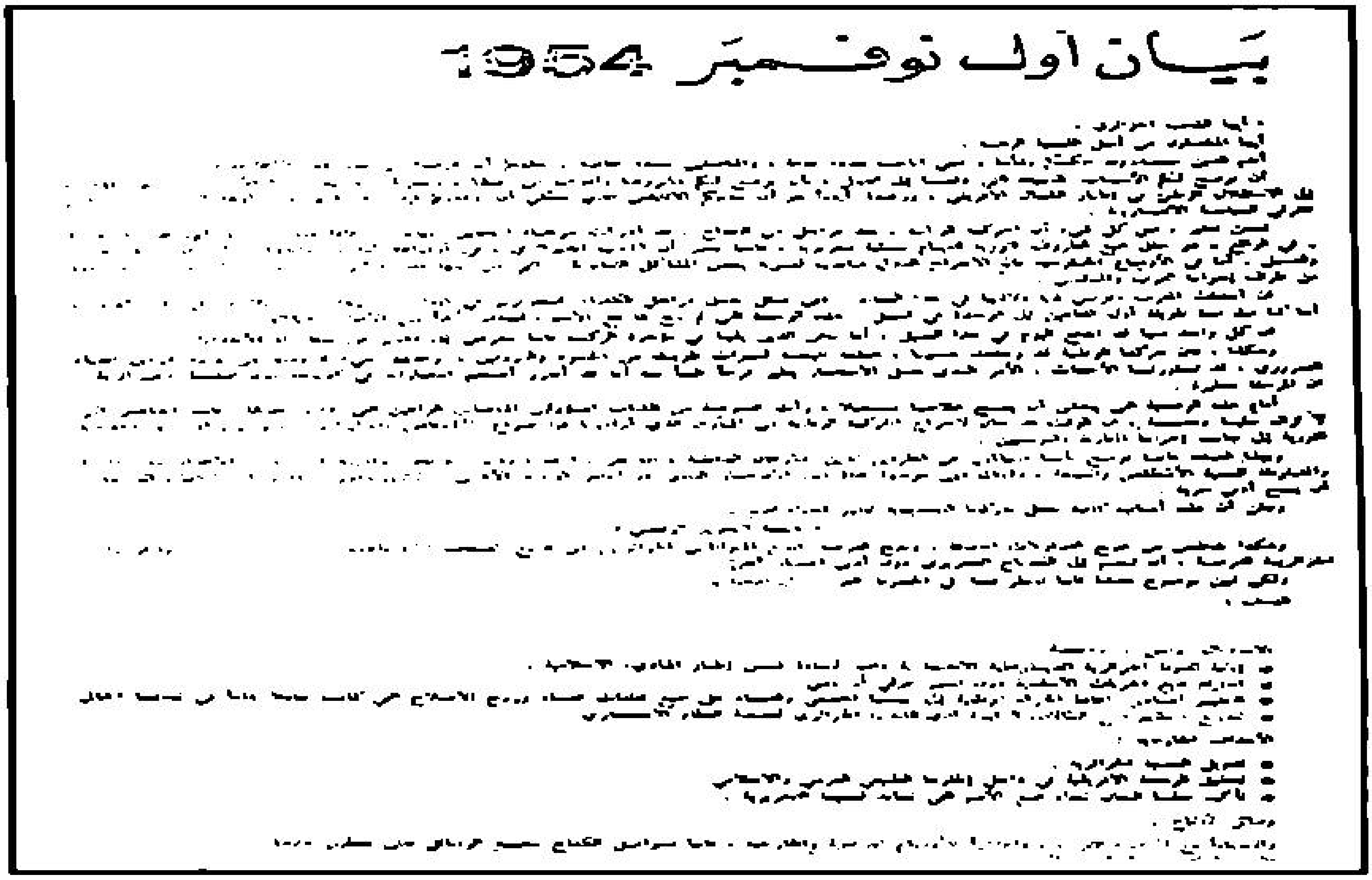

بيان أول نوفمبر 1954

صورة لـ: النص الأصلي لبيان أول نوفمبر موجه للشعب الجزائري «باللغة العربية»

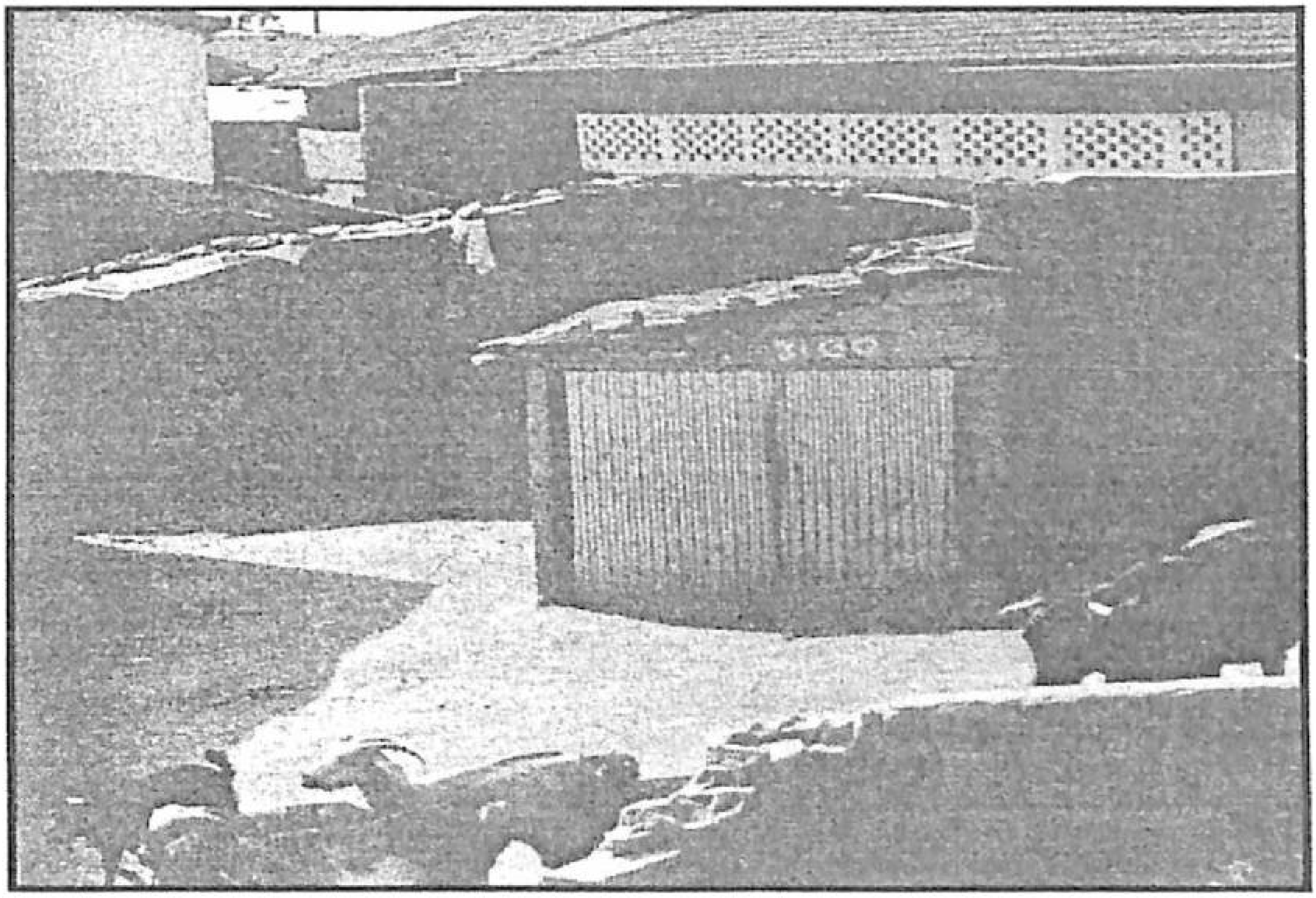

إغيل إمولان

في هذه الدار طبع بيان أول نوفمبر موجه للشعب الجزائري

الباب الثاني

الفصل الأوّل

مصطفى بن بولعيد القائد الرمز

مصطفى بن بولعيد

أي رجل هو؟

هو مصطفى بن أمحمد بن عمار بن بولعيد، وأمّه عائشة بنت محمد أبركان ولد بقرية إنركب بآريس يوم 5 فيفري 1917م. عاش في صباه وطفولته عيشة أبناء الطبقة المحرومة من هذا الشعب.

نهل من والده ما تيسر من القرآن الكريم وهو صبي، إذ كان أبوه معلم قرآن. ترعرع في ظل أبويه الكريمين مع أخيه الأكبر عمر وأربع بنات.

تلقى معارفه الأولى في المدرسة القرآنية في آريس ثم ارتحل أبوه إلى باتنة وأدخله إلى مدرسة الأهالي (الأمير عبد القادر) حاليا[1]، وقد تتلمذ بها مدة سبع سنوات كاملة حسب ما جاء في مقال نشرته رسالة الأطلس لنجله المرحوم: عبد الوهاب سنة 1993م، العدد 3. ولما ارتحل أبوه من باتنة توقف عن الدراسة، وقد أجمع كل من كتب عن مرحلة طفولته أن أباه كان يخشى عليه من التنصير أو التجنيس، فعاد به إلى قرية أفره على الطريق العمومي الرابط بين مدينتي باتنة وآريس، حيث راح أبوه يمارس التجارة بين الفلاحين ثم انتقل أخيرا إلى آريس وظل محافظا على نفس النشاط، وكان مصطفى إذ ذاك يحظى بعناية خاصة من قبل أبيه ملازما له يعاونه في أعمال التجارة....... وفي أواخر سنة 1935م توفي أبوه، فساء حال الأسرة بعد أن فقدت راعيها وضاق بها العيش فلاحت لمصطفى فسحة من الأمل في الهجرة، فهاجر إلى فرنسا لعله يخفف عن الأسرة بعض معاناتها.

وهناك لاحظ الوضعية المزرية للعمال المهاجرين وظروف عيشهم السيئة.

---

1) - مسجل في دفتر القيد المدرسي تحت رقم 869- لسنة 1925 بدون ملاحظة.

انتسب خلال فترة إقامته القصيرة بفرنسا إلى تنظيم نقابي وانتخب ممثلا للعمال. ولعل هذا أول نشاط ذي طابع سياسي يمارسه مصطفى وهو في ريعان الشباب في مدينة: فليري، عمالة: ميتس، فتفتّق ذهنه على العمل السياسي وتعلم رغم قصر المدة كيف يحاور، وكيف يستمع، وكيف يدافع عن حق العمال بالحجة، وكيف يناضل لنصرة الحق. فبدأ يكتشف نفسه وبدأت معالم شخصيته تبرز. غير أنه ما لبث أن عاد إلى الجزائر ليمارس النشاط التجاري من جديد، ولم يطل مكثه في فرنسا أكثر من سنة، وفي آخر سنة 1938م دعي لأداء الخدمة العسكرية الإجبارية، وما إن أتمّ فترة التربّص ببجاية حتى اندلعت الحرب العالمية الثانية، فلاحظ خلالها كيف يساق الجزائريون إلى الموت وهم ينظرون. يتّخذ منهم ضباط فرنسا دروعاً بشرية في جبهات القتال ضد الألمان لتحصدهم الرشاشات الألمانية حصدا[1].

فزاد هذا من كرهه للجور وبغضه للمستعمر..........

وراحت الأخبار تصله كما تصل كلّ متتبّع لمجريات الحرب بأن فرنسا العظمى! أخذت تتهاوى وتترنّح أمام الهجمات الألمانية الكاسحة وتسقط مدينة بعد مدينة وإقليما بعد إقليم، إلى أن سقطت باريس عاصمة الاستعمار فصارت مستعمرة وباتت أسيرة لدى الألمان وينحني الإليزي أمام الرّايخ ويرفرف الصّليب المعقوف في سماء باريس، وتستسلم فرنسا العظمى في شهور!...........

وتتشكّل فيها حكومة عميلة موالية للنازية..........

1) – فقد اعترفت فرنسا بمقتل 35000 جزائري في الحرب العالمية الأولى و50000 في الحرب العالمية الثانية – (مجلة الجيش العدد -142- سنة 1978م).

فعرف أن الهزائم تدرك الكبار كما تدرك الصغار أيضا. وعرف كذلك أن الكبار إنّما يستمدّون قوّتهم من ضعف الصغار وجبروتهم من تفرّقهم، فلو استطاعوا توحيد صفوفهم وجمع كلمتهم لانكسرت قيودهم وانجلت عنهم ظلماتهم، وهكذا تتوالى الأحداث وتتعاقب الهزائم والانتصارات، وتزُجُّ فرنسا بعشرات الآلاف من الجزائريين في أُتُونِ حرب مدمّرة لا يجنون منه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء. وتتدخل في الحرب قوى أخرى فترجّح الكفة لصالح الحلفاء، وتخرج فرنسا المنهزمة من الحرب منتصرة، وتعود "حليمة إلى عادتها القديمة".

وتأتي أحداث 8 ماي 1945م في كل من سطيف وقالمة وخراطة ومدن أخرى حيث أظهرت فيها فرنسا أبشع أنواع البطش والتنكيل لتؤكد للجزائريين أنها مازالت قوة يحسب لها حساب، فتفننت في القمع والتعذيب والتنكيل بأساليب تفوق ممارسات النازية والفاشية خلال الحرب العالمية الثانية.

ومن بين الصور التي ظلت عالقة في أذهان الناس طيلة عقود من الزمن تلك الاستعراضات التي كانت تقوم بها سيارات شحن عسكرية من نوع G. M. C في شوارع قسنطينة طوال أيام 8 - 13 ماي 1945م والتي ظلت تجوب شوارع هذه المدينة وعلى جانبيها سواعد وأذرع معلقة لبشر من مختلفي الأعمار حتى ليخيّل للناظر أنه أمام محل قصّاب يبيع اللحوم الآدمية. بعض السّواعد - حسب شهود عيان - كان الدّم يتقاطر منها مما يدل على أنها بترت لِتُوِّهَا من جثامين لأشخاص أحياء غير أموات وبعضها تجلطت الدماء عند أطرافها السفلى وشكّلت بقعا داكنة مائلة إلى السّواد، ولوحظ أن من بين تلك الأذرع المعلقة سواعد لنساء مازالت تحتفظ بحليّها، وقد شوهت لونها الفضي قطرات من الدم تناثرت على سطحها.

وقد أريد من هذه الاستعراضات الاستفزازية ترويع السكان وترهيبهم.

فكان وقعها أليما شديدا، وفي هيليوبوليس غير بعيد عن قالمة قام غلاة الاستعمار بإحراق الناس في أفران الجير وهم أحياء. إنها صور لا تقل بشاعة عما جرى في معسكرات النازية[1].

فحزّ هذا في نفس ابن بولعيد وهو في السجن بقالمة كما حز في نفس كل جزائري. وأيقن أن الاستعمار لا يرحم وأن الحياة في ظلاله جحيم.

وهنا بدأت فكرة النضال السياسي والعمل العسكري تتخمر في ذهنه ووجد في نفسه الحاجة إلى أن يقوم بعمل ما لصالح هذا الوطن - دون أن تتضح له صورة هذا العمل الذي يريده - حتى يجعل من أنين هذه الأمة صراخا مدوّيا يزلزل قلاع الظالمين، ومن نزيف جراحها سيولا بل أنهارا تجرف جحافل الغاصبين، وتعيد لهذه الأمّة مجدها التليد ولهذا الوطن كرامته المسلوبة.

1) - فقد بلغ الحنق بالجنرال "فافرود Fafrod" أن أطلق أسرى الحرب الإيطاليين للاشتراك في المجازر إلى جانب فرقة من اللفيف الأجنبي والرماة السينغال.

ترجمة لتقرير «القائد آغا التاوتي»
في دوار ايشمول
من الفرنسية إلى العربية

في 11 سبتمبر 1950م
إلى
السيد/ المتصرف الإداري للأوراس
أريس

يشرفني أن أحيل إليكم هذا التقرير:

تجري حاليا جولة يقوم بها ح. ش. ج. (حزب الشعب الجزائري) P. P. A بآريس على مستوى دوار ايشمول بعد تلك التي تمت بدواري وادي الأبيض وتيغانيمين.

إن الهدف من هذه الدورة هو جمع القمح لإنهاء بناء مسجد أريس وهو المكان الذي يقع تحت إشراف ح. ش. ج. في هذا المركز الذي يرأسه مصطفى بن بولعيد.

الفوج المكلف بهذه الدورة هو من جهة:

- ابن بولعيد مصطفى.
- امعارفي إبراهيم. من دوار وادي الأبيض
- صالحي لمير الذين عملوا بايشمول
- سمايحي الحاج زراري
- المسعود بلعقون

ومن جهة أخرى:

- عزوي سي الصادق - بوسعد بوسعد
- ابن شاية مصطفى - ابن شاية محمد الصالح
- زواش سي العلمي - بعزي لخضر
- عزوي محمد بن الصادق - بشاح محمد

قام الفوجان بالعمل مجتمعين تارة، ومتفرقين تارة أخرى حسب الانتماء القبلي والفرعي.

وقد فرضت الضريبة على كل عائلة تبعا لحالة ثروتها من صاع إلى نصف صاع، وأغلب الناس تعطي قلبتين.

الرقم التقريبي لمجموع ما حصل سيلفكم لاحقا من ايشمول، وقد أغتنم مسؤولو ح. ش. ج. مناسبة هذه الدورة للدعاية، وتحقيق الانخراطات، ولسنا متأكدين من أن عملية الجمع للقمح هذه مخصصة لإنهاء بناء المسجد.

الإمضاء

قام بالترجمة: الأستاذ الموثق/ عزوي الصالح.

SECRET

... SEPTEMBRE 1950

LE BACHAGHA D'ICHEMOUL

A

A MONSIEUR L'ADMINISTRATEUR EN CHEF DE L'AURES

ARRIS

J'ai l'honneur de venir très respectueusement vous rendre compte de ce qui suit :

Une tournée entreprise par les P.P.A. D'ARRIS s'effectue actuellement dans le douar Ichemoul après celle des douars Oued Labiod et Tighanimine .

Le but de cette tournée est de ramasser du blé pour l'achèvement de la construction de la Mosquée d'Arris , lieu qui est sous le patronage des P.P.A. de ce centre dont Ben Boulaid Mostefa est Président .

Le groupe chargé de cette tournée sont , d'une part :

- Ben Boulaid Mostefa
- MAAFI BRAHIM
- SALHI LAMIR
- SEMAIHI ZERRARI
- Ben Messaoud Laggoun

Du douar Oued Labiod qui ont travaillé à Ichemoul .

\- d'autre part

- Azoui Si Sadok
- Bensaad Bousaad
- Benchaiba Mostefa
- Benchaiba Mohamed Salah
- Bacuche Si Lallemi
- Mechouma Ahmed ben Lombarek
- Bahdama Lakhdar ben Mohamed
- Bezzai Lakhdar
- Azoui Mohamed ben Sadok
- Bechakh Mohamed

Les groupes ont fait la tournée tantôt ensemble , tantôt dispersés suivant les fractions.

Chaque famille a été imposée suivant la situation de fortune de un saa de blé , une demie saa et la majorité des gens donnent deux guelbas .

Le chiffre approximatif vous sera donné pour le douar Ichemoul.

Profitant de cette tournée les P.P.A. font de la propagande , font des adhésions et nous ne sommes pas sûrs que cette collecte de blé soit destinée à l'achèvement de la Mosquée .

Respects

عاطفته الدينية

لم يتعمق ابن بولعيد في العلوم الشرعية ولم يكن طرقيًا ولا مريدا لزاوية أو تابعا لمشيخة. إنما كان سنيًا محمديا خالصا، وأثر المشاعر الدينية واضحة في شخصيته من خلال مواقفه الرسمية وغير الرسمية، ومن خلال سلوكاته العملية أو اللفظية. ولا غرو أن يكون كذلك، فأبوه كان معلم قرآن محافظا على أداء الشعائر الدينية داعيا إليها.... بالإضافة إلى عوامل أخرى كان لها أبلغ الأثر في بلورة شخصيته، منها:

1) – انتشار الوعي الديني ومحاربة ظاهرة الخرافات والبدع التي سادت المجتمع من قبل المنتسبين لمدارس جمع ية العلماء المسلمين.

2) – تنامي الوعي الديني لدى فئات من الشباب ممن درسوا في مدارس جمعية العلماء، وعرفوا المقاصد الصحيحة للدين، وتشبعوا بالفكر الباديسي.

3) – فشل مشروع الآباء البيض ورحيل البعثة التبشيرية من الأوراس بعد نصف قرن من التبشير ومحاولة تنصير السكان (من 1879م – إلى – 1928م) دون أن تتمكّن هذه البعثات من تنصير أحد، مما يؤكّد تعلق الشعب بعقيدته السمحاء والمحافظة على دينه الحنيف.

4) – تأسيسه لجمعية دينية لبناء مسجد في مدينة آريس – المسجد لا زال قائما ويحمل اسم الشهيد: ابن بولعيد –.

5) – إنشاؤه لمدرسة تعليم القرآن الكريم وأخرى لأصول الشريعة في ذات المسجد، فكان يدرّس بالأولى الشيخ يحي زاوش، وبالثانية محمد الأمير صالحي.

6) – مساهماته في إنشاء جمعيات ومدارس تعمل على نشر التعليم الديني واللغة العربية بين السكان.

7) – الطابع الديني لبيان أول نوفمبر (إنشاء دولة تعمل في إطار المبادئ الإسلامية).

8) – من توصياته في اجتماع "لقرين" بأن لا تسند المسؤولية لتارك الصلاة.

9) – اختياره لكلمة السرّ ليلة أول نوفمبر (اللّه أكبر. عقبة، خالد) وهما شخصيتان إسلاميتان معروفتان، تبرّكَ بهما وتيمّنَ بصحبتهما وفتوحاتهما.

10) – لجوءه في كلّ عمليّة تحتاج إلى السريّة والكتمان إلى المصحف الشريف لأداء اليمين أو القسم.

أي مدرسة كونت الرجل؟

ابن بولعيد لم يتخرج من معهد للعلوم السياسية، ولا من كلية حربية، ولا من أي مدرسة متخصّصة بالمفهوم المتعارف عليه حاليا. فهو عصامي شَرُفَ بنفسه لا بآبائه، وبها فخُر لا بجدوده، والمرء بحسبه لا بنسبه.

تلقى علوما متواضعة وتكوينا أوّليا في مدرسة الأهالي بباتنة ثم انصرف للتجارة إلى أن عرف أسرارها، فهاجر إلى فرنسا وعاش عيشة العمال البسطاء وسط أحياء قصديرية في مدينة "فليري" بين المهاجرين، اطلع خلالها على ظروف عيشهم السيئة. اختير ممثلا نقابيا للعمال، فحاور، وناقش، ورافع دفاعا عن حق العمال في العيش الكريم.

دعي إلى الخدمة العسكرية مرتين، حيث تلقى تكوينا عسكريا وتعلم فنون القتال. لاحظ أثناءها كيف يساق الجزائريون إلى الموت في حروب لا شأن لهم بها. انخرط في النّوادي ذات الطابع الديني والثقافي وفي الحياة السياسية فعرف أبعادها واستفاد من برامجها وتوجهاتها. انضم إلى المنظمة السريّة ذات الصفة العسكرية وعمل فيها كعضو نشيط ثم مسؤول إقليمي عن منطقة الأوراس. ترشّح للانتخابات النيابية سنة 1948م. وعرف ألاعيب الاستعمار وخداعه، كما عرف مدى تلاحم القاعدة النضالية مع القيادة السياسية أيام المحن. أسندت إليه مهمّة إيواء إطارات المنظمة السريّة المطاردين من قبل البوليس الفرنسي، فكان لهم أكرم ضيف، وكانوا له خير ضيوف.

يسافر بانتظام وبغير انتظام إلى الجزائر، قسنطينة، باريس، سويسر، بلجيكا، تونس وليبيا، في مهام نظامية تطبعها السريّة التامّة أحيانا.

اتّصل بشخصيات سياسية مرموقة داخل الوطن وخارجه فكان عندها أنجب تلميذ، كما كان لها خير معلّم فأخذ وأعطى.

هذه هي المدرسة التي أهّلت ابن بولعيد لأن يكون رجلا اكتملت فيه كل معاني الرجولة. رجل مواقف شجاعة، رجل تحدّيات كبرى، رجل لم ينقلب على عقبيه إلاّ مرّة واحدة، عندما ضحكت له الدنيا فسخر منها، وفضّل الشرف الدائم على النعيم الزائل. زهد في ماله وفي أعماله وجعلها وقفا على الجزائر وحدها فراح ينفق بسخاء، فلما شحت عليه الحركة بالمال وضاقت ذات يده رهن نصف ممتلكاته لفائدة جبهة التحرير الوطني لتشتري بثمنها السلاح للثورة.

جمع من كانوا شتاتا ونزع من قلوبهم الحمية الجاهلية وجعل منهم جمعا متراصا وقوة ضاربة أرعدت أوصال المستعمر. اشترى مزارع لانتاج الحبوب فحوّلها إلى مصانع لانتاج القنابل وزراعة الألغام، وإلى مراكز للتدريب على فنون القتال. أحاط نفسه بهالة من الرجال من أهل المروءة والنّهى فكوّن منهم رجالا أفذاذا تشربوا القيم الوطنية حتى النخاع، وجعلوا منه رجلا هماما وقائدا شهما.

صدرت ضده ثلاثة أحكام في منتهى القسوة، فما لان موقفه وما ضعف إيمانه، وظل ثابتا على الحق صابرا محتسبا. دعا ربَّه وهو مقيد بالسلاسل في زنزانات الموت ينتظر المقصلة: ربي أنّي مغلوب، فانتصر. فاستجاب اللّه دعاءه، وهيأ له رجالا أوفياء ممن عاهدوا اللَّه أن لا يولون الأدبار، فأسر لهم بالأمر إسرارا ثم دعاهم إليه جهارا فثابروا على العمل وصابروا وما يئسوا حتى جاءهم النصر من عند اللَّه فتمكنوا من تسلق الجدار والقفز خلف الأسوار. وانطلقوا كالنسور في كل جهة.... وانطلق ابن بولعيد في رحلة عجيبة نحو الأوراس ليعيد نظم عقد كاد ينفرط، فراح يتنقل من مكان إلى مكان يرصّ الصفوف ويؤلف بين القلوب ويحرض على القتال ويحث على الصبر.

كان مناضلا لا يحمل وساما، فجزاؤه وسامه وهو عند اللّه عظيم.

وكان مجاهداً لا يحمل رتبة، وأي رتبة ترقى إلى مستوى جهاده. فَعمله ونضاله فوق كل الرتب.

وكان مثقفا لا يحمل شهائد لكنه يحوز مشاهد وكل مشهد يقف شاهد حق على أن ابن بولعيد قد أدى واجبه اتجاه وطنه كاملا.

هذه هي المدرسة التي كونت ابن بولعيد، وهي وحدها التي صنعت منه رجلا عظيما.

جمع متراص وقوّة ضاربة أرعدت أوصال الجيش الإستعماري

علمه

لا يختلف اثنان في أنّ إبن بولعيد كان متعلما، غير أن حلمه وعقله وماله كانوا جميعا أوسع من علمه. فقد تعلم القرآن على يدي أبيه الذي كان معلم قرآن ودخل المدرسة الفرنسية حيث تلقى معارفه الابتدائية، لكنه ما لبث أن غادرها وتوقف عن الدّراسة وعاد من باتنة إلى آريس لأسباب غير واضحة يرجعها بعض الرواة إلى أن أباه خشي عليه من التنصير. غير أنّ بعضا ممّن اهتمّوا بسيرته الذاتية وألفوا فيها كتبا يقولون عنه بأنه أنهى دراسته الابتدائية والإعدادية وتحصل على شهادتي (لبروفي) بالعربية وبالفرنسية - وليت هؤلاء أكدوا ذلك بنسخ من هذه الشهادات أو حتى بذكر تواريخها ليطمئنّ القارئ إلى صحة الرواية - إن هذا النوع من المبالغات والديباجات التي يحلو للبعض إضافتها ظنا منهم أن ذلك سوف يزيد من قدره وعلو شأنه خطأ غير مسموح به، فالعظماء لا يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا، وليس العلم وحده هو الذي يفجر عبقريات الرجال، وسرّ العظمة فيما يخالف مقتضى العادة، والأجيال بعدنا ستكتشف هذه الحقائق عندما تلجأ إلى البحث العلمي الذي يرتكز أساسا على أسناد رسمية وعلى قرائن وأدلة وحقائق تاريخية وآثار وغيرها، ولا يعوّل على الرواية وحدها، وسيكتبون التاريخ بعقولهم لا بعواطفهم، فما قبله العقل قبلوه وما لم يقبله العقل رفضوه.

ويصبح كل شيء عندهم بمقدار، وسوف يظنون بنا يومها الظّنون. عندما يكتشفون أن ما نكتبه زيف وما نقوله حيف....

فرصيد ابن بولعيد النضالي كاف وهو غني عن التلفيق، وتاريخه حقائق وأحداث صنعها بنفسه ولا يحتاج إلى استعارة وهو ملك لهذه الأمة - وحقّ لها أن تفخر به - وليس لأحد أن يضيف إليه أو ينقص منه شيئا. والجميل بطبعه وأفعاله لا يحتاج إلى تجميل، وليست الشهائد هي المعيار الوحيد في تقويم الرجال. فكم من حامل شهادة جعلت منه شهادته عبدا مملوكا لا يقدر على

شيء. ركن إلى الاستسلام ورضي بالذل. وكم من جاهل لا يفرق بين الألف والعصا خلّد جهاده اسمه في ذاكرة التاريخ وأمسى عَلَمًا يشار إليه. وكثير من الفاتحين في العالم كانوا أنصاف متعلمين أو كانو أميين، والكثير الكثير من أبطال الثورة التحريرية كانو كذلك....

فهذا يوسف بن تاشفين موحد المغرب الإسلامي وباسط نفوذه على الأندلس وقسم من الصحراء، وصاحب معركة الزلّاقة المشهورة في التاريخ سنة 1086م جدّد أمر دين الأمة ونشر العدل ووفّر الأمن وأذلّ الكفر. كان لا يحسن العربية (لغة دينه) يتكلم الأمازيغية وحدها - وكان يمشي بترجمان - ولم يمنعه ذلك من القيام بهذه الأعمال الجليلة.

غير أن ابن بولعيد كان مثقفا ثقافة سياسية واسعة اكسبته احترام الجميع، وقد اعترف له بذلك حتى أعداؤه ممن كتبوا عنه وممن سمعوا مرافعاته خلال جلسات المحاكم، ومصادر ثقافته متنوعة. فقد عمل رئيس فرع نقابي بفرنسا، ثم رئيس اتحاد التجار في آريس. كما عمل رئيس لجنة دينية، وعضواً في نادي الاتحاد الذي كان يعمل على نشر اللغة العربية والتعليم الديني بين الجزائريين. تحاور مع عدة تشكيلات سياسية، وحضر اجتماعات مع شخصيات مختلفة، فناقش، وحاور، وخطب، وعلّق، واستدل. فتوسعت بذلك ثقافته وتعمقت في شتى المجالات والمحاور، وصار له رصيد فكري واسع. حيث أصبح رجل إقناع لا يستهان برأيه. وبهذا الرصيد استطاع أن يوحّد أعراشا كانت متنافرة وأن يعبئ قبائل كانت متناحرة لتقف في خندق واحد ضد عدو واحد، ولأجل هدف واحد.

كلّ عظيم مَدين لأمّته

يقولون بأن كل عظيم مَدين لأمّته، مَدين لها، لأن أوضاعها الاجتماعية أو السياسية أو الاقتصادية هي التي تهزّ ضميره وتحفّزه بل وتفجّر عبقريته وتدفع به إلى إنتاج أعمال عظيمة.

فابن باديس ذو الميول الدينية عاش خلال فترة سادت فيها الخرافات وضعف فيها أمر الدّين وانتشرت البدع وساد الجهل والشعوذة وراح الاستعمار يغذي هذه الآفات جميعها حتى يبعد المجتمع عن دين العبادة والعلم. فهدى اللّه هذا الشيخ الجليل إلى ملاحظة هذه الآفات التي تنخر جسم المجتمع ببصيرته قبل أن يلاحظها ببصره، وأن يقدر مدى خطورتها على مستقبل الأمة، فهبَّ لتغيير أوضاع المجتمع من الداخل وتفجّرت عبقريته واندفع إلى الإصلاح، فحارب الجهل كما حارب دعاته، ودعا إلى نشر العلم ونبذ الخرافات عن طريق إقامة منشآت دينية تنشر العلم النافع وتدعو إلى الدين الخالص عن طريق الوعظ والإرشاد والتوجيه الديني.

وابن بولعيد الذي عاصر ابن باديس حينا من الدهر، لاحظ هذه الأشياء في وطنه ولاحظ كذلك أن وطنه مسلوب وشعبه مستعبد وأمته مهانة، الأصيل في بلده ذليل والدخيل إليه كريم، وطن بلا سيادة وشعب بلا قيادة، فراح يفكر في وسيلة تعيد لهذه الأمة تاريخها المجيد ومجدها التّليد. فلم ير ذلك لا في المحافل الدولية ولا في المظاهرات السلمية أو في الاحتجاجات والنداءات ورسائل الاستعطاف المذلة، لكنه رآه في ثورة شعبية عارمة تكتسح قلاع المستعمر وتدكّ حصونه وتشق طريقها إلى الحرية فوق الأشلاء حتى يعترف لها بالحق في الحياة الكريمة.

فعرف أن ذلك هو القول الفصل والحق المبين، فهبّ لنصرة أمته وإنجاد وطنه بجهده وماله وبعرقه ودمه، فراح يوقظ المشاعر ويثير الأحاسيس ويهزّ الضمائر الحيّة في الاجتماعات الوطنية وفي اللقاءات الإقليمية والمحلية، فتجاوب مع نداءاته رجال شجعان باعوا نفوسهم للّه بلا ثمن، فكانوا أبطال ملحمة وفرسان معركة، وقادة حرب، سجلوا أروع الصفحات في التضحية والفداء، أعادت تصحيح مجرى التاريخ، وبعثت الدولة الجزائرية الموءودة من جديد.

من الصور النادرة للشهيد: ابن بولعيد وهو في ريعان الشباب

الباب الثاني

الفصل الثاني

نشاط ابن بولعيد السياسي

يعتبر محي الدين بكوش العنابي الذي نُفي إلى آريس مع كل من العربي رولا من جيجل ومناضلين من الحزب الدستوري التونسي بسبب نشاطهم السياسي. بعد أن أفرج عنه من سجن تازولت (لامبيز)، أول من أيقظ الحس الوطني في آريس سنة 1940م. بدأ هذا المناضل يبث أفكاره الوطنية منذ أن حل بهذه المدينة، فلما وجد آذانا صاغية واستجابة من قبل العناصر التي تقرَّب منها، تشجَّع وكوَّن خلية، عناصرها هم:

1) - الحاج أزراري اسمايحي

2) - الصالح مختاري

3) - لخضر بعزي

4) - لخضر قربازي

فكانت هذه الخلية أول نواة سياسية راحت تزرع بذور الوطنية في نفوس أهل مدينة آريس بتوعية المواطنين المخلصين من الشعب وزرع الأمل في نفوسهم وتشجيعهم على الانضمام إليها. وخلال شهر ماي سنة 1945م، أقنع الحاج أزراري مصطفى بن بولعيد وهو في ريعان الشباب بالفكرة ووجد لديه التقبل والاستعداد الكامل للانخراط في هذا التنظيم الجديد وممارسة النشاط السياسي ضمن صفوفه.

فانضم مناضلا في حزب الشعب، وقد أظهر خلالها نشاطا وحزما لفت إليه الأنظار رغم قصر المدة. ولما كانت فرنسا قد أمرت بحل هذا الحزب مع نهاية الحرب العالمية الثانية، فإن المتحمسين من المناضلين راحوا يمارسون نشاطهم السياسي في سرية تامة إلى أن عملت قيادة هذا الحزب على إنشاء تنظيم جديد لإعادة تجميع المناضلين سمّي بـ: حركة الإنتصار للحريات الديمقراطية.

وكان ابن بولعيد من الأعضاء البارزين على المستوى المحلي في هذا التنظيم الجديد. فلفت نشاطه وحزمه اهتمام القيادة الاقليمية للحركة التي توسمت فيه

قوة الشخصية واقترحته مرشحا لها خلال اجتماع ترأسه: العربي بن مهيدي بعدما أجمعت الحركة على الدخول في المعترك السياسي والمشاركة في انتخابات المجالس المحلية والنيابية سنة 1948م، أي بعد أربع سنوات فقط من دخوله المعترك السياسي يحظى بثقة قيادته ويصبح مرشحها في المجلس الجزائري.

حاول إصلاح ذات البين بين المصاليين والمركزيين والخروج بموقف موحّد يخدم القضية الوطنية ويُجنّب الأحزاب الصراعات الداخلية.

ولما لم يتسنّ له ذلك سلك مسلك الاعتدال، ولم يمنعه موقفه المناهض للنظرة الفوقية، والقرارات الأُحادية، والاستبداد بالرأي، والحكم المطلق للحاج: مصالي وأتباعه في الحركة من حضور اجتماعات الفريقين ومؤتمراتهما، وقد ظل متمسكا بموقفه المعتدل هذا حتى بعد تأسيس اللجنة الثورية للوحدة والعمل في مارس سنة 1954م، من أجل إيجاد أرضية للمصالحة السياسية. أما بعد اجتماع - 22 - في دار إلياس درّيش في الجزائر العاصمة في 24 أو 25 جوان 1954م. والذي خرج بموقف حاسم لم يعد الأمر بعده يحتاج إلى مناورات سياسية، فقد أظهر أعضاؤه بالإجماع قدرا كبيرًا من الصرامة في التعامل مع الحركات الأخرى التي لا تريد مسايرة الأحداث.

إلّا أنّهم أذنوا لابن بولعيد على رأس وفد أن يتصل بالحاج مصالي في مقر إقامته بـ "نيوز" لإبلاغه بالتوصيات التي خرج بها المجتمعون، رجاء أن يلين موقفه وأن لا يتفرد بالقرارات وحده ويستبدّ برأيه، لكن مصالي أصرّ على موقفه فكانت القطيعة بعدها نهائية.

منهبه السياسي

مذهب ابن بولعيد السياسي لا ينطلق من نظريات فلسفية ولا من مرجعية فكرية أو إيديولوجية معيّنة، لكنه ينطلق من واقع مرير لأمة فقدت سيادتها ووطن مسلوب جاوز الظّالمون فيه المدى، وكيان موءود بغير ذنب بل ومن فكرة بسيطة ومسلّمة لا شية فيها ولا تحتاج إلى بعد نظر وهي:

(أن الجزائر بالسلاح استعبدت فمصيرها بسلاحها يتقرر[1])

فراح يفكر في أسباب فشل الثورات والانتفاضات التي قامت في هذا الوطن منذ أن غزاه الاستعمار ويحدّد أسبابها. فكان ممّا توصّل إليه:

1) - أن هذه الانتفاضات كانت تقوم بأسماء قبائل أو عشائر أو زوايا أو أشخاص معينين.

2) - تقوم بدون تحضير مسبق أو بتحضير غير كاف.

3) - عناصرها متطوعون ليس لهم أدنى تكوين عسكري أو انضباط.

4) - تعتمد أسلوب المواجهة المباشرة مع عدو يتفوق عليها عددا وعدّة وتنظيما

5) - تفتقر إلى التخطيط والتنظيم.

فكانت نتائجها وبالا على الجزائريين، قتل وتشريد وتدمير ونفي وسلب للأموال، وهتك للأعراض إلى غير ذلك من الأساليب التي يمارسها الاستعمار. فكان عليه أن يفكر في أساليب أخرى مغايرة تماما، فاختار أسلوبين اثنين:

أ - يقوم الأول على التوعية والإقناع وإذكاء الروح الوطنية في نفوس الوطنيين المخلصين.

1) - شعر مفدي زكريا اللهب المقدس ص 139.

ب * ويقوم الثاني على المهادنة المؤقتة وتجنب المواجهة مع العدو خلال فترة الإعداد للثورة حتى لا يتمكن من الإجهاز على الحركة وهي في مرحلة التكوين والنشوء.

وللتاريخ حقائق لا بد من ذكرها وهي: "أن الرجل قد استفاد وكافة المناضلين الأوائل من النكبة التي مرت بها المنظمة الخاصة بعد سنة 1950م. ومن التجربة السياسية والرصيد النضالي لتلك الثلّة من الرّجال الذين شاء لهم القدر أن يكونوا مركز إشعاع يضيء درب النضال في الأوراس، ويعيد الدفء إلى قلوبهم بعد فشل ثورة 1879م. بدءا بالمناضل محي الدّين بكوش الذي كان أول من نفي إلى أريس ليكون له فضل السبق في إذكاء مشعل النضال في قلوب أهلها. تبعه بعد ذلك مناضلون من المنظمة السرية بعد أن اكتشف أمرها، فكانوا نِعْمَ الأساتذة فتح لهم أهل الأوراس قلوبهم وديارهم ووفّروا لهم الأمن والحماية، وأتاحوا لهم فرصة نشر الفكر السياسي في هذه الرّبوع في سريّة تامة طوال سنوات: 1950 - 1951 - 1952 م.

كما أن لطلبة جمعية العلماء المسلمين وللقصائد الشعرية التي كان يترنم بها الشباب والمناضلون عامة أثرها في قلوب المواطنين، وفي إيقاظ مشاعر الوطنية في نفوسهم"، وباختصار: فمذهب ابن بولعيد السياسي ذو شقين:

أ) - شق سياسي يتمثل في إيقاظ مشاعر الوطنية في نفوس المواطنين وإعدادهم سياسيا لثورة لا مناص من خوضها وإقناعهم بأنّ الثورة هي الخيار الوحيد للشعب الجزائري، بعد أن استنفذت الأحزاب ما في أوعيتها، وأن الانتصار على العدو رغم ما يمتلكه ممكن.

ب) - شق اجتماعي: يتمثل في إزالة الخلافات بين القبائل والأعراش وتأليف القلوب، وتوحيد الصفوف، وزرع الثقة في النفوس، وتوجيه الشعب إلى هدف واحد.

أما على مستوى التنظيم والهيكلة:

فقد وضع على رأس كلّ خليّة مناضلا من أكثر المناضلين حماسا، وأشدهم نشاطا.

وقد سطر لكل خلية برنامج عمل أسبوعي.

وكان ابن بولعيد يحضر بعض هذه الاجتماعات بنفسه ليتابع نشاط المناضلين عن قرب، فتوطّدت العلاقة أكثر بين المناضلين وقائدهم، كما عجّلت هذه اللقاءات من ترقية المناضلين ومن تكوينهم السّياسي، وكانت برامج الأفواج أو الخلايا تتلخص في نقاط، منها:

1) - التوعية السياسية للمناضلين وإذكاء مشاعر الوطنية في نفوسهم.

2) - رصد تحركات العدو وأعوانه وتضليلهم بشتى الوسائل.

3) - التشجيع على امتلاك السلاح والتدريب على استعماله استعدادا لليوم الموعود.

4) - التحسيس بإمكانية القيام بعمل مسلح ضد المستعمر في يوم ما.

5) - إعلام المناضلين ببعض القرارات واللوائح والتوصيات التي تتخذها قيادة الحزب.

6) - العمل على توسيع القاعدة النّضالية للحزب.

7) - جمع الاشتراكات ومساهمات المواطنين.

* نقاط أخرى...

نشاط ابن بولعيد العسكري قبل الثورة

شهد ابن بولعيد الخدمة العسكرية الإجبارية مع القوات الفرنسية خلال سنتي (1938 - 1939م). وقد دعي ثانية كاحتياطي خلال سنة 1942م. غير أنه ما لبث أن دخل إلى السجن لأسباب لم تتضح بعد للمؤرخين. واختلف الرواة في ذلك فمن قائل: إنه كان يحرّض المجندين على العصيان، ومن قائل: إن ضابطا فرنسيا أهانه فتآمر مع حارس من المجندين الجزائريين ليطلق عليه النار، وصرفت التهمة إلى ابن بولعيد، وليس لدى أيّ من القائلين دليل مادي ملموس يمكن الاعتماد عليه واعتباره سندا يعوّل عليه، وهناك أقوال أخرى أقل شأنا، والوضع في بعضها واضح، فكانت الخدمة العسكرية خير معين له على فهم أسرار النظام العسكري للعدو ومعرفة قدراته ومعنويات رجاله في الحرب وأسلوب تنظيمه، كما أمدته هذه الفترة بخبرات لا بأس بها في ميدان التنظيم العسكري واستعمال الأسلحة والقنابل.

فقد كان برتبة ضابط صف، وهذه الرتبة تؤهله للمشاركة في التأطير والإشراف وفي التخطيط والتنظيم(1).

فإذا أضفنا إلى هذا كلّه ذلك الحماس الفيّاض الذي كان يغلي كالمِرْجَلِ في صدر الرجل ووطنيته الخالصة، أدركنا سرّ تألّقه في ظرف قياسي من مناضل بسيط في الخلية سنة 1945م إلى عضو بارز سنة 1948م إلى قائد سنة 1950م إلى مفجر لأعظم ثورة شعبية سنة 1954م.

---

1) - يزعم "إيف كوربر" في كتابه "حرب الجزائر" أن ابن بولعيد مساعد سابق في الجيش الفرنسي -صليب حرب - نال قلادة عسكرية في خلال حملة إيطاليا... غير أن ابنه عبد الوهاب "رحمه الله" أنكر على الصحف الوطنية التي نشرت هذا الزعم في رسالة نشرتها "رسالة الأطلس" بتاريخ (5 - 11)/1993/4.

وبما أنه كان من المتحمسين للثورة منذ أن كان مناضلا بسيطا في القاعدة، وإيمانا منه بأن الحوار مع المستعمر غير مجد، بل هو مضيعة للوقت ولا يمكن أن ينتهي إلا بخيبة أمل جديدة. لذا راح يفكر في مصادر الأسلحة وفي طرق التموين بها وفي العناصر التي تتولى القيام بهذه المهمّة الخطيرة وفي طرق تخزينه وحفظه من التلف بعيدا عن أعين الرقباء وكلّها مهام في غاية الدقة والخطورة.

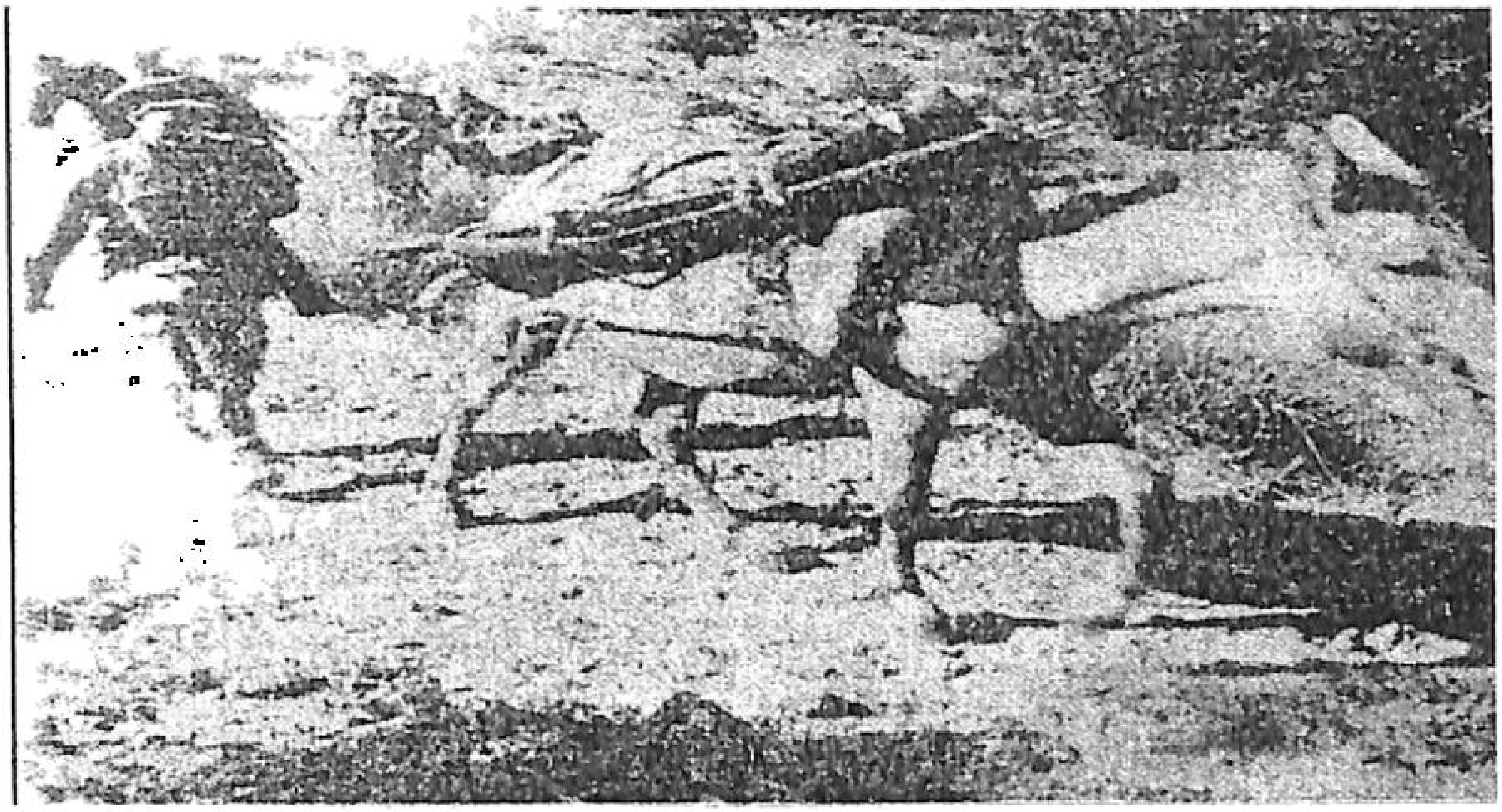

تهريب السلاح وتخزينه ليوم تسقط فيه الأقنعة وتحطم فيه القيود

فكان أن عمل أولا على تشجيع المناضلين خاصة والمواطنين المخلصين عامة على اقتناء أسلحة عسكرية، كانت أنواع منها قد انتشرت في الصحراء الشرقية تم تهريبها من الأراضي الليبية والمصرية اللتين كانت أراضيهما مسرحا لأحداث الحرب العالمية الثانية، فتهافت المناضلون في جلب هذه الأسلحة وتنافسوا في اقتنائها حتى أمسى الأوراسيّ يضنّ على أبنائه بلقمة العيش ليشتري بثمنها السّلاح وأضحت كلمة الرجولة مقرونة بقطعة السلاح التي يملكها الشخص ثم بنوع السلاح الذي يملكه، وكان أجود هذه الأسلحة: القارة الأمريكي، ثم الخماسي الألماني، والعشاري الأنكليزي، ثم الستاتي الإيطالي.

وقد نشطت هذه التجارة، وظهر من بين عناصر الحركة ومن خارجها مغامرون تنافسوا في تجارة الأسلحة لصالح الحركة وسلكوا في ذلك كل سبيل، حتى روي عن أحدهم أنه احتال على حاجز للدرك الفرنسي، بأن رتّب مجموعة من القطع في شكل نعش حمله الرجال على أكتافهم وساروا في اتجاه المقبرة فوقف رجال الدرك لتحية النعش الموهوم، وتمّ إخراج السلاح من الطّوق المضروب على المكان...... وهكذا راحت قوافل من الجمال والبغال تنقل السلاح في سرية تامة من غدامس إلى وادي سوف إلى صحراء أولاد عمر بزريبة الوادي ومنها إلى آريس مركز نشاط ابن بولعيد، حيث أماكن التخزين (في قرية الحجاج) مستودع الأسلحة عن طريق تاجموت وكيمل.

وقام ابن بولعيد بشراء كمية من الأسلحة بأمواله الخاصة بواسطة المناضلين محمّد عصامي وعبد القادر لعمودي خلال سنتي 1948م. - 1949م.

ولم يحدث أن ضبطت أية عملية من قبل العدو. وكان ابن بولعيد يتولّى الإشراف بنفسه على تخزين ومراقبة وتبديل أماكن هذه الأسلحة عند الضرورة وحفظها في أماكن معزولة لا يعلمها إلا هو وثلّة قليلة من الرجال الثُّقات المخلصين ممن تشبعوا بالقيم الوطنية وبالفكر التحرري، ولديهم القدرة الكافية على ضبط النفس وكتمان السرّ.

أما بعد اجتماع 22 بالمدنية، وبعد أن تقرر القيام بالثورة فقد شعر ابن بولعيد بتعاظم المسؤولية وخطورة الموقف وثبت له بأنّ كميّة السّلاح المخزنة لا تكفي للقيام بعمل مسلح ضد عدو يملك من المدد الكثير إلا في نطاق ضيق ولفترة محدودة في شكل عمليات استعراضية.

وهنا أدرك صعوبة المرحلة ودقّتها..... فقد تعهد بإمداد المناطق الأخرى في الوطن بالأسلحة لضمان انطلاقة متزامنة للثورة[1] إلا أن الكمية الموفّرة ثبت أنّها لا تسدّ حاجة الأوراس وحدها. تدارس مع جماعة الستة المكلفة بالتنسيق والإعداد للثورة مشكلة التسليح، غير أن الحلول المقدمة كانت نظرية أكثر مما هي عملية... وهي بعيدة المنال، فمكتب جبهة التحرير الوطني بالقاهرة الذي كان يديره كل من: أحمد بن بلّة وآيت أحمد ومحمد خيضر، كان قد تعهد بالقيام باتصالات مكثفة مع القادة العرب وإطلاعهم على التحضيرات الجارية في الوطن الجزائري مع إشعارهم بحاجة الحركة الماسة إلى التضامن العربي معها في هذا الظرف الدقيق ومد يد العون للشعب الجزائري الشقيق حتى يفتك استقلاله المصادر وينتزع حريته المسلوبة من أيدي الغاصبين، فكانت وعوداً بلا وفاء، إذ لم تُسفر رحلات السيد: محمد خيضر للعواصم العربية لجمع الإعانات عن شيء، فعاد إلى القاهرة مقر المندوبية بوعد من السعودية بإمكانية تقديم 100 مليون ريال كإعانة.

والمؤسف أن البلدان العربية لم تكن يومها تصدّق بأن يكون للشعب الجزائري طليعة تستطيع زعزعة نظام استعماري تشبث كالأخطبوط بهذه الأرض، سيما وأن الجزائر ملحقة قانونا بفرنسا.

ولم تكن الدول العربية من القوّة بمكان يسمح لها بتعكير أجواء العلاقات مع فرنسا، لذا فضّلت التريّث.

---

1) – تم إرسال 30 بندقية حربية إلى المنطقة الثانية فتسلم منها ابن طوبال 15 وزيروت 11، واعتبرت الأربعة الأخرى غير صالحة.

وعندما اندلعت الثورة وكثر المجندون في صفوف الثورة، اشتدت الحاجة إلى السلاح أكثر من ذي قبل، سيما وأن بعض الأسلحة تقع في أيدي العدو خلال المعارك أو الكمائن أو تتلف نتيجة الاستعمال. ولما لاحظ ابن بولعيد ذلك ساءه كما يسوء أي قائد عسكري أن يرى جنوده بدون سلاح أو بسلاح لا يكافئ السلاح الموجود عند عدوه، فقرّر السّفر إلى الخارج والاتصال بالمكتب الآنف الذكر لتنشيط عملية الإمداد بالسلاح، رغم إحساسه بخطورة المرحلة وصعوبة الطريق، فلما كان بالحدود التونسية الليبية وقع في أسر القوات الفرنسية إثر وشاية لازال الغموض يظلّل بعض أكنافها.

فراسته

كان مصطفى بن بولعيد ذا إدراك متميّز، وكانت له حاسة خاصة يدرك بها الأشياء الباطنة من خلال الأشياء الظاهرة، ويستنبط الأحكام من الأحاديث التي كان يسمعها فيدرك من خلالها ما يجيش في نفوس أصحابها وما تخفيه صدورهم.

فقد رويت عنه عدة روايات في هذا الموضوع، سواء صحّت كلّها أو صحّ بعضها فهي تدلّ عن عبقرية الرجل وعن نظرته العميقة وحسّه المرهف في إدراك ما لا يُدْرَكُ من قبل العامة والقدرة على الغوص في أعماق النفوس ومعرفة خباياها.

فقد روى أحد المناضلين أنه قام بنقل المؤونة رفقة شخصين آخرين إلى وحدة من وحدات المجاهدين كانت متمركزة في حمام أولاد عائشة جنوب غرب آريس - وهو موقع حصين، به ينابيع مياه معدنية دافئة يقصدها المجاهدون للاستحمام والراحة - يقول الراوي: بينما نحن وسط المجاهدين إذ جاءنا شخص يطلب منا الذهاب إلى القائد، ولم نكن نعلم بوجود ابن بولعيد مع الوحدة. فلما مثلنا أمامه، وتبادلنا معه التحيات، وكان برفقته شخص لا نعرفه سألنا ابن بولعيد، كيف تقطعون هذه الأودية، وتسلكون هذه الدروب الوعرة وتلقون بأنفسكم إلى التهلكة ألا تخافون من الاستعمار ومن مراقبة أعوانه؟ ثم أومأ إليّ كمن يطلب منّي الإجابة فقلت: اعلم أنّنا انتظرنا هذه الثورة منذ سنين طويلة وسنعمل على مساندتها والوقوف معها مهما كلفنا ذلك، أشار بعدها إلى محمد عثماني المعروف بمحند اعثمان[1]. فردّ عليه: كنت في المهجر وعندما علمت باندلاع الثورة جئت لأقوم بواجبي اتجاه وطني.

1) - استشهد برتبة ضابط في جبل لفجوج بأم البواقي خلال سنة 1956م.

فلما أشار إلى زميلنا الثالث - نحتفظ بذكر اسمه - راح هذا يهذر ويرغو كالجمل يسب ويشتم، يشمّر عن ذراعيه تارة ويضرب الأرض بقبضة يده تارة أخرى... وهو يقول: هذا الاستعمار سنفعل به كذا وكذا.... **كل ذلك وابن بولعيد يتابع حديثه في ذهول وبنظرة لا تخلو من الدّهشة والاستغراب ومن الشكّ والريبة.** وما إن تم كلامه حتى قال له ابن بولعيد: ما تستاهل يا (....) يا سيد الرجال، وما لبث هذا الشخص أن انضم طواعية إلى صفوف العدو وأخلص في خدمة الاستعمار ومناوأة الثورة أيّما إخلاص.

كما يروي عيسى اكشيدة أنه التقى عن طريق الصدفة بأحد الفارين من ملاحقة البوليس الاستعماري إلى الأوراس اسمه: ناصر وقد استعار اسم: عنترة فترة من الزمن التقى به في مدينة الجزائر، فأعطاه ابن بولعيد بعض المال وتواعدا على أن يلتقيا في مقهى "بلاص شارتر" ولم يكن يعلم عن نكوص هذا الشخص وعن ردّته، غير أن شيئا ما رابه منه، فلما كان عند عيسى اكشيدة أخبره بالأمر فأرسل هذا ابن أخيه إلى المكان (مكان اللقاء) ولم تمر دقائق على الموعد حتى كان المكان مطوّقا من قبل الشرطة الاستعمارية.

وقريب من هذا ما رواه مناضل آخر عن الشهيد محمد الشريف بن عكشة، فقد لاحظ حسب الراوي عن أحد المناضلين خلال اجتماع للخلية سلوكات رابته، وهي عند الناس لا ترقى إلى أدنى درجة من الشبهة والشك، غير أنه وبفطنته وذكائه أدرك خبث نوايا هذا الشخص فقال له: بريق عينيك تشع منه الخيانة، وكان كذلك. ولا عجب في ذلك فنفوس الأبرار كنوز أسرار فقد وَهَبَهُمُ اللّه عيونا بصيرة تنفذ إلى أعماق النفوس وتعلم خباياها وعقولا نَيِّرَة وقلوبا واعية تدرك الأشياء الباطنة من خلال الأشياء الظاهرة.

دهاؤه وبُعد نظره

بُعد نظره وسِعَةُ صدره وتسامحه وترفعه عن سفاسف الأمور جعله محل تقدير واحترام الناس، وكان لا يتوانى في شراء الذّمم بماله الخاص إذا رأى في ذلك خطرا يهدّد كيان الحزب ووحدته، كما حدث في قضية الأخوين مشلق بباتنة بعد انفجار صندوق القنابل الذي كان مخزّنا بمحلهما.

كما روي أن أشخاصا من قبيلة لها ثقل وعصبية في آريس اعتدوا على شخص من أسرة عناصرها مناضلون أوفياء للحزب، لكنهم أقلية وليس لهم شوكة وعصبية قويّة، فخشي ابن بولعيد من اشتعال نار الفتنة وتدخل الاستعمار في وقت ساد فيه منطق القوة وبخاصة بين أولئك الذين ركبهم الغرور بحكم تقربهم من الحكام، وصارت لهم منزلة وحظوة في المجتمع يلتزم الناس بمراعاتها خوفا من سطوتهم. أو الذين ينتمون إلى الطبقات الأرستقراطية المتفرّدة بالثروة، وأمست هاتان الطائفتان تنظران إلى الطبقة الدنيا من المجتمع نظرة ازدراء واحتقار، فكلما بالغت في إكرامهم بالغوا في إذلالها، وهذه واحدة من الأسباب التي أكرهت بعض الأفراد على التمرد ورفع شعار "هذه لي وهذه للدبوس"! فوصفوا بالخارجين عن القانون أو بالمنافقين حسب التعبير الذي اختارته الطبقة الحاكمة، والغرض من اختيارهم لهذه التسمية واضح. فأوعز ابن بولعيد إلى عناصر يثق في قدرتها على إصلاح ذات البين، وأوصاهم بأن يجعلوا من المعتدي ضحية والمعتدى عليه جانيا، وأن يعطوا المعتدي تعويضا سخيّا على أن يكون ذلك من ماله الخاص.... فعل ذلك وهو يعلم أن الأمر خلاف ما أمر به إذ رأى أن الحكمة اقتضت التصرف لتجنب بواعث الفتنة وإخماد نارها ففعل، وصنع بذلك ما كان يفعله رسول الله ﷺ في بعض غزواته عندما كان يرضي عتاة القوم وأشراف القبائل وساداتها ليتقي شرهم ويأمن جانبهم أو يألف قلوبهم على الإسلام.

وقد حدث خلال سنة 1951م أن وقع خلاف حاد بين قبيلتين في الأوراس وهما: قبيلة التوابة وقبيلة بني بوسليمان أدى إلى سقوط ضحايا من كلا الطرفين وكاد هذا الخلاف يعصف بجهود الرجل وتذهب آماله أدراج الرياح، سيما وأن جل

مناضليه في تلك الفترة من القبيلتين لقرب موطنيهما من مركز نشاطه، وقد اشتدّ النزاع وتفاقم الوضع فتعصب كل فريق لفريقه، وكل فرد لقبيلته، وراح ينادي بالثأر من الفريق الآخر، فسادت روح الانتقام الطرفين وغاب التعقل وتأزّم الموقف فاستغل الاستعمار وأعوانه الوضع المتعفن وسعوا إلى توسيع الهوة بين الفريقين، وإذكاء نار الفتنة بين المتخاصمين وتمزيق وحدة الصف، فما كان من ابن بولعيد - وقد أحس بخطورة الوضع ودقة الموقف - إلا أن أفضى إلى عناصر ممن لهم دراية بأمور الصلح بين الأعراش وإلى كبار القبيلة التي ينتمي إليها بضرورة ضبط النفس وترجيح العقل وتجنب بوادر الفتنة فاجتمع أعيان من قومه في إجرمان بـ: إيشمول لدراسة الوضع، وهناك أبلغهم الصالح بوسعد، - وكان من كبار أعيان التوابة (الدواودة) - رسالة ابن بولعيد الشفوية ودعاهم إلى تجاوز المحنة وتجنب بواعث الفتنة حفاظا على وحدة الأمة فالعدو المشترك هو الاستعمار وهو المستفيد الأول والأخير من هذه المحنة.

وهكذا تم تفويت الفرصة على الاستعمار بضرب وحدة الصف وإحداث الفُرْقة بين الإخوة. وبعد أن هدأت العاصفة وساد الهدوء، وبإشارة من ابن بولعيد أوفدت حركة الانتصار السيد: بلهادي الأمين، وهو مناضل بارز في الحركة. حيث جمع له ابن بولعيد كبار المناضلين والأعيان من العرشين في دشرة أولاد موسى التي شهدت فيما بعد تدفق عشرات الأفواج من المناضلين ليلة الفاتح من نوفمبر.

وكان ذلك في آخر سنة 1952م تم خلاله إزالة ما تبقى من الضغائن والأحقاد في النفوس والتأم الجمع من جديد والتحم الصّدع بترفّع المناضلين ثم عامة المواطنين عن كل ما من شأنه أن يمزق وحدة الصف ويضعف الأمّة، والتفّ الجميع من جديد حول القضية الوطنية.

وقد وقف ابن بولعيد خلال عمُرِ الأزمة موقفا مشرّفا يشهد له بكريم الفعال وجميل الخصال، حيث تجرّد من العاطفة القبلية ومن العصبية الممقوتة، وظل ثابتا كَالْمَعْلَمِ لا تزعزعه العواطف ولا تجرفه الأهواء إلى أن جاء الفرج من عند اللّه وكلّلت مساعيه بالنجاح، وهي مكرمة أخرى تشهد له بسعة صدره وجميل خلقه.

احتواؤه لفريق الخارجين عن القانون

استطاع ابن بولعيد بحنكته السياسية وببعد نظره أن يطوّع جماعة من الأشخاص كانوا قد لجأوا إلى الجبال فارّين من وجه العدالة. وكان بعضهم قد اعتصم بالجبل من عدّة سنوات، وللأمانة التاريخية وإنصافا للتاريخ وللتاريخ وحده، أقول: بأن فرارهم من وجه العدالة كان في إطار القانون العام، وليس له طابع سياسي، وكان نتيجة جنايات واعتداءات اقترفوها ضد أشخاص جزائريين مثلهم يقاسمونهم البؤس والفقر وظلم المستعمر، ولا علاقة لهؤلاء الفارين بالنشاط السياسي البتّة، ولم يكونوا مهيكلين في إطار حزبي أو تنظيم عسكري، حتى بعد أن تشكلت المنظمة الخاصة "الجناح العسكري" لحركة الانتصار والحريات الديمقراطية سنة 1947م، ولا كانوا يحضرون الاجتماعات أو يدفعون الاشتراكات حتى بعد أن انضموا إلى الحركة الوطنية ودخلوا ضمن صفوفها. ولم تكن تجمعهم كلمة واحدة ولا برنامج عمل معين وواضح، وإنما كانوا في عزة وشقاق يمشون فرادى أو مثنى وثلاث حسب العلاقة الشخصية أو علاقة الانتماء، ويتنقلون في مناطق حيث تقيم قبائلهم أو غير بعيد عنها. ويتسترون معظم الوقت، يمارسون الفصل في الخصومات وفق ما تمليه عليهم أهواؤهم ويصدرون أحكاما لا تقبل الطعن ولا تقبل الاستئناف ولا التأجيل ويفرضون عقوبات جسدية وغرامات مالية حسب أهوائهم. -ربما انصفوا مظلوما مرة لكنهم يرتكبون بعدها مظالم لا حصر لها -. ورائدهم في ذلك: الصالح موساوي، المكنى بـ (أبو مصران) وجاء بعده: المسعود بن زلماط الأوّل الذي أحاطه الناس بهالة من الإعجاب وجعلوا منه أسطورة عصره، وحامي الحمى وناصر المظلومين ورمزا من رموز التحدي، ومثالا في العدل والإنصاف، ونسبوا إليه من الفضائل والمكارم ما لا يتسع المكان لذكرها ولا يتفق مع أفعاله فقد زهق أرواحا وسلب أموالا وشرّد أسرا بغير حق، وما فتئ الشيوخ وكبار السن يتحدثون عنها[1].

---

1) - لجأ مع أخيه علي إلى الجبل واعتصما به بين سنتي 1915-1921 فلما قتل علي بقي مسعود فترة ثم انضم إلى جماعة الختاتي بناحية البراجة وقتل من طرف القومية في ملاقو حوز خنشلة - حسب تقرير المتصرف الإداري إلى نائب عامل العمالة بباتنة - في 7 مارس 1921.

وقد حفظت له الذاكرة الشعبية أشعارا قيلت فيه إما خوفا من بطشه أو طمعا في عفوه، وقد ظل الناس يترنمون بها عقودا من الزمن بعد اختفائه.

وهذه بعضها:

الفوشي أونسمار	البلغث ذو قذار	وذين ذا المسعود أوقزلماط
الفوشي: نوع من أسلحة الصيد المعروفة.	(البلغة) حذاء جلدي فاخر في الرجل	ذاك المسعود بن زلماط

المسعود أقزلماط	أشلاغم أومّار	الحرم إذورار
المسعود بن زلماط	شوارب الصيد	حامي الجبال

وقد حاول الاستعمار إغراء بعضهم بإصدار العفو في حقهم، بل وإعطائهم امتيازات مادية ومكانة اجتماعية إن هم قاموا بقتل ابن بولعيد فهمَّ بعضهم بفعل ذلك حسب بعض الروايات – ولا نذكر هنا الأسماء لأن النوايا أفعال باطنية لا يمكن الحكم عليها، ونحن لا نحكم إلا من خلال السلوكات الظاهرة – فتفطن مناضلون مخلصون لما يحاك ضدّ ابن بولعيد ونقلوا إليه ذلك.

فماذا فعل ابن بولعيد بعد أن اتّضح له أنّهم أصبحوا مصدر قلق وفتنة في وقت ظهرت فيه معالم الوحدة بين القبائل المختلفة لمواجهة خطر الاستعمار المستديم، لم يؤلف جيشا، ولم يسلح شبابا، ولم يجند عسسا، إنما سلك سبيلا آخر فقد سعى للاتصال بهم ودمجهم في الحركة الوطنية عن طريق مجموعة من المناضلين القدامى المحنكين منهم.

1) – اسمايحي بلقاسم 2) – عزوي مدور 3) – بلعقون مسعود، وكان الثلاثة جهابذة في السياسة وروّاداً في النّضال، فضبطوا لهم موعدا بغابة "أقروي" قبالة دشرة أولاد موسى التي أنجبت فيما بعد أعظم مولود في تاريخ الجزائر الحديثة، فساد اللقاء نوع من التحفظ إلا أن الحوار كان جديا، وقد أدّى

بعد لقاءات أخرى إلى تكوين قناعة لدى هؤلاء الفارّين، فقبلوا الانضمام إلى الحزب والعمل تحت لواء الحركة الوطنية، فكانوا النواة الصّلبة والبذرة الحيّة لجيش منظم عندما أعلنت الثورة. وقد وجدوا بانضمامهم للحركة الوطنية تغطية سياسية وتكفّلت الحركة بنفقات أسرهم كما تخلّوا من جانبهم عن التجاوزات التي عرفوا بها.

وهكذا وبفعل حنكته السياسية وبعد نظره استطاع أن يضمهم إلى صفّه وأن يخلّصهم من السلبيات التي اشتهروا بها ويجعل منهم مناضلين مخلصين للقضية الوطنية بل صار بعضهم قادة أوفياء، واتّخذ اللّه منهم شهداء. قادوا أفواجا وسجلوا ملاحم وبطولات خلدت أسماءهم على صفحات التاريخ، منهم:

1) - قرين بلقاسم 2) - حسين برحايل 3) - رمضان حسوني، وآخرون ممن شهدوا ميلاد ثورة التحرير فجاهدوا وثابروا وصبروا حتى جاء النصر المؤزر، وما النصر إلا من عند اللّه.

والعنصر الوحيد الذي يكتسي عمله الطابع السياسي هو: الوردي بن عبد الهادي أمعاليم فقد شهد هذا المناضل أحداث الشغب التي جرت في دوار تيغانمين في انتخابات المجلس الجزائري سنة 1948م[1]، وخوفا من نقمة الاستعمار وغضب أعوانه فرّ إلى الغابة واعتصم بالجبل مدة، ثم لجأ إلى ابن بولعيد الذي أمر بإعطائه بندقية من مستودع السلاح بالحجاج للدفاع عن نفسه. ولما حاصرته مجموعة من الدرك الاستعماري بدشرة أولاد موسى سنة 1953م تصدّى لها وقتل دركيا واحدا، إلا أنه أصيب على إثرها إصابات بالغة في رأسه وفي قدميه، فألقى عليه القبض وحكم عليه بالمؤبّد، إلى أن جاء الاستقلال ثم أفرج عنه.

---

1) - جرت هذه الانتخابات في دورتين يومي 4 و11 أفريل 1948م.

تنـــقلاته

كان ابن بولعيد دائم التنقل لا يثبت في مكان ولا يستقر في موضع، وكانت جلّ أسفاره منذ أن انخرط في الحزب في خدمة القضية الوطنية سواء داخل الوطن أو خارجه حتى أنّه ولشدّة حرصه لا يرسل نوابا ولا يكلف قادة بهذه المهام، بل كان يقوم بذلك بنفسه كما حصل في رحلته التي ألقي عليه فيها القبض في تونس، فقد قيل إن شيهاني بشير - رحمه اللّه - كان يرغب في الذهاب إلى المشرق لتنظيم وتنشيط خلايا الإمداد بالسلاح كان ابن بولعيد قد أقامها خلال صائفة 1954م في كل من أرديف وقابس، وابن قردان في تونس فمنعه من ذلك وأصرّ على الذهاب بنفسه، وهو يدرك تماما صعوبة المرحلة وخطورة الطريق فكانت رحلته من غابة كيمل إلى الحدود التونسية الليبية حيث ألقي عليه القبض فصلا من فصول المغامرات وضربا من ضروب الخيال، مطاردات بوليسية فمواجهة مسلحة، وتيه في الصحراء مسافة 100 كلم ثم الوقوع في الأسر يوم 11 - 02 - 1955م. والوقوف وقفة الجبارين أمام المحاكم الفرنسية في تونس وفي قسنطينة.

نموذج من القنابل التقليدية التي كانت الحركة تصنعها

وقد ساعدته سعة ذات يده على هذه التنقلات، فقد كان ينفق أمواله على الحركة بغير حساب، سيما بعد أن بدأ التفكير في الثورة المسلّحة، وبعبارة أوضح منذ أن أنشئت المنظمة السرية (الخاصة) حيث أصبح الأمر يستوجب تكثيف الاتصالات السرية وتبادل المعلومات بين قادتها، وإظهار المزيد من الجدية في العمل.

أنشأ الرجل بعدها عدّة منشآت لصناعة القنابل وتجميعها كالتي أقامها بضيعته بأسلاف "فم الطوب" ومستودعاً للتخزين في محل الأخوين مشلق بباتنة، وفتح ممرات عبر الصحراء الشرقية لتهريب الأسلحة وتخزينها في قرية الحجاج قريبا من آريس.

من مخزون الألغام التقليدية

ونظرا لخطورة العملية فقد كان يشرف عليها بنفسه مع ثلّة من المناضلين المخلصين مثل: لخضر بعزي وابنيه: علي ومحمد، وعزوي مدور، وكعباشي عثمان، واسمايحي بلقاسم. ناهيك عن النشاطات السياسية الكثيفة على المستوى المحلي وعن الاتصالات بالقادة السياسيين داخل الوطن وخارجه لتنسيق المواقف وتبادل الأفكار وتوحيد الرؤى وخاصة فيما يتعلق بموضوع تهريب السلاح وطريقة عبوره للحدود وتجميعه في أماكن آمنة، وفي تعيين نقاط عبور وممرات محروسة لتمرير هذه الأسلحة إلى داخل الوطن.

المجاهد لخضر بعزي

إنها مهام في غاية الدقة والحساسية وفي منتهى الخطورة لا يتصدى لها إلا أولوا العزم من الرجال المخلصين ممن جاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل اللّه من أمثال: لخضر بعزي وابنيه علي ومحمد.

فإذا علمنا أن جل هذه التنقلات كانت تتم في سرية تامة لأن صاحبها متابع ومراقب باستمرار من قبل عناصر عميلة سخّرت نفسها لخدمة أهداف الاستعمار. أدركنا مدى الصعوبة التي كانت تواجهه في هذه التنقلات وكيف كان يتخلص منها.

رجل المهام الصعبة

* تكفل طواعية بقضية التسليح وأنشأ شبكات تهريب للأسلحة الحربية من تونس وليبيا عبر الصحراء الشاسعة.

* ترأس جماعة 22 المجتمعة في دار إلياس دريش في الجزائر بصفته العنصر الوحيد الذي كان يجمع بين المهمتين السياسية والعسكرية، فهو عضو في اللجنة المركزية لحركة الانتصار للحريات الديمقراطية، وعضو في المنظمة السرية على رأس إقليم ظل ينشط حتى بعد أن تم اكتشاف هذه المنظمة وتفكيكها سنة 1950م[1].

* انتخب في هذا الاجتماع عضو في لجنة الخمسة المكلفة بالتنسيق والاعداد للثورة، وأعضاؤها هم: 1) - مصطفى بن بولعيد، 2) - محمد بوضياف، 3) - العربي بن مهيدي، 4) - مراد ديدوش، 5) - رابح بيطاط.

وقد سميت فيما بعد بلجنة الستة بعد أن انضم إليها: كريم بلقاسم الذي لم يحضر اجتماع 22 بسبب موقفه المؤيد لمصالي الحاج. ويعتبر هذا الاجتماع منعطفا تاريخيا في حياة البلاد السياسية ونقطة تحوّل من منظومة سياسية جامدة ظلت تراوح مكانها ردحا من الزمن إلى حركة وطنية ثورية.

* اتصل بمعية السيد: محمد بوضياف بالسيدين: كريم بلقاسم ونائبه عمار أوعمران بجرجرة وسعيا إلى إقناعهما بالعدول عن موقفهما المؤيد لمصالي ذي النزعة الأحادية والنظرة الفوقية، وبعد فترة من التريث والتفكير، وبعد اتصالات مع قيادة الحركة في مؤتمر "هورنو" ببلجيكا خلال شهر جويلية 1954م، تأكد لكريم ذلك فأعلن بعدها تخليه عن المصالية، فضُم إلى لجنة الخمسة وسميت منذ ذلك التاريخ بلجنة الستة.

1) - ملحمة الجزائر الجديدة لـ: عمار قليل الجزء الأوّل ص 179 هامش 90.

• اتصل بـ مصالي في نيور (NIORT) بفرنسا حيث كان موضوعا تحت الإقامة الجبرية وكان قد نُقل إليها بعد أحداث 14 مايو 1954م بمدينة الأصنام، وذلك بعد تأسيس "اللجنة الثورية للوحدة والعمل" كحركة وسطية حيادية تحول دون استمرار تأزم الخلاف بين جناحي الحركة المتصارعين. وحاول إقناعه بأن يبارك اندلاع الثورة ويدعمها، غير أن مصالي أصرّ على أن ذلك لا يتم إلاّ في إطار مؤتمر شامل، ورفض رفضا قاطعا الاعتراف بشرعية هذه القرارات، فعاد ابن بولعيد يائسا، وقال فيه قولته المشهورة: "سي الحاج" انتهى! إنّ ما سمعته منه لا يمتّ إلى الحكمة ولا إلى العقل ولا إلى المصلحة العامة للوطن والحزب".

• اتصل بالإخوة: آيت أحمد، وأحمد بن بلّة، ومحمد خيضر المقيمين بسويسرا بهدف الدعاية للثورة في الخارج والعمل على حشد الدعم السياسي للقضية الوطنية، وأبلغهم قرارات وتوصيات جماعة 22.

• شارك في اجتماع الستة بتاريخ 10 - 10 - 1954م الذي طبع الحياة السياسية في البلاد بقرارين هامين.

أ) - الإعلان عن تأسيس حركة سياسية جديدة تسمى "جبهة التحرير الوطني" وقد اختاروا لها اسم "الجبهة" لتكون جبهة موحدة تستقطب كافة الاتجاهات التي ترفض العمل السياسي الجامد، واقترح بعضهم بأن تسمى "جبهة الاستقلال الوطني" غير أنّ ابن بولعيد فضل كلمة التحرير لما لهذه الكلمة من وقع في نفوس المناضلين كحركة ثورية تسعى إلى إجلاء الغزاة الدخلاء وتحقيق الاستقلال التام والتحرّر من (التّبعية) وقال: إننا غير مستقلين وسيبدأ التحرير قريبا. فوافق الحاضرون على هذه التسمية (جبهة التحرير الوطني) التي خلفت "اللجنة الثورية للوحدة والعمل".

ب) - تحديد تاريخ اندلاع الثورة يوم 1 - 11 - 1954م. وحول هذا الموضوع.

• عمل في إطار لجنة الستة الأقطاب لإعداد بيان أول نوفمبر باسم الحركة الجديدة "جبهة التحرير الوطني" ونداء موجه للجيش الفرنسي.

• حضر اجتماعا وقع في دار مراد بوقشور قبل إعلان الثورة المسلحة بأسبوع. حيث قام المجتمعون – أعضاء اللّجنة الستّة – بوضع بيان أول نوفمبر في صيغته النهائية وبالتحديد يوم: 23 – 10 - 1954م.

• أشرف على اجتماع "لقرين" حيث تم إعلام إطارات الناحية بتاريخ بدء العمليات القتالية وضبط النقاط المستهدفة، كما قام بإبلاغ التوصيات العامة والخاصة بسير هذه العمليات والأهداف القريبة والبعيدة منها.

• تعهد أمام لجنة الستة بإرسال أفواج من المقاتلين من الأوراس إلى البليدة، عندما علم بأن المركزيين قاموا بتفكيك أفواج شُكّلت لهذا الغرض في كل من بوفاريك والبليدة وبعد دراسة جادّة للاقتراح من قبل اللجنة، ظهرت صعوبات أخرى تحول دون نجاح هذه المهمّة مثل: جهل المقاتلين بمنطقة متيجة، الملامح الشخصية، اللهجة المحلية.... وهذه وحدها كفيلة بأن تجعل من هؤلاء المتطوعين أهدافا سهلة للقوات الاستعمارية. وقام بعدها القائد أو عمران مع طائفة من المجاهدين من منطقة القبائل بتعويض هذه الأفواج حيث أشرف بنفسه على عملية بطولية رفقة البطل بوجمعة سويداني استهدفت مركزا للحراسة في ضواحي بوفاريك، وقد تم غنم عشرة بنادق حربية[1].

• أشرف على عملية توزيع السلاح وهيكلة الأفواج وتنظيمها ليلة الفاتح من نوفمبر سنة 1954م بدشرة أولاد موسى وخنقة لحدادة.

---

1) – تم ذلك بمساعدة الرقيب مسعود بن طوبال شقيق الزعيم. لخضر بن طوبال وكان مجندًا ضمن القوات الفرنسية مكلفا بالحراسة في تلك الليلة.

مشاركته في انتخابات المجلس الجزائري

قررت "حركة انتصار الحريات الديمقراطية" المشاركة في الانتخابات التي تعتزم فرنسا إجراءها في الجزائر بتاريخ 4 أفريل 1948م لتأسيس المجلس الجزائري، وأعطت تعليمات بترشيح مناضلين في الحركة من القاعدة، ولهذا الغرض اجتمع مناضلون في الحركة "بتانوث" وهي منطقة معزولة في آريس، وبإيعاز من السيد: العربي بن مهيدي المسؤول الجهوي للمنظمة السرية والذي ترأس الاجتماع تمّ ترشيح السيد: مصطفى بن بولعيد لخوض غمار هذه الانتخابات، وكانوا يعلمون مسبقا بأن فرنسا وعملاءها سوف يحاولون العبث بنتائج هذه الانتخابات، غير أنهم أصروا على المشاركة فيها لأن ذلك:

1) - يشكل تحديا لفرنسا وعملائها.

2) - يؤجج شعلة النضال في قلوب أنصار الحركة.

3) - يتيح للحركة تقدير وتقويم المدّ السياسي في أعماق الجماهير الشعبية من خلال حجم المشاركة.

4) - يزيح الستار عن عملاء الاستعمار ويكشف عنهم غطاءهم.

وهذا ما حدث خلال الانتخابات فقد جندت لها فرنسا عملاء وأعوانا أذنابا حاولوا توجيه الناس إما بـ: الإغراء أو بـ: التهديد.

فالتفّ المناضلون حول الحركة وتصدّوا لكل محاولة غشّ أو تهديد أو تزييف. فكان هذا كلّه خير بالنسبة للحركة. إذ أكّد لها مناضلوها قدرتهم على الالتفاف حولها والدفاع عن مشاريعها السياسية، رغم أساليب البطش التي عوّدهم بها الاستعمار.

وقد حدثت مناوشات في عدّة مكاتب انتخاب في كل من: كيمل، وتيغانمين، وفي بوزينة وفم الطوب، وفي أماكن أخرى. وتكشف كثرة

المناوشات عن النوايا المسبقة للاستعمار في الغش والتزوير، وتؤكد من جهة أخرى إصرار أنصار الحركة على التحدي والوقوف إلى جانب مرشحهم، وبالتالي الوقوف إلى جانب الحركة الوطنية ونصرتها، ورغم كل ذلك فقد ظهرت النتائج لصالح ابن بولعيد مرشح حركة الانتصار للحريات الديمقراطية في آريس في الدور الأول. وهذا ما حدا بالحاكم في آريس بأن يستدعيه إلى مكتبه وأن يحاول استدراجه للوقوف مع فرنسا ليضمن له النجاح في الدور الثاني، غير أنّ ابن بولعيد بمواقفه الثابتة وبتحدٍّ صارخ لَمْ يعهده الحاكم ردَّ عليه: "إذا نجحت عند الشعب فلا يهمني النجاح عند فرنسا".

فكان أن زوّرت فرنسا الانتخابات في الدور الثاني لصالح منافسه ابن خليل من حزب البيان. وارتبطت فضيحة التزوير هذه بالوالي العام للجزائر "إدمون نايجلان" واقترنت باسمه واشتهر بها. وكان هذا أحد الأسباب التي دفعت بالمواطنين للإقبال أفواجا للانخراط كمناضلين في الحركة. وممّا يدلّ على تعاطف الشعب مع الحركة ونصرتها وتغلغل الشعور القومي في أعماق مختلف الشرائح الاجتماعية تلك الأهازيج التي قيلت بالمناسبة منها:

يا بريـزدان يا بولـعدان   يسلِّم عليكم الحاج مصالي

إقولكم الفوط على الوطني

وتفسيرها: يا رئيس يا بن بولعيد.   يسلم عليكم الحاج مصالي

يقول لكم انتخبوا على الحزب الوطني.

تهديدات ومحاولات اغتيال متكررة

لمّا يئس الاستعمار من الحدّ من المدّ السياسي لنشاط ابن بولعيد في أعماق الجماهير الشعبية عن طريق الإغراء بالمناصب أحيانا أوالتزكية في الانتخابات أحيانا أخرى أو عن طريق التهديد والوعيد وما إلى ذلك من الأساليب الماكرة التي يلجأ إليها عادة لاستمالة ضعاف النفوس، وبعد أن بلغه تكاثر جموعه وتناقص أعوان الاستعمار وتنامي الشعور الوطني والعداء للمحتلّ في أوساط الشعب باطراد.

عرف أن الرجل لن تلين قناته، فقرر التخلص منه عن طريق الاغتيال والغدر به، فأرسل إليه من يفعل ذلك في جوف من الليل مظلما، واستطاع هذا العميل أن يصل إلى باب بيته وأن يمطره بوابل من الرصاص. وكان معه صهره وشخص ثالث[1] فانجاهم الله وحفظهم فلم يصب منهم أحد، وفرّ هذا الخائن ومعه كيده والله لا يهدي كيد الخائنين، وكرّر الاستعمار المحاولة مرة أخرى حين أوحى إلى عميل آخر من عملائه بتنفيذ عملية الاغتيال، فتسلق هذا شجرة جوز بعض أغصانها مطلة على فناء دار ابن بولعيد إمعانا منه في تحديد مكان وجوده وتسديد الضّرْبة إليه، ويشاء القدر أن يحس ابن بولعيد بوجود حركة في ساحة الدار، فتأهب للخروج، وقذف الله في قلب عدوّه الرّعب، فألقى بنفسه من أعلى الشجرة وفرّ هاربا، فما كان من ابن بولعيد إلا أن أمر بتنحية الأغصان المطلة على صحن الدار حتى لا يتخذ منها المعتدون أبراجا لمراقبته في بيته أو تسديد الضربات إليه.

أما المحاولة الثالثة فقد فشلت قبل التنفيذ، إذ أغرى الباشا آغا التّاوتي – قائد إيشمول – رجلا بمبلغ 700.000 فرنك إن هو أقدم على اغتيال ابن بولعيد وزوّده بمسدس، وقد همّ هذا الرجل بتنفيذ العملية والغدر به، فلما علم بعض المناضلين بذلك راحوا إليه وعاتبوه بل وهدّدوه إن هو أقدم على ذلك فعرف أن أمره قد اكتشف، وسوء نيته قد افتضح، وعمالته للاستعمار قد بانت.

---

1) – قيل: إنه عبد الله بوغريس.

فاعتذر عما كان ينوي الإقدام عليه، وظل ضميره يؤنّبه إلى أن استيقظت فيه بذرة الخير وأذكت في قلبه شعلة من الوطنية، فانخرط مناضلا في الحركة الوطنية ومجاهدا من الرّعيل الأوّل وشهيدا في سبيل الوطن[1] - رحمه الله - ولما لم تستطع الأيادي القذرة أن تصل إليه وأن تتخلص منه عن طريق المكائد عملوا على تهديده وإضعاف معنوياته بوسائل أخرى لا تقل قذارة عن سابقاتها، حيث بعثوا بشخصين لاغتيال أخيه: عمر، في مدخل الجسر الفاصل بين شطري المدينة - آريس -، فلما انهالا عليه ضربا بالعصيّ، أخرج مسدسه وأطلق عليهما الرصاص فأردى أحدهما قتيلا وأصاب الآخر بجروح لكنه لاذ بالفرار.

ناهيك عن أقوال وأحاديث كان الاستعمار وأذنابه يذيعونها بانتظام بنيّة الإساءة المعنوية لأسرة ابن بولعيد. غير أن الرجل ظل صامدا كالجبل ثابتا كالعملاق لم ينكص على عقبيه ولم يتزعزع قيد أنملة بل زادت ثقته بالله وبنفسه، وعرف أن كيد الاستعمار وأذنابه عظيم، فازداد إصرارا وزادت مكانته بين المواطنين علوّا وارتفاعا - ولن يضر السحاب نباح الكلاب -.

فلم يتخذ لنفسه حرسا ولم يجنّد أتباعا ولم يقم عسسا، بل أيقن أن الآلام العظيمة لا بدّ أن تنجب أعمالا عظيمة، وأن الأفعال الدّنيئة لن تشوب المعادن الكريمة، فلم ينتقم من أحد، بل ولم يعاتب أحدا، وكان بإمكانه أن يفعل إذْ أصبح لديه جيش من الشباب يفيض حماسا، فلو ألمح إليه مجرد لمح البصر لفعل الكثير، لكنه تريّث إلى حين، وظل رابط الجأش هادئا ساكنا لا يرى على وجهه أثر للغضب ولا لليأس والإحباط، مهما تكررت المحاولات، فكان كالذهب الخالص كلما وضع على النار ازداد بريقه توهّجا ولمعانا، ولا عجب أن يكون كذلك فالنفوس إن كانت كبيرة تعبت في حملها الأجسام. وقديما، قال أبو الفوارس: عنترة بن شداد.

لايحمل الحقد من تعلو به الرتب ولا ينال العلا من طبعه الغضب

---

1) - يعرف هذا الشخص باسم: بوحنيك.

مصطفى بن بولعيد بالزي العسكري

الباب الثالث

الفصل الأوّل

إنتهاء العد التنازلي

كم يكون صعبا على أي قائد أن يتّخذ مثل هذا القرار. قرار حرب ضدّ عدو يملك من وسائل البطش ما يملك، ولا يتردّد في استخدامها.... وقد فعل ذلك مرارا وتكراراً في هذا الوطن، فنكّل بالضّعفاء وأجهز على المرضى وسدّ المنافذ على الناس في المغارات وهم أحياء، وكان آخر ما فعل تلك المجازر الرهيبة التي ارتكبها منذ أقل من عشر سنوات في كل من: سطيف وقالمة وخراطة وعين الكبيرة، وعين أعبيد ومدنٍ أخرى ولا زالت آثار تلك الجروح تنزف دما، حيث مثّل ونكّل وأحرق وخرق كلّ المواثيق والأعراف والشرائع.

إنه قرار صعب وخطير عند كل قائد لا يريد أن يجازف بمصير أمّة وبحياة شعب عانى من الذلّ الكثير. غير أن السيف قد سبق الْعَذَلَ والقرار أمسى خيار شعب طال عليه الأمد، وإرادة أمّة تطاول عليها الأوباش، وهو في أسوإ الحالات أفضل من العبودية وأهون من الذلّ الذي سلّطه الاستعمار على هذا الشعب منذ أزيد من قرن وربع قرن.

ومهما يكن فإن ماجرى في الانتفاضات السابقة من حرق وقتل وتدمير وسلب للأموال وهتك للأعراض هي التي ستكرّر هذه المرّة وهو منطق الاستعمار في كل المستعمرات ولا يجيد غيره، وقد جرى في هذه الربوع من الوطن سنة 1879م من قبل المستعمرين ومن قبل فرق القوم المستقدمين من الصحراء ومن جهات أخرى ما يغني الناس عن التساؤل عما سيحدث.

ومادام الأمر قد فصل فيه قادة الثورة الستة خلال اجتماع: 22 - 23 - 24 أكتوبر 1954م، وكانوا قد درسوا بإمعان أسباب فشل الانتفاضات السابقة، وحاولوا تجنب تكرار نفس الأخطاء ووضعوا من أجل ذلك نظاما محكما واستراتيجية دقيقة وواضحة فيما يتعلق بـ:

« الدّعاية » الدّعاية المضادة » التّسليح » التجنيد » التموين، بالإضافة إلى توصيات مختلفة تتعلق بأسلوب مواجهة عدو شرس مجبول على الانتقام.

وقد تعهد ابن بولعيد أمام هؤلاء القادة بأن تتحمل الأوراس أعباء الثورة مدّة ثمانية أشهر لوحدها في انتظار إتمام هيكلة الأفواج وتسليحها في المناطق الأخرى لضمان انطلاقة فعّالة - وكان وعده مفعولا - وهو قرار خطير ومكرمة أخرى لابن بولعيد، وعبء ثقيل تحمّله سكّان الأوراس طيلة سنة كاملة. حيث زجّ الاستعمار في الميدان أحسن قواته تدريبا وتسليحا وانهالت على الأوراس كالبَرَدِ الشديد من كلّ جهة. فيالق من اللفيف الأجنبي المدرب تدريبا عاليا والمخصص لكل المهمات - فرق من الجنود السنغال - 10 فيالق من الجنود المغاربة، وأخرى من الحركى......

ناهيك عن الفرق التي أنشأها الكولون، وقد أحاطت بالأوراس من جميع جهاته إحاطة السّوار بالمعصم كما رابطت حول المدن وتمركزت في القرى وفي المفترقات، وحتى لا نكون مغالين فيما نقول، ندع صاحب "التاريخ العسكري" لحرب الجزائر «هنري لومير» يصف الوضع.

"في آريس تمركز 3cme rei وحدة شديدة متهيئة لمعركة منظمة والتي تشير بتطاول عدوها الذي لا يمكن مسكه، وكان هذا الجيش بقيادة رجل شديد هو العقيد: طوماس صاحب خبرة Vieux Legionnaire ويعرف مجموعته جيّدا.... المواصلات شرقا وغربا تكاد تكون مستحيلة وعمق الأودية يضطرّ السالكين لإمضاء عدّة ساعات قبل الانتقال من ضفة إلى أخرى. حيث يصرّح قادة الطائرات الاستطلاعية بكل يأس "لكن الفلاقة يوجدون بقربكم". ويقول في موضع آخر:

"وكان البعض ممن لا يثقون تماما في مهاراتهم يقولون كعذر عن هزيمة مقبلة ماذا تستطيعون ضد متوحشي الأوراس وضد محاربي النمامشة الذين يعيشون بدون ماء كالزواحف؟ إنّ الأوروبي لا يمكن أن يحرز تقدّما ما ضدّ عدو بدوي أو جبلي يكتفي بحفنة تمر في اليوم، ويتنقل بخفة وبدون عياء ظاهر على أرض

وقد تعهد ابن بولعيد أمام هؤلاء القادة بأن تتحمل الأوراس أعباء الثورة مدّة ثمانية أشهر لوحدها في انتظار إتمام هيكلة الأفواج وتسليحها في المناطق الأخرى لضمان انطلاقة فعّالة - وكان وعده مفعولا - وهو قرار خطير ومكرمة أخرى لابن بولعيد، وعبء ثقيل تحمّله سكّان الأوراس طيلة سنة كاملة. حيث زجّ الاستعمار في الميدان أحسن قواته تدريبا وتسليحا وانهالت على الأوراس كالبَرَدِ الشديد من كلّ جهة. فيالق من اللفيف الأجنبي المدرب تدريبا عاليا والمخصص لكل المهمات - فرق من الجنود السنغال - 10 فيالق من الجنود المغاربة، وأخرى من الحركى......

ناهيك عن الفرق التي أنشأها الكولون، وقد أحاطت بالأوراس من جميع جهاته إحاطة السّوار بالمعصم كما رابطت حول المدن وتمركزت في القرى وفي المفترقات، وحتى لا نكون مغالين فيما نقول، ندع صاحب "التاريخ العسكري" لحرب الجزائر «هنري لومير» يصف الوضع.

"في آريس تمركز 3eme rei وحدة شديدة متهيّئة لمعركة منظمة والتي تشير بتطاول عدوها الذي لا يمكن مسكه، وكان هذا الجيش بقيادة رجل شديد هو العقيد: طوماس صاحب خبرة Vieux Legionnaire ويعرف مجموعته جيّدا.... المواصلات شرقا وغربا تكاد تكون مستحيلة وعمق الأودية يضطرّ السالكين لإمضاء عدّة ساعات قبل الانتقال من ضفة إلى أخرى. حيث يصرّح قادة الطائرات الاستطلاعية بكل يأس "لكن الفلاقة يوجدون بقربكم". ويقول في موضع آخر:

"وكان البعض ممن لا يثقون تماما في مهاراتهم يقولون كعذر عن هزيمة مقبلة ماذا تستطيعون ضد متوحشي الأوراس وضد محاربي النمامشة الذين يعيشون

1) - عن التاريخ العسكري لحرب الجزائر لـ: هنري لومير الصفحتان: 41 و52.

وقد ظل المناضلون يتوافدون من كل حدب وصوب وفي حذر شديد وسرية تامة على القريتين وتجمعوا في كل من دار: علي بن شائبة بدشرة أولاد موسى ودار الأخوين بولقواس في خنقة لحدادة بتيبكاوين...

كانت الحيطة والحذر اللتان تطبعان الحدث غير مألوفتين، مما جعل المناضلين يتوجّسون بأن في الأمر سرّا ويخشون أن ماكانوا يوعدون به لآت وأن اليوم سلام وغدًا كلام.... تهافت متواصل من قبل المناضلين... حركات سريعة غير عادية يبديها المسؤولون، يقظة قصوى... مناجاة وترقب وانتظار، كلها تثير إحساسا خاصا في نفس كل مناضل وتجعله يتوقع أمرا عظيما.

فلما كانت الساعة الحادية عشر ليلاً من مساء يوم 31 - 10 - 1954 دخل المسؤولون المكلفون بالتنظيم في دشرة أولاد موسى ودخل بعدهما كل من: مصطفى بن بولعيد وبشير شيحاني فساد الصمت الدار لحظة وأشرأبت الأعناق إليهما وراح المناضلون يتبادلون النظرات خلسة والكلمات همساً، وبعد لحظات قليلة سمحت لابن بولعيد بإلقاء نظرة سريعة على من في الدار.... تكلم فأوجز، حيث حمد اللّه وأثنى عليه وشكر المناضلين على تلبية الدعوة، وأعلمهم بأن ساعة الجهاد قد حانت وأن أجل المستعمر قد اقترب وما النصر إلا من عند اللّه. فقرار الحرب هو الخيار الوحيد الذي بقي لدى الجزائريين بعد أن استنفدوا كل الخيارات السياسية. فالعدو قد شعر بالأمان، بل شعر بالغلبة والقوة فراح يسلب الأموال ويشرّد الرّجال ويهتك الأعراض ويمارس البطش بكل ألوانه، وليس من سبيل لإيقاف هذا الطيش وهذه الغطرسة إلا الحرب. وحث الجميع على الصبر والتجلّد وتحمّل شظف العيش وقساوة الطبيعة والبأس في القتال، والنّصر آت بإذن اللّه.

فعل ذلك في كل من دار بولقواس في تيبكاوين (خنقة لحدادة) وفي دشرة أولاد موسى شمالي شرق آريس، وكانت الأسلحة قد وزّعت على المجاهدين قبل هذه الساعات بقليل، وأعطيت كلمة السرّ (اللّه أكبر: خالد، عقبة) تيمّنا بهذين الفاتحين والقائدين العظيمين، ثم أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن اللّه على نصرهم لقدير.

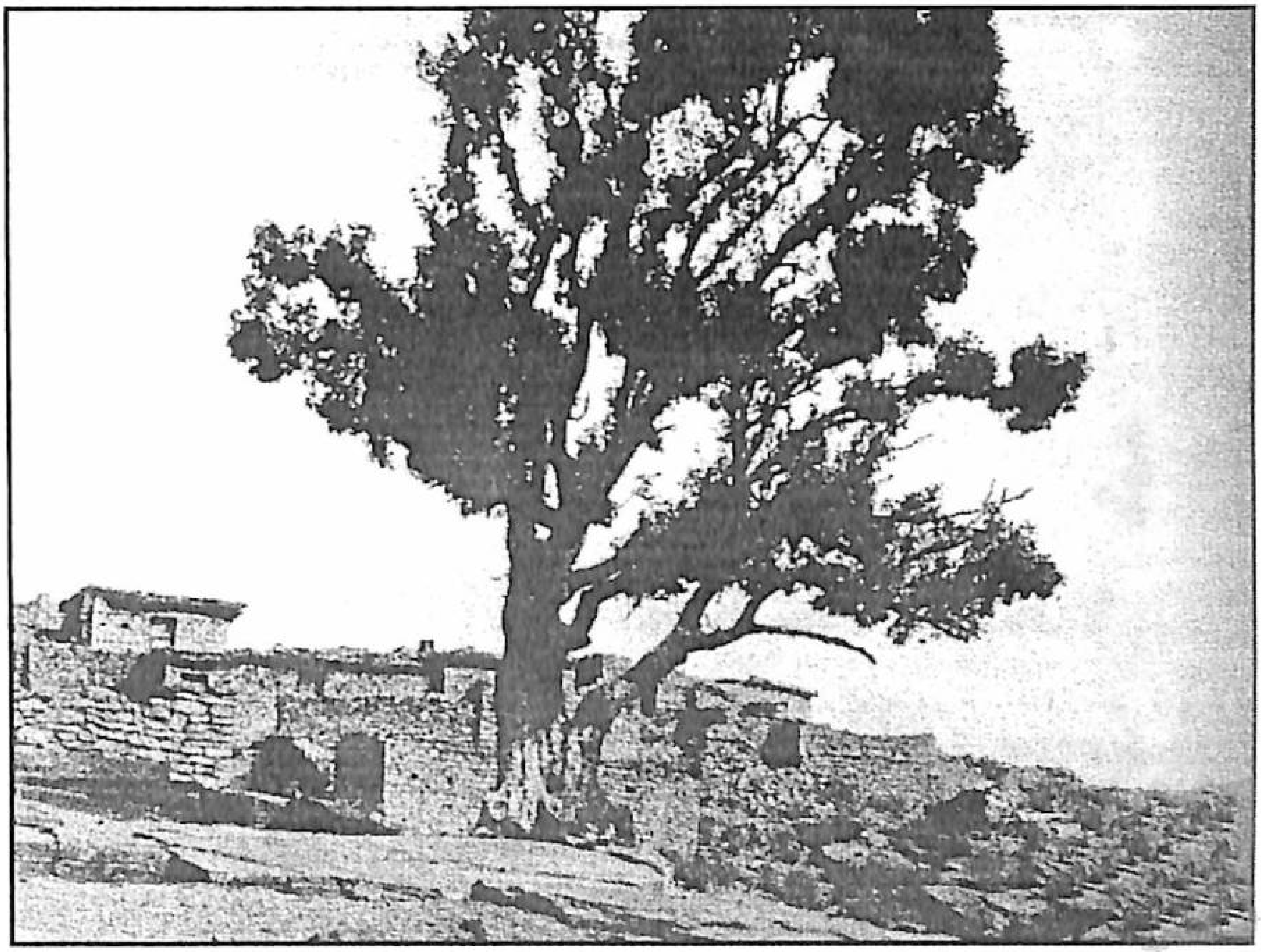

جانب من دشرة أولاد موسى القرية التي هز دويّها عرش الإمبراطورية

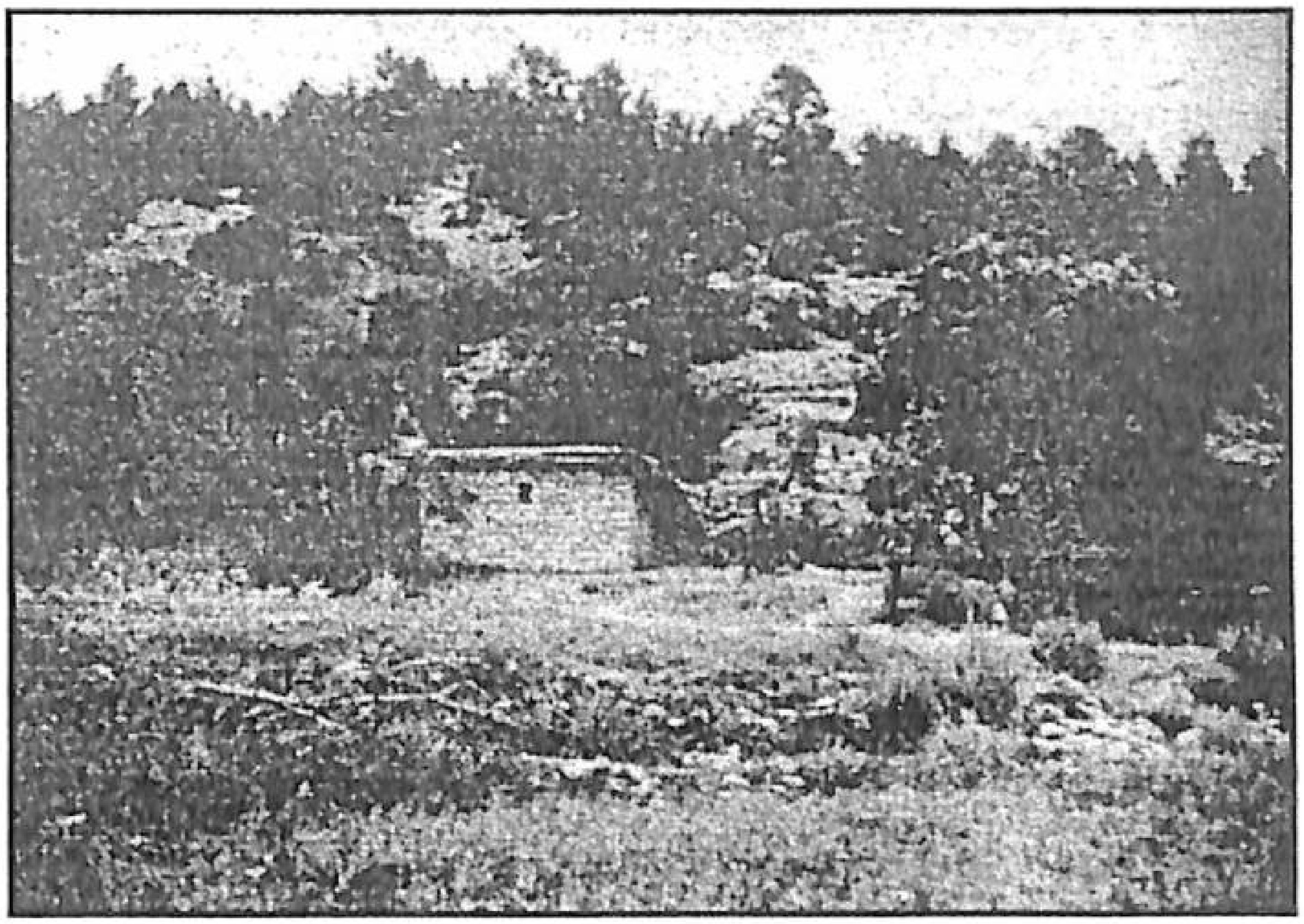

دار لخضر بعزي: ففي هذه الدار، اجتمع ابن بولعيد
بقادة الحركة وفيها وضعت آخر اللمسات

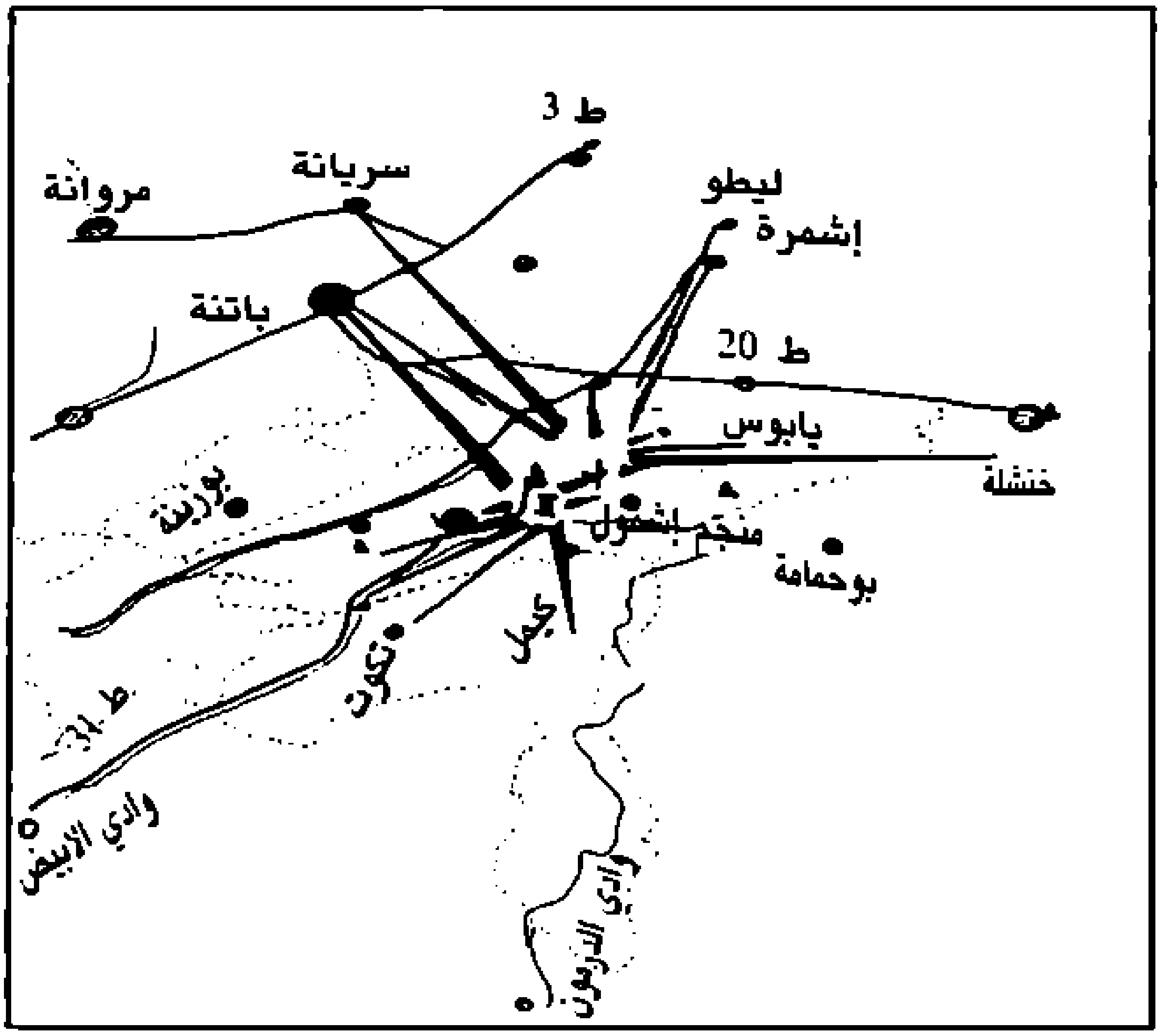

توزيع العمليات ليلة الفاتح من نوفمبر 1954 بمنطقة الأوراس

فانطلقت الأفواج في كلّ جهة لضرب أهداف تم تحديدها بدقة أمام إطارات المنطقة في اجتماع لقرين.

ومعظم هذه الأهداف كانت ثكنات عسكرية أو مقرات للأمن والدرك الفرنسيين أو منشآت قاعدية لتعطيل مرور المعدات الحربية.... وتسابق الشباب إلى الأهداف رجالا وركبانا وكلهم إصرار على أنه اليوم الحق وما اللّه بغافل عما يعمل الظالمون. فكانت هذه اللحظات منعرجا حاسما في تاريخ الجزائر الحديثة ومحطة كبرى تستوقفنا كل سنة لحظات بل ساعات للتأمّل والاعتبار واسترجاع الذاكرة، بل مشهدا رائعا وموقفا خالدا لأبطال هبّوا في غسق من الليل مظلما من عمق هذا الوطن الأسير ليفكوا عنه الأغلال التي كانت عليه ويزيحوا هذا الجسم القذر الذي جثم على صدره وكتم أنفاسه طيلة قرن ونيف من الزمن وليقولوا للمستعمر إنا هاهنا واقفون، فيدكّوا معاقله بوسائلهم البسيطة وإرادتهم الصّلبة وعزمهم الصادق ليعلم أن ليله الطويل لا بد أن ينقضي وأن فجر الحرية لا بد أن

يبزغ على هذا الوطن. فكانت الطلقات الأولى في كل من: بسكرة، باتنة، خنشلة، سريانة - التي سقط بها أول شهيد (مزوجي عمر)[1] وفي مناطق أخرى من الوطن القطرة التي أفاضت الكأس والشرارة التي أضاءت الدرب....

وهب معهم القائد العظيم ومعه كل من شيحاني بشير وعاجل عجول ومصطفى بوستة في سيارته الخاصة إلى قرية أفرة، وهناك ترك سيارته قريبا من الطاحونة التي كان يملكها ثَمَّةَ، وسار خلف إخوانه في الجهاد. ولم يغفل ابن بولعيد أن ينشئ خلية اتصال بين القيادة وبين الأفواج التي تنشط قريبا منها لتعذر الاتصال بوسائل أخرى حتى يتابع مجريات الأحداث عن كثب. كما تتلقى هذه الأفواج تعليمات القيادة عن طريق هذه الخلية عندما يتعذر على قادتها الاتصال مباشرة بالقيادة العامة وقد كلف بهذه المهمة مبارك عزوي نظرا للثقة التي كان يتمتع بها.

اتخذ ابن بولعيد في أول يوم من أيام الثورة المباركة من جبال تافرنت المطلة على آريس وعلى الطرق المؤدية إليها مركزا لقيادته، حتى يتمكن من مراقبة تحركات العدو واتجاهاتها في مدينة آريس وفي القرى المجاورة لها، ومن متابعة ردّ فعله عن العمليات العسكرية التي نفذتها السرايا الأولى من المجاهدين.

1) - استشهد عمر مزوجي إثر هجوم على مزرعة للمعمر فيزو بسريانة، باتنة. قام به فوج من المجاهدين قاده الشهيد: قرين بلقاسم مساء يوم 2 - 1 - 1954. غير أن جل الذين تعرضوا لكتابة تاريخ الثورة لم يحفلوا به، واعتبروا الشهيد: ابن عبد المالك رمضان، أول شهيد سقط في ميدان الشرف خلال الثورة التحريرية، واختلفوا في تاريخ استشهاده.
فالمجاهد عمار قليل صاحب "ملحمة الجزائر" يرى أن ذلك كان ليلة الجمعة 5 نوفمبر بغابة سيدي العربي بمستغانم. بينما يرى المجاهد لخضر بوطمين، في حقائقه عن الثورة، أن تاريخ استشهاده كان يوم 4 نوفمبر 1954 بغابة سيدي علي بمستغانم، ووجه الخلاف بينهما بسيط أما السيد: محمد حربي في كتابه "الثورة الجزائرية" فهو يرى أن مجموعات ابن عبد المالك رمضان هاجمت في اليوم الأول ضيعتي "ويليس" و"بوسكي" وانسحبت بنجاح. يبقى الدكتور الزبيري في كتابه "الثورة الجزائرية في عامها الأول" الوحيد الذي يحدد تاريخ استشهاده بأول نوفمبر دون تحديد للمكان ونحن حين نتحدث عن هذا ليس من باب المفاضلة بين شهيد وشهيد، فكلهم عند ربهم يرزقون فرحين بما ءاتاهم من فضله، لكن من باب الأمانة التاريخية الصدق في القول.
ويصرّ كل من الأخوين: عمر ولحسن منصوري وهما مجاهدان ومن سكان البلدة (سريانة) أن تاريخ استشهاد عمر مزوجي كان يوم الاثنين 1 نوفمبر 1954 مساء وقد شاهدا ذلك بأنفسهما.

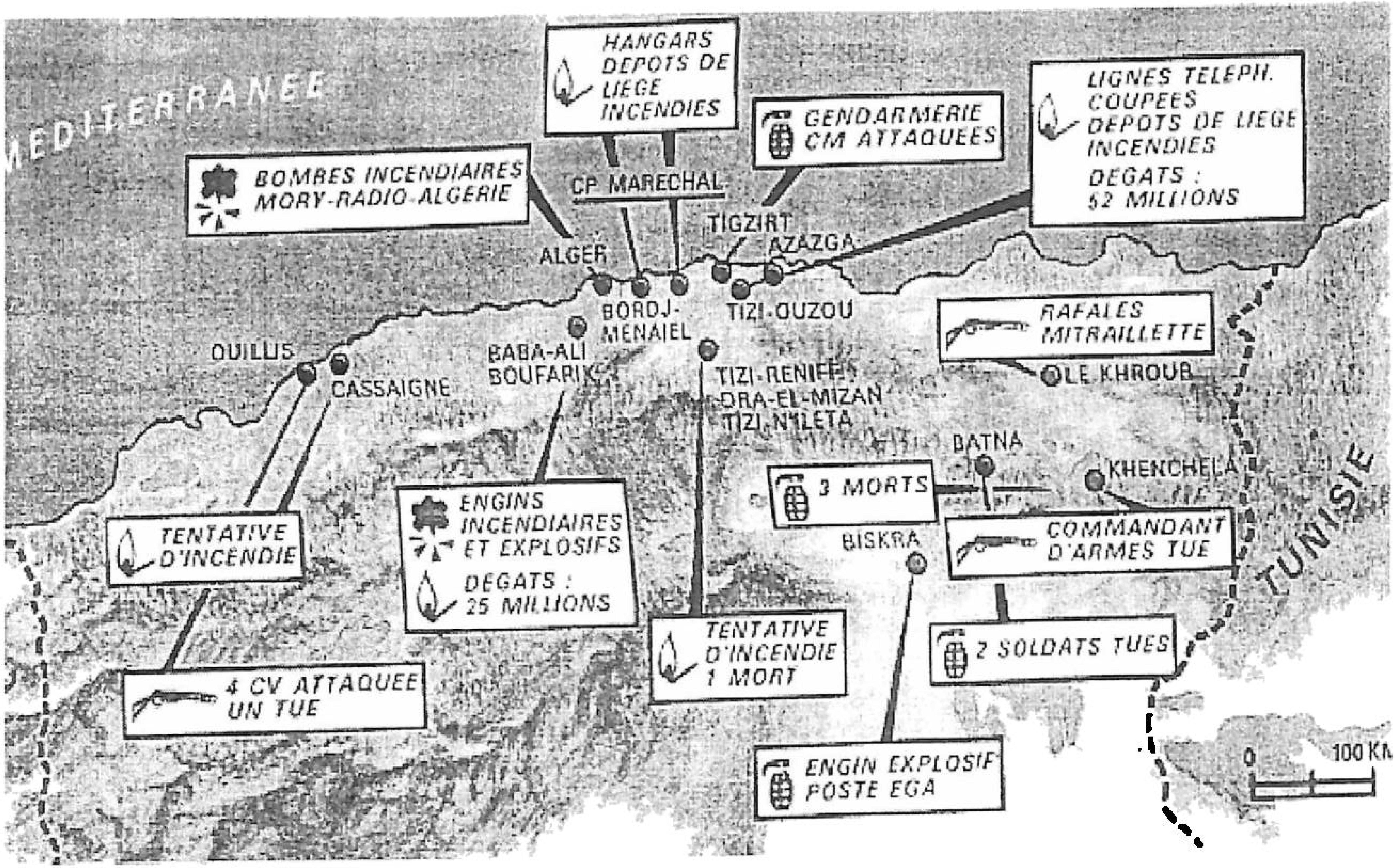

مخطط وطني لـ/ عمليات فاتح نوفمبر 1954
معدّ من قبل مصالح الأمن الاستعماري

17

Situation

1) Sud = 60 - Armes (...)
2) EST = 144 - " " ...
3) Sud-est = 35 - A. (...)
4) Nord = 100 - A (...)
5) Ouest = 10 - A (...)

349

S.C. et J = 10

359.

S Barika trahison. manque liaison quelques éléments aptes à récupérer
S Aïn M'lila. Arrestation de tous les éléments
Khenchela. Arrestation du P.C. manque de liaison. Suivant un petit bruit il existe des éléments dans le maquis —
Dans ce domaine Recrutement il y a des possibilités considérables.
A ce point un plan tracé en vue d'organiser cette tâche. nécessité des moyens conditionnés en vue de renforcer la zone et l'extension de nos actions. et elle sera encouragée par l'adoucissement du climat.
Liaison: l'arrestation subite a donné cause le freinage de la tâche liaison. Vide d'éléments difficultés dans tous les domaines efforts sérieux engagés retournant pour ...

Document saisi lors de l'arrestation de Ben BOULAID. Effectifs du Maquis de l'AURÈS et appréciation du chef chaouia.

رسالة تم ضبطها عند ابن بولعيد يعطي فيها لمحة سريعة عن سير العمليات وتطوراتها وانعكاساتها بعد انطلاق العمليات مباشرة

نص الوثيقة باللغة العربية

القطاع:

1) - الجنوب	60	التسليح متوسط
2) - الشرق	144	التسليح متوسط
3) - الجنوب الشرقي	35	التسليح جيد
4) - الشمال	100	التسليح حسن
5) - الغرب	10	التسليح حسن
	349	

القيادة بالإضافة إلى الحرس 10

359

بريكة ـ خيانة ـ ونقص في الاتصال

بعض العناصر مستعدة يمكن تعويضها

عين مليلة: توقيف كل العناصر

الخروب: توقيف عناصر القيادة، نقص في الاتصال

بعض المصادر تشير إلى وجود عناصر التحقت بالجبل أما في مجال التجنيد فهناك إمكانات معتبرة.

وحول هذه النقطة بالذات فإن هناك مخطط مدروس من أجل تنظيم هذه المهمة التي تتطلب توفر وسائل مشروطة من أجل دعم المنطقة وتوسيع نشاطاتنا، وسيشجعنا على ذلك توفر المناخ الملائم.

الاتصال: رد الفعل السريع (المباغت) تسبب في قطع مهمّة الاتصال.

- مجهود جدي مبذول وخاصة في جهة الشرق.

---

* تم ضبط هذه الوثيقة عند ابن بولعيد والتي تقدم احصاء دقيقا للمقاومين في الأوراس وتقييم قائد الشاوية (الكلام لإيف كوريير).

تراجم لـ: قادة أركان الثورة في الأوراس

* شيحاني بشير، ولد في 22 أفريل 1929 بالخروب - قسنطينة زاول دراسته الابتدائية والاعدادية في الخروب وفي قسنطينة - بمدرسة (جول فيري) الخاصة بالأهالي. انتقل بعدها إلى تونس لإتمام دراسته لكنه لم يلبث أن عاد إلى قسنطينة لضيق ذات يده. انخرط في حركة الانتصار للحريات الديمقراطية منذ إنشائها سنة 1946، وفي المنظمة السرية سنة 1947.

أقام في التلاغمة عند صهره الرقيب سليمان وسط الثكنة مدة وأقنعه بشرعية المطالب التي تنادي بها الأحزاب الوطنية، وحثه على الإنخراط فيها، وقد يكون صهره هذا الذي عرف فيما بعد بـ: (السرجان سليمان) هو نفسه الشخص الذي استعار اسم (صان هو)، والذي كان قد عمل مدة في الهند الصينية، فقد استعار هذا الإسم عندما كان يشرف على تدريب المناضلين (القياديين خاصة) على صناعة الألغام في ضيعة ابن بولعيد بفم الطوب بالأوراس.

انتقل شيحاني إلى ناحية وهران حيث مارس نشاطه هناك باسم مستعار منتحلا صفة تاجر ثم عاد إلى قسنطينة ومنها إلى الأوراس سنة 1953 حيث لازم ابن بولعيد خلال مرحلة الإعداد للثورة. يمتاز بالوطنية الصادقة والإخلاص في العمل. كلفه ابن بولعيد بالإشرف على الثورة في الأوراس خلال ذهابه إلى الشرق اتّهم من قبل نوابه بفساد الأخلاق. وتم إعدامه في أواخر أكتوبر 1955.

* ولد الشهيد عباس لغرور في "أنسيغة" ولاية خنشلة (حاليا) سنة 1926 وسط أسرة فلاحية فنشأ وترعرع في البادية، لما نزحت أسرته إلى مدينة خنشلة أدخله أبوه إلى المدرسة القرآنية ثم إلى المدرسة الفرنسية، فنهل منها ما كان بوسعه أن ينهله من العلم والمعرفة، فلما تحصل على الشهادة الابتدائية انقطع عن الدراسة. حالفه الحظ حين تحصّل على وظيفة في ديوان الحاكم (لوسال) المعروف ببطشه واستبداده. لكن هذا الحظ خانه. إذ أن الحاكم تفطن لنشاط عباس في الحركة الوطنية فطرده من عمله.

بقي ينشط سرّا إلى أن ألقي عليه القبض حين قاد مظاهرة شعبية احتجاجا على تصرفات الحاكم. سُجن وعُذّب ونقل إلى مستشفى باتنة، ثم أعيد إلى السجن وبعد خروجه اتصل بابن بولعيد، واتصل أيضا بالعديد من إطارات الحركة الوطنية. قاد العمليات الأولى ليلة أول نوفمبر في خنشلة بنجاح. ظل بعدها ملازما للشهيد ابن بولعيد، وعندما قرر السفر إلى المشرق كان أحد الثلاثة الذين أُسندت إليهم مهمة قيادة الثورة في الأوراس بقيادة بشير شيحاني. ذهب إلى تونس في مهمة نظامية سنة 1957، وهناك تم إعدامه. الغموض والتكتم ما زال يسود ظروف استشهاده، نقل جثمانه ودفن في المقبرة العالية.

* عزوي مدور، ولد خلال سنة 1923 بقرية الحجاج دوار إشمول، نشأ وسط أسرة متدينة، كان أبوه من أتباع الطريقة الرحمانية تعلم القرآن في القرية، وفيها أخذ بعض المبادئ في الفقه وفي السيرة النبوية على يد الشيخ: ميهوبي محمد الدراجي.

انخرط في حركة الانتصار للحريات الديمقراطية سنة 1947، كان عضوا بارزا في المنظمة الخاصة خلية الحجاج، نشط في جمع السلاح وتهريبه مع الأخوين علي بعزي وأخيه محمد.

استضاف إطارات المنظمة الخاصة بعد اكتشافها سنة 1950 في الأوراس منهم: رابح بيطاط، لخضر بن طوبال، عمار بن عودة. كان محل ثقة ابن بولعيد يوفده في أهم القضايا. استشهد بذراع عايسي يوم: 15-12-1957.

* مصطفى بوستة من مواليد 1915 بزلاطو (بلدية تكوت) حاليا، انخرط في حزب الشعب سنة 1943. أسندت إليه مهمة إيواء بعض الإطارات من المنظمة الخاصة بالهارة خلال سنوات (1950-1951-1952). شارك في تهريب السلاح استعدادا للثورة كما حضر جميع الاجتماعات التحضيرية التي سبقت اندلاع الثورة، يعتبر من رواد الحركة الأوائل، لازم ابن بولعيد طوال مشواره النضالي إلى أن استشهد ابن بولعيد، فانتقل إلى الولاية السادسة وفي جبل بوكحيل ببوسعادة تعرّض لمحاولة اغتيال خطيرة، عثرت عليه القوات الفرنسية وبه رمق من حياة، فنقلته إلى مستشفى الجلفة للعلاج وعندما استعاد وعيه نقل إلى العاصمة حيث أعطى اسما مستعارًا عند التحقيق معه، فلما أطلق سراحه، عاد إلى الأوراس والتحق بالثورة ثانية. عاش حتى شهد الاستقلال، لم يشغل أي منصب إلى أن توفاه الله يوم 11 سبتمبر 1995 ودفن في تكوت.

* ولد عاجل عجول بدوار كيمل خلال سنة 1923. دخل في أول عهده الكتاتيب القرآنية على عادة أهل الريف. ولما اشتد عوده شد الرحال إلى قسنطينة على أمل أن يتفقّه في الدين واللغة في مدارس جمعية العلماء. وعندما استيقظ فيه الحسّ الوطني انخرط مناضلا في حركة الانتصار للحريات الديمقراطية سنة 1948 تدرّج في مناصب المسؤولية من مناضل بسيط إلى عضو بارز في قيادة الثورة مع بدء العمليات القتالية سنة 1954.

تقلد مهمّة مسؤول سياسي نائب لشيحاني بشير عند سفر ابن بولعيد إلى المشرق، غير أن تسارع الأحداث في هذه الفترة أخلّ بنظام القيادة. فكان مقتل شيحاني بشير المسؤول المفوض من قبل ابن بولعيد "القطرة التي أفاضت الكأس". عارض عودة ابن بولعيد إلى قيادة الثورة في الأوراس بعد فراره من السجن، فلم تلق معارضته صدى لدى الجيوش، فانكفأ عن نفسه.

صرامته المفرطة وحرصه الشديد جَلبَا إليه كثيرًا من المتاعب، فتألّب ضدّه الأعداء وتخلى عنه الأصدقاء وتركوه قائما. حكمت عليه اللجنة الموفدة من قبل مؤتمر الصومام بقيادة الكولونيل: عميروش بالإعدام، غير أنه نجا من الموت بأعجوبة، وتحت تأثير الصدمة استسلم للاستعمار فانطفأ نجمه. استبشر لاكوست باستسلامه خيرا وقال فيه قولته المشهورة: استسلام عجول أول الغيث". ناضل طائعًا واستسلم مكرها.

لم يُظهر بعد استسلامه أيّ عداء للثورة وظل صامتا، فلما جاء الاستقلال اعتزل الناس وعاش وحيدًا مع أسرته إلى أن توفاه اللّه.

ردود أفعال سريعة

ومع أن العمليات الأولى كانت محدودة الأهداف وغير موجعة للعدو رغم توفر عنصر المفاجأة وعامل المبادأة في القتال لدى المجاهدين، وهما من عوامل النصر وأسبابه في أغلب المواجهات، وذلك لعدم توفر المعلومات الكافية وقلة الأسلحة والتدريب الجيد، إلا أنها أحدثت صدمة نفسية قوية سواء عند الأحزاب السياسية الوطنية أو عند الأحزاب الفرنسية، فقد جاءت تصريحات بعض الشخصيات الوطنية ممن كانوا يصفون دعاة العمل المسلح بالمغامرين وحتى بالمجانين مخيبة للآمال، إذا ما فتئ شبح مجازر 8 ماي 1945م يلاحقهم ولعنة تلك المشاهد الرهيبة تطاردهم. وظنوا أن لا ملجأ من الاستعمار إلا إليه، وأن هذه الصدمة كافية بأن تدفع فرنسا إلى تقديم بعض التنازلات، وإلى فتح حوار جدّي مع الأحزاب السياسية المعتدلة التي ترفض العنف. وتجاهلوا بذلك النّداء الذي وجهته قيادة الثورة لجميع الفعاليات السياسية، ووقعوا بعدها في فخ سوستيل في مفاوضات 28 مارس 1955 التي أفضت إلى اللاشيء – بينما راحت الأحزاب الفرنسية تتهم الحكومة بعدم إدخال إصلاحات على الوضع الاجتماعي للسكان مما أدى إلى حدوث الانفجار. أما الأوساط الرسمية فقد اعتبرت تلك الهجمات إرهابا وأوحت إلى أرباب الصحف بأن يتناولوا ذلك بعناوين بارزة. في الوقت الذي سارع فيه الحكام إلى طمأنة المعمرين بتصريحات تحمل الكثير من الوعود وتؤكد تمسك فرنسا القوي بالجزائر واعتبارها مقاطعة فرنسية، وأول تصريح في هذا الصدد جاء على لسان "**فرانسوامتران**" FRANÇOIS MITTERRAND" وزير الداخلية الفرنسي آنذاك بتاريخ 7 نوفمبر 1954م حيث قال بصريح العبارة " **إن الجزائر هي فرنسا** وأن المفاوضات الوحيدة هي الحرب".

4 PAGES DE SPORTS
Echo Sport
UNE PAGE ILLUSTREE

L'ÉCHO D'ALGER
15 FRANCS

VERNICIRE

M. MITTERRAND dans une déclaration radiodiffusée :

L'ALGÉRIE C'EST LA FRANCE ET LA FRANCE NE RECONNAITRA PAS CHEZ ELLE D'AUTRE AUTORITÉ QUE LA SIENNE

Chaque jour verra l'autorité de l'Etat s'affirmer d'avantage et le statut de l'Algérie entrera de plus en plus dans les faits

Investissements et grands travaux, formation professionnelle, fonction publique, décentralisation administrative seront l'objet de prochaines mesures

LES TROUPES ÉTANT SOUDEMENT INSTALLÉES

La véritable opération de nettoyage de l'Aurès va commencer dans quelques jours

مقطع من جريدة صدى الجزائر "الفرنسية"

تصريح منديس فرانس: رئيس الحكومة الفرنسية

"ألا لا ينتظرنّ أحد منا أن نتفاهم مع المتمردين ولا أية تسوية فالمقاطعة الجزائرية فرنسية منذ عهد بعد".

تصريح فرانسوا ميتران: وزير الداخلية الفرنسي

"إن الجزائر هي فرنسا، وأن المفاوضات الوحيدة هي الحرب"

وليس لهذه العبارة أكثر من مدلول، ومما جاء في خطاب لرئيس الحكومة الفرنسية "منديس فرانس" بالمناسبة "ألا لا ينتظرن أحد منا أن نتفاهم مع المتمرّدين ولا أية تسوية فالمقاطعة الجزائرية فرنسية منذ عهد بعيد...." غير أن حكام فرنسا كانوا قد فهموا مغزى الرسالة، وعلموا أن هذا الشعب ما وهن وما ضعف وما استكان رغم الجهل والفقر والبؤس الذي سُلِّط عليه. وطبيعي أن يكون ردّ الاستعمار عنيفا. فتلك عادته حيث أصبحت لديه وسائل دمار أشد فتكا وأكثر تخريبا، وهو لا يتردد لحظة في استخدامها حتى يتمكن من التأثير على المواطنين ويثير في نفوسهم الرعب والفزع ويثبت قوة فرنسا وجديتها في مواجهة الانتفاضة والقضاء عليها.

غير أن الأمر جاء خلاف ذلك، إذ اشتد التلاحم أكثر وهلّل الشعب للنداء وتدعمت صفوف المجاهدين بمآت أخرى من الشباب المتطوع فرّوا من بطش الاستعمار والتحقوا بالثورة دون توعية سياسية أو تدريب مسبق على القتال.. فأصبح الشعب كله بمثابة قوة احتياطية لا تنضب، وكان للعنف المفرط الذي لجأ إليه الاستعمار دور إيجابي بالنسبة للثورة.. وتنسب هذه الدعابة إلى الشيخ البشير الإبراهيمي الذي أوفدته جمعية العلماء المسلمين على رأس وفد من العلماء الجزائريين لحضور حفل استقلال دولة الباكستان عن الهند سنة 1947م. فالتقى هناك بشخصيات إسلامية وهي في غمرة الفرح ونشوة الانتصار بظهور دولة إسلامية كبيرة في هذه القارة. فعاتبته ومن خلاله الشعب الجزائري كله على هذا الركود والذل للمستعمر. فكان ردّه بليغا وطريفا في نفس الوقت حيث قال لهم: ألا تعلمون أنّ إخواننا في الدول العربية يقولون للشخص حين يريدون منه الوقوف. (قف أو انهض أو قم..)، أما نحن في الجزائر فإن أول كلمة يتلقاها الطفل من أمه لتستقر في ذهنه وهو صبي في المهد (ثُرْ) -من ثار- يثور، ومن معانيه الغضب والهيجان والثورة - فنحن ثوار من المهد وعامل الزمن هو الذي يتحكم في سير الأحداث.

فكان الأمر كذلك، فما إن لاحت للجزائريين فرصة أمل للدفاع عن كرامتهم المسلوبة حتى ثاروا من كل فجاج هذه الأرض ومن سهولها لتحرير وطنهم واسترجاع سيادتهم.

وفي هذا السياق كتب اللواء سعد الدين الشاذلي قائد العبور في حرب أكتوبر 1973م أنه قام بزيارة سرية إلى الجزائر لتحديد موقف الرئيس بومدين (**رحمه الله**) من احتمال شن حرب ضد إسرائيل، حيث تحدَّثنا طويلا في موضوع الحرب ضد إسرائيل (يقول الكاتب)، غير أن بومدين أبدى تحفظات وشكوكا في نوايانا، فلما ألححت عليه بضرورة إرسال قوات جزائرية لتكون ضمن التعبئة العامة قصد تدريبها وإعدادها ميدانيا للمعركة، ردّ عليّ بومدين: "نحن الجزائريين دماؤنا ساخنة إذا كانت هناك حرب فسنقاتل وبمعنويات عالية، ونحن على أهبة الاستعداد[1]".

وهكذا، فلما أظهرت السلطات الاستعمارية النزعة التسلطية وراحت تمارس البطش وتنتقم من أُسَرِ المجاهدين ومن عامة الشعب بإحراق ديارهم وسلب أموالهم وقتل وسجن ونفي أوليائهم. اشتدّ غضب الشعب فأظهر التحدي جهارا نهارا، وقابل العنف بالعنف والتحدي بالتحدي.

واحتضن الثورة بقوة، فكان المجاهدون في الأوراس على حد تعبير السيد: حربي كالحوت وسط الماء، وهذا التجاوب السريع الذي أظهره الشعب الجزائري مع الأحداث الأولى ساهمت في صنعه فرنسا بأساليبها القمعية، وهي التي دفعته إلى الالتحاق بالثورة دون توعية سياسية، أو تكوين عسكري مسبق. والشهيد العربي بن مهيدي أحد منظري الثورة ومفكريها، كان قد تنبأ بهذا عندما قال: «ساعدوني على إنزال الثورة إلى الشارع وأنا أضمن لكم النجاح». فهؤلاء الأعلام كانوا أعلم بنفسية الإنسان الجزائري من غلاة الاستعمار.

---

1) - عن كتاب حرب أكتوبر للفريق سعد الدين الشاذلي ج -1- ص 170.

غير أن الذي ذهب إليه السيّد: محمّد حربي، في كتابه: الثورة الجزائرية «سنوات المخاض» الصفحة (21) من أن المجاهدين في الأوراس لا يبرزون كمجموعات من الأفراد منضوين تحت لواء منظمة ما بقدر ما يبرزون كممثلين لقبائلهم غير صحيح ومجانب للحقيقة. ولا نعتقد أن السيد محمد حربي، قد استقى هذه المعلومة من مصادر بريئة. فلو بقيت للقبيلة مكانة في الأوراس غداة اندلاع العمل المسلح لما نهضت بأعباء الثورة سنة كاملة، وقوائم الأفواج التي شكلت ليلة أول نوفمبر 1954 خير شاهد لنا، وكتائب المجاهدين التي توجهت إلى عدّة مناطق خارج الأوراس تفند هذا الزعم. ولم يحدث هذا حتى في انتفاضة 1879، حين كانت كل قبيلة منغلقة على نفسها. فقد هبت قبيلتا بني بوسليمان وبني أوجانة خاصة للمشاركة في أحداث تجري في أرض تعود لقبيلة أولاد داود «التوابة».

صحيح أن بعض الفصائل رفضت الانصياع لأوامر القيادة بعد وفاة ابن بولعيد لكنها كانت مزيجًا من قبائل مختلفة، خلافا لما أشار إليه (هنري علاق) في كتابه حرب الجزائر ج 3 ص 133 حيث ذكر أن عدة فصائل تنتمي إلى قبائل بني ملول وبني بوسليمان والسراحنة، ظلت متمركزة في قطاعاتها الجغرافية وترفض العمل خارجها.

مواقف الأحزاب السياسية الوطنية من الثورة التحريرية

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

ففي الثامن من شهر نوفمبر 1954 صدر بيان عن رئيس جمعية العلماء، الشيخ البشير الإبراهيمي الذي كان موجودًا بالقاهرة حيّا فيه الشعب الجزائري المجاهد وبارك ثورته المسلحة وقد أذاعته مختلف القنوات العربية.

الشيخ محمد البشير الإبراهيمي
رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

أما بقية الأعضاء في الداخل فباستثناء الشهيدين: العربي التبسي ورضا حوحو والشيخ أحمد حماني فكانت مواقفهم سلبية ومخيبة للآمال، إذ لزم بعضهم الصمت التام بينما أذار البعض الآخر ظهره لجبهة التحرير وراح يفاوض الحكومة الفرنسية، ومن هؤلاء ذلك الذي أصبح فيما بعد ممثلا للجبهة في المغرب[1].

فرحات عباس رئيس: حزب البيان الديمقراطي الشعبي

حزب البيان الديمقراطي الجزائري

علق رئيس الحزب على الحدث بثلاث كلمات تعبّر في مجملها عن الاستياء والقلق والحيرة، حيث قال: "إنها اليأس والفوضى والمغامرة".

بشير حاج علي
رئيس: الحزب الشيوعي الجزائري

الحزب الشيوعي الجزائري

في اليوم الثاني من شهر نوفمبر 1954. أصدر المكتب السيّاسي للحزب الشيوعي الجزائري بيانا سياسيًا أدان فيه جبهة التحرير الوطني وأعلن أنه أرسل وفدا برئاسة «نيكولا زانتاسكي» ليخبر الرّفاق في منطقة الأوراس بأن الحركة لا حظّ لها في النجاح وليأمرهم بعدم الاشتراك فيها لا من قريب ولا من بعيد.

---

1) - الشيخ محمد خير الدين

الحركة الوطنية الجزائرية

الحاج مصالي
رئيس: الحركة الوطنية الجزائرية

حاولت الحركة الوطنية الجزائرية بقيادة مصالي احتواء الثورة منذ 2 نوفمبر 1954 وإيهام الشعب بأن عناصر اللجنة المركزية - ويعنون بهم قيادة الجبهة - قد فشلت في إشعال الثورة في اليوم الأول، وأن الحركة الوطنية هي التي تقود الحرب، وأن الثورة قد تمركزت في الأوراس وفي بلاد القبائل حيث ينشط كل من: مصطفى بن بولعيد، وكريم بلقاسم، وهما من أعضاء حزبه، وقد عُرفا بوفائهما وولائهما له، ولخص موقفه في عبارة موجزة، فقال: «لا تسألوا عمن يقف وراء الثورة، ولكن حاولوا اختراق صفوفها والتحكم فيها».

المركزيون

ابن يوسف بن خدة
رئيس: حركة الانتصار جناح المركزيين

مواقف المركزيين غير واضحة - فاستثناء (محمد يزيد وحسين لحول) اللذان كانا في القاهرة لحظة اندلاع العمل المسلح، فدخلا في خدمة الجبهة، فإن بقية العناصر غلب عليها التشاؤم وسوء التقدير، وأوضح موقف لهم تترجمه نكتة ابتدعوها بالمناسبة. والتي تقول: «جبهة التحرير أشعلت النار في الجزائر والقِدْر موجود في القاهرة لذلك فإن الأكلة لن تكون جاهزة أبدًا».

ATTENTATS TERRORISTES EN ALGÉRIE : 8 morts

DERMONT

L'ÉCHO D'ALGER

AGIR VITE ET FORT

LE REMANIEMENT DU MINISTÈRE

M. Mendès-France a reçu hier le général Kœnig

— ancien ministre — de la Défense nationale

Le président du Conseil ... à nouveau vendredi les "pressentis" socialistes

AU TERME D'UNE CAMPAGNE VIOLENTE ET SANS PITIÉ

Les États-Unis votent aujourd'hui

Les républicains dirigés par Eisenhower conserveront-ils la majorité au Congrès ?

Les dépouilles des victimes ont du être ramenées à dos d'hommes

Lyon a fait à S.M. HAILÉ SÉLASSIÉ un accueil digne du "roi des rois"

LA ROYAUTÉ DE MARIE A ÉTÉ SOLENNELLEMENT PROCLAMÉE A SAINT-PIERRE PAR S.S. PIE XII

DE LA GRÈVE DES DOCKERS BRITANNIQUES

REFLETS DU JOUR

ÉLECTIONS AMÉRICAINES

La réunification de l'Allemagne

Les experts des Trois préparent la réponse à la proposition soviétique

Ils ont tenu hier à Londres une première conférence

Le mariage de la petite nièce du général de Castries

DU VRAI... DU FAUX

LUEURS SUR LES SOUCOUPES

IV · SOUCOUPES ANCIENNES

AIMÉ MICHEL

صورة زنكغرافية للصفحة الأولى من جريدة /صدى الجزائر/ الفرنسية الصادرة بالجزائر يوم 2 نوفمبر 1954 تسجل نبأ أول عملية حربية قامت بها الطلائع الثورية الجزائرية .

أصداء الحدث في الصحافة الفرنسية

: 8 morts

(INFORMATIONS PAGE 10)

AGIR VITE ET FORT

LA nuit précédant la Toussaint, alors que dans toutes les nécropoles allait être évoqué le souvenir des morts, de tous les morts, toute une série d'attentats terroristes ont été commis simultanément en divers points de l'Algérie.

Le bilan de cette opération « terreur » se chiffre par plusieurs morts, des blessés et des dégâts matériels. Les plus importants ont été causés à Azazga et Boufarik, et particulièrement dans l'Est du Constantinois.

La date choisie, le synchronisme des attentats, la qualité des engins employés, l'organisation des groupes d'attaque en [illegible] qui opèrent notamment dans la région frontalière algéro-tunisienne, tout cela révèle l'existence d'un plan minutieusement étudié.

On ne peut penser que les cerveaux qui ont fixé l'heure H de cette machination aient pu croire que le climat actuel de l'Algérie ouvrirait la voie à des actions plus profondes et plus amples, qu'elle serait le brandon de l'incendie, d'une insurrection généralisée. On ne peut penser que, en notre époque où les barricades sont désuètes, les chefs de ces actions aient [illegible] que [illegible] aient pu ébranler l'ordre et l'unité de nos départements.

Devant cette sanglante provocation — sans doute destinée à frapper spectaculairement l'opinion mondiale — les populations de notre province conservent leur calme et font confiance à leur service de sécurité, mais elles s'interrogent et constatent que les actions terroristes les plus denses, les mieux organisées se sont produites à la frontière algéro-tunisienne, en liaison certaine avec celles des fellagha des djebels du sud de la Régence. Et cela confirme malheureusement ce que nous avons écrit dans ces colonnes le 28 juillet dernier à propos du problème tunisien non encore résolu. A ce moment-là nous disions notamment qu'il n'était pas possible d'engager un dialogue sincère et fructueux dans un climat de [illegible], que rien ne saurait être fait dans la voie du rétablissement de l'harmonie franco-tunisienne tant que subsistera la moindre hypothèque de désordre et de violence.

Aujourd'hui, le problème demeure entier et le gouvernement pour le résoudre devra faire preuve d'énergie.

Les populations ont enregistré avec satisfaction les assurances données par le gouverneur général, que des mesures de protection et de répression, qu'imposait la situation, étaient mises en œuvre et qu'il disposait de moyens d'action supplémentaires.

Elles font confiance aux forces de protection pour assurer le respect de l'ordre et de la sécurité, mais encore considèrent-elles qu'il faille les doter de moyens appropriés pour accomplir leur tâche délicate dans un terrain difficile.

Il faut faire vite et frapper énergiquement le cordon Bickford jeté sur l'Algérie. La paix sociale le commande.

الحدث في الصحافة الفرنسية
قراءة في العمود الخاص بالحدث
ضرورة التدخل العاجل وبقوة

في اللّيلة التي سبقت عيد الأموات. وبينما كان الجميع يتهيّأ للاحتفال بذكرى الأموات - كل الأموات - جرت وفي نفس الوقت في عدة نقاط من الجزائر سلسلة من الهجومات الإرهابية.

لقد كانت حصيلة هذه العمليات الإرهابية عددا من القتلى والجرحى، وكذا أضرار مادية كان أهمّها: بعزازقة وبوفاريك وخاصة في الشمال القسنطيني».

الزمن المختار، تناسق الهجمات، تشابه الوسائل المستعملة، تنظيم مجموعات الهجوم المرتدية للزيّ العسكري وخاصة تلك التي تنشط في الناحية الحدودية الجزائرية التّونسية، كلّ هذا نابع وبوضوح عن مخطّط مدروس وبنضج.

لا نستطيع القول بأن الأدمغة المدبّرة والتي حددت ساعة المؤامرة كانت تعتقد أنّ الوضع الرّاهن للجزائر سيفتح الطريق لعمليات تكون أكثر عمقا واتساعا، وأنها ستكون وقود حريق لانتفاضة شاملة. كما لا نستطيع القول بأنّه وفي هذا الوقت بالذات الذي باتت فيه الحواجز الأمنية غير فعّالة، إن كان مسؤولو هذه الأعمال البشعة يستطيعون محو أمن ووحدة عمالتنا.

أمام هذا الاستفزاز الدّموي الموجّه بدون شكّ لضرب الرأي العام العالمي! فإن سكان إقليمنا يحافظون على هدوئهم واضعين ثقتهم في شبكة الأمن، لكن بالمقابل يتساءلون ويلاحظون أن الأعمال الإرهابية الأكثر إنتشارا والأحسن تنظيما قد وقعت على الحدود الجزائرية - التونسية بالتنسيق الأكيد مع "فلاقة" جبال جنوب الوصاية (السلطة) - تونس -

وهذا يؤكد ومع الأسف ما كتبناه على هذه الأعمدة يوم 26 جويلية الأخير حول المشكل التونسي الذي لم يتم حله بعد.

لقد قلنا في ذلك الوقت بالخصوص أنه من غير الممكن الشّروع في حوار صريح ومثمر في جو يسوده الإجرام، لا شيء يمكن فعله في إتجاه إعادة التنسيق الفرنسي التونسي ما دامت الأجواء هناك يسودها أدنى قدر من الفوضى والعنف.

يبقى المشكل اليوم مطروحا بأكمله وعلى الحكومة التحلّي بالصرامة لحله.

لقد سجل السكان بارتياح الضمانات التي أعطاها الحاكم العام بخصوص إجراءات الحماية والقمع التي يتطلبها الوضع والتي دخلت حيز التنفيذ، وأنّه (أي الحاكم) يمتلك وسائل تدخل إضافية.

السكان يثقون في قوات الحماية من أجل فرض احترام النظام والأمن العامين، ولكنهم يتمنون أيضا تزويدهم بوسائل تمكّنهم من تأدية مهماتهم الحساسة في أرضية صعبة، يجب العمل وبسرعة على سحق عصابة الإجرام وبقوة.

السّلم الاجتماعي يدعو إلى ذلك - انتهى-

* **ترجمة: عمار جرو**

تعليق المؤلف

هذه ترجمة شبه حرفية لما ورد في جريدة "صدى الجزائر" الفرنسية الصادرة بتاريخ 2 نوفمبر 1954م. تناول فيها كاتب هذا العمود موضوع العمليات الحربية التي جرت وقائعها في عدة نقاط من الوطن الجزائري ليلة 31. 10 - 1. 11. 1954 م، ويلاحظ أن الصحيفة لا تتوفر على قدر واف من المعلومات التي تعكس سير وطبيعة العمليات الهجومية هذه فأعطاها كاتب العمود صفة الإرهابية. كما يلاحظ التحيز الواضح للصحيفة والتي تعكس بجلاء الموقف الرسمي للحكومة.

فالصحيفة لم تستطع تعيين سوى نقطتين اثنتين هما: لعزازقة وبوفاريك، تعرضتا لهجوم مباغت من قبل الثوار، من أصل أكثر من ثلاثين عملية هجوم تعرضت لها مواقع مستهدفة ليلة أول نوفمبر 1954م. كما أنها لم تستطع تحديد مناطق العمليات في الشرق الجزائري وبالذات في منطقة الأوراس. وزعم كاتب هذه المقالة أنها جرت في الحدود الجزائرية - التونسية. وبالتنسيق مع "فلاقة" الجنوب التونسي كما يصفهم.

والحال أن عنصر المفاجأة أفقد إعلام الاستعمار الموضوعية في الطرح، كما أفقد الحكام القدرة على الاعتراف بشرعية المطلب، فراحوا يكيلون التهم مرة إلى تونس ومرة أخرى إلى مصر.

حتى أنّ بعض الصحف توهّمت بأن طائرات شراعية تزود الثوار بالسلاح.

"ومن هذه الصحف نقتطف ما يلي: "وفي إظهار وجودهم في بدلات عسكرية من اللون (الكاكي) وفي استعراضاتهم التي يقومون بها وفي تسلّحهم القوي الذي يأتيهم حسب كل احتمال عن طريق الجو"[1].

كان على ابن بولعيد ومن معه من القادة أن يدخلوا في سباق مع الزمن، وأن يتحرّكوا في أكثر من اتجاه وبأقصى سرعة ممكنة للتصدّي لمناورات العدو، ولكن بوسائل وإمكانات أضعف بكثير مما لدى الخصم.

وسائل الاتصال تقليدية، وتقتصر على الاتّصال المباشر. التغطية الإعلامية منعدمة. التّوعية السياسية كانت مقتصرة على المناضلين والمتعاطفين مع الحركة، ومعظم هؤلاء أصبحوا منضوين في وحدات جيش التحرير الوطني. القواعد الخلفية باتت محاصرة وغير مأمونة. الاتصال بالمناطق الأخرى من الوطن قصد تنسيق المواقف وتبنّي استراتيجية موحدة يتطلب وقتًا....

---

1) - من مقال ورد في صحيفة L'information الفرنسية بتاريخ 29 - 4 - 1955م.

ففي ظل هذه الأوضاع، انتقل ابن بولعيد من جبال تافرنت مع قيادة الأركان إلى الهارة. وهي غير بعيدة، ثم انتقل في اليوم الموالي إلى جبل اللوح، وهي صخرة عظيمة ناتئة مطلة على مضيق تيغانمين السياحي، وعند مدخله الجنوبي قام فوج أصبايحي بإعدام قائد أمشونش: ابن ناجي الصادق ومعلم فرنسي كما جرحت زوجته، وهذا صباح يوم الإثنين 1 نوفمبر. حيث اعترضت مجموعة من المجاهدين حافلة عمومية كانت مصنفة ضمن الأهداف غير المباشرة لاعتبارات أمنية بحتة، وكان على متنها قائد امشونش ومعلم فرنسي وزوجته. الحافلة كانت متوجهة من بسكرة إلى آريس عندما اعترض طريقها مجموعة أشخاص مسلحين، فارتاب القائد من مظهرهم وأشهر مسدسه وقبل أن يطلق الرصاص عاجله أحد المجاهدين من موقع مطل برصاصة قاتلة أودت بحياته على الفور كما أصابت المعلم فرنسي الجنسية ولفظ أنفاسه كذلك في التوّ وجرحت زوجته[1].

هذه الرواية وردت في كثير من الكتب والمجلات. غير أن ثمة أشخاصا كانوا من جملة ركّاب الحافلة يوم أن وقعت العملية يقولون غير ذلك. وسوف أتناول الموضوع بشيء من التوضيح مع التعليق لما سال حول هذه العملية من حبر وما أثير حولها من جدل وهذا في الصفحات التالية وفي موضوع تقويم العمليات الأولى.

---

1) – فحسب سجل الوفيات للحالة المدنية لبلدية وادي الأبيض، فالقائد توفي في المستشفى صباح يوم 1 - 11 - 1954 ومسجل في سجل الوفيات تحت رقم 745، وفي السجل الخاص بالفرنسيين فإن المعلم "منيروفي" توفي على الساعة (15) رقم القيد: 3 بتصريح أدلى به "لودان جون" معلم بمدرسة بليهود.

أي صورة أعظم؟!

أي صورة أعظم من صورة شعب يرى الموت في سبيل استقلاله دينا؟!

فلا النار ولا التقتيل يثني عزمه لا السجن لا التنكيل لا الإعدام[1]

إنها صورة تعكس بِجَلاَءٍ واقع ملحمة كبرى شهدت الجزائر فصولها قلّ أن يجود بها الزمان، فرسانها شباب، كهول، شيب وآخرون. هبّوا من فجاج هذه الأرض ومن مناكبها وأفئدتهم تنبض حبّا لهذه الأرض، وتهتف بحياة هذا الوطن. وأقسموا باللّه جهد أيمانهم بأن لا ذلّ ولا هوان ولا خنوع بعد اليوم، وهبّ خلفهم قائد حبه لهذا الوطن أشدّ وقادة بواسل من معدن لا يقل وطنية عن وطنية قائدهم تظل أسماؤهم خالدة منقوشة بأحرف بارزة في جبين هذا الوطن من أمثال: شيحاني بشير، عباس لغرور، مصطفى بوستة، عزوي مدور، مسعود بلعقون، الطاهر أنويشي، محمد الشريف بن عكشة، أحمد نواورة وآخرون تخرجوا كلهم من أعظم معهد متخصص في الوطنية، مكانه الأوراس العميقة وأجنحته: ضيعة ابن بولعيد بأسلاف، جبال الهارة، يابوس، إجرمان، سفوح شيليا.... وأساتذته وطنيون حتى النخاع، اتخذوا من الجبال بيوتا، من أمثال: العربي بن مهيدي، يوسف زيروت، لخضر بن طوبال، محي الدين بكوش، العربي دماغ العتروس، رابح بيطاط، عمار بن عودة، سليمان بركات....

وأنشطته: (الكرامة، السيادة، الوحدة، الحرية، الاستقلال...)

فكان هؤلاء المناضلون المخلصون الذين لجأوا إلى الأوراس فرارا من ملاحقات البوليس الاستعماري أساتذة في الوطنية تشرّبوا القيم الدينية والقوميّة وتشبّعوا بالفكر التحرّري. نِعْمَ الأساتذة، وكان الأوراسيون لهم خير طلبة، فامتزج الفكر السياسي لهؤلاء الوطنيين بصلابة الإنسان الأوراسي وعناده، فأنتج مناخا سياسيا

---

1) - من اللهب المقدس لمفدي زكريا.

ثوريا عجّل بتفجير الثّورة في هذه الربوع تحت قيادة رجل عظيم هام بحب هذا الوطن وذاق من أجله صنوفا من العذاب. رجل لا يفرّق بين الدين والوطن، وهذا بشهادة من عرفه وسمع منه من أصدقائه ومن أعدائه.

وأي مشهد أروع من مشهد ذلكم الرعيل المطواع من المناضلين الأوفياء النزهاء الذين لا يَسألون القائد عما يفعل وهم يُسألون؟! توحّدت قلوبهم من أجل هذا الوطن وتراصت صفوفهم، شعروا بثقل المهمة الملقاة على عاتقهم وبخطورة الرسالة التي أنيطت بهم - فهم بحق جيل الرسالة - دينهم واحد ووطنهم واحد وهدفهم واحد، إما أن يكونوا أو لا يكونوا، وليس بين الكينونتين كَيان. دفنوا تلك الضغائن التي كانت تشتت شملهم وتضعف قوتهم حتى أمسوا لقمة سائغة في فم عدوهم الذي لا يستحي أن يتغذى بالدماء كالعلقة ولو كان ذلك من جسم فريسة.

إنّه جيل لا يعرف كم هي مساحة وطنه، ولا يعرف حتى موقعه من الكرة الأرضية لكنه يعرف أن هذا الوطن له هو، فلا يشرك فيه أحدا. جيل سئم العبوديّة وملّ الذلّ فانتفض.

ولا يغرنّ القارئ ما يجده في بعض الكتب من أن ابن بولعيد قد بسط خارطة الأوراس أمام المناضلين في كل من دار ابن شائبة في دشرة أولاد موسى وفي دار الأخوين بولقواس في خنقة لحدادة، وحدّد لهم الأهداف على الخارطة بدقة. فمن قال بذلك لا يعرف جيل الثورة أو أراد للأجيال القادمة أن تنظر في مرآة مشوّهة لترى وجوهها مشوّهة. فابن بولعيد لم يكن جنرالا ولا عقيدا ولا قائد عمليات أو ألوية في حرب عصرية أو تقليدية، بل كان مناضلا ثائرا وهبه اللّه عقلا نيّرا وقلبا شجاعا وإرادة صلبة ومالا وفيرا فوضعها كلها في خدمة وطنه الجزائر، وجنوده كانوا من طبقة الفلاحين والحرفيين وعمال الأرض البسطاء. نسبة الأميّة بينهم تتجاوز 95٪[1]. فكيف بمن لا يقرأ ولا يكتب أن يستعين بالخارطة أو يفهم بياناتها.

1) - نسبة الأمية بين الجزائريين حسب إحصائيات فرنسية لسنة 1955م قدرت بـ 96٪ بين النساء و 94٪ بين الرجال (بولار).

جيل شعر بأن وطنه محتل وكرامته مداسة، يساق أبناؤه إلى الحروب كما تساق الأنعام إلى الأسواق، يموتون أفواجا ويدفنون أكداسا يتّخذ منهم ضباط الاستعمار دروعا بشرية، ويجري عليهم التجارب كما تجري على الفئران، فهبَّ غاضبا للدّفاع عن كرامته ونصرة دينه ولا يهمه أن يموت بعدها جوعا أو عطشا أو تحت وابل من الرّصاص أو تحت زنجير الدبابات فطعم الموت واحد..... والتحديات الكبرى خلال الثورة ظهرت من جيل لا يقرأ ولا يكتب يشتدّ ببعضهم الشّوق إلى القتال أكثر من اشتداد حاجة الصبيّ لثدي أمه، حتى أن منهم من كان يقول لقادته: دعوني، أنا والدبابة (راس، راس) إما أن أصُدَّها أو ترديني قتيلا[1] وهذا سر عظمة الثورة التحريرية، كما عبّر عن ذلك الأستاذ المجاهد: الطيب العلوي، في تعقيبه عن مداخلة للمرحوم العقيد: الحاج لخضر في الملتقى المنعقد بآريس أيام 24./ 26.25/ جوان 1988م حول تاريخ الأوراس.

إنها مشاهد رائعة نُقشت في ذاكرة الزمن وصور جميلة مشرقة للطلائع الأولى من المجاهدين وهي تمزق سكون الليل وتكسر صمت الطبيعة وتنطلق في كل اتجاه تقرع طبول التحدي وتعلن عن ميلاد عهد جديـد.

الطلائع الأولى للثورة

1) - كان يرددها كثيرا - عمر غدادة - (شهيد) المعروف خلال الثورة بـ/ بوكباش حسب رواية بعض المجاهدين.

الحق أنطقه

وقد رأيت أنه من واجبي أن أثني على شيخ جليل ما عرفت اسمه ولو عرفته لأثبته في هذا الكتاب إكراما له واعترافا بجرأته ووطنيته، عرف الحق فنطق به.

ألقى هذا الشيخ درسا حول مفهوم الوطنية ومعاني الجهاد ذات جمعة من سنة 1990م بجامع القدس بحيدرة (الجزائر العاصمة). والجزائر مقبلة على إحياء ذكرى غرة نوفمبر الخالدة، فتحدث عن معنى الجهاد من خلال مدلول الآية الكريمة ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ الآية 69 من سورة العنكبوت. وبعد أن تعرض للمعنى الإجمالي للآية الكريمة، ولكي يزيل اللّبس عن حديثه حول الموضوع ويقدم لمستمعيه نماذج حيّة من صور الجهاد، اختار ابن بولعيد كمثال ونموذج حيّ قائلا: فما قولكم فيمن كان يملك ضيعا وأموالا وأولادا وشركات نقل يسخّرها جميعا لخدمة القضية الوطنية ويهبّ لنصرة شعبه ثم يجد نفسه مكبّلا بالسلاسل مقيدا بالأغلال محشورا في زنزانة مظلمة تعافها حتى الكلاب الضالّة، فظلّ صابرا محتسبا واثقا من أنّ اللّه سيجعل له مخرجا إلى أن فرّ من السّجن مع نفر من المجاهدين، فاتجه إلى الأوراس حيث مافتئ رجع صدى جباله يردد على مسمعيه.

وأوراس يشهد يوم الوغى بأنّا جهزنا على المعتدين

ولقي في سفره هذا ما لقي من الشقاء والعذاب، كل ذلك وهو خاوي البطن ممزّق الثياب، فلمّا تفتّق حذاؤه وهو في الطريق وأدمت رجلاه راح يقطع من سترته التي هرب بها من السجن أشرطة ويلف بها قدميه الداميتين حتى يستطيع مواصلة السير، وبعد خمسة أيام بِنُهُرِهَا ولياليها وصل إلى الأوراس في وضع مزري..... فهل كان هذا من أجل دنيا يصيبها وقد تركها خلفه؟ أم كان من أجل منصب يعتليه، وقد حاولت فرنسا استمالته وإغراءه بمناصب فتنزه عنها

وشمخ بأنفه، واختار الوطنية الخالصة على التقرب من الحكام زلفى؟ أم أنه كان من أجل وطن مغصوب وشعب مستعبد ذليل وكرامة مداسة ومقدّسات دنّسها المعتدون.

وبعد فماذا نستطيع أن نقول عن هذا وعن أمثاله من الذين قاتلوا وقتلوا في سبيل هذا الوطن .. ألم يكونوا مجاهدين؟ أليسوا بعدها شهداء؟!.

جبل اللوح مكان تمركز ابن بولعيد لتقويم العمليات القتالية الأولى

تقويم العمليّات القتالية الأولى

كُنّا قد ذكرنا بأن ابن بولعيد أقام خلية اتصال بين القيادة وبين الأفواج من جهة وبين القيادة وجماعات من المناضلين الذين لم يلتحقوا بعد بالثورة وظلّوا يمارسون نشاطهم النّضالي بشكل سرّي ويتولون إمداد المجاهدين بالحاجات الضرورية، كما يرصدون تحركات العدو وأعوانه ويبلغون ذلك إلى خلية الاتصال.

وكانت أول عملية تُقوّم من قبل القيادة تتعلق بالهجوم على ثكنة الدرك بآريس وتدمير الجسر الفاصل بين شقي المدينة لتعطيل مرور العربات العسكرية.

إذ وصلت إلى القيادة معلومات تفيد بأنّ الفوج الذي كُلّف بهاتين العمليتين والذي كان على رأسه أحمد أنواورة لم ينفذ الهجومين، فاستاء ابن بولعيد من ذلك وأجّل الفصل في الموضوع إلى حين الاتصال بقيادة الفوج.

انتقل بعدها من جبل تافرنت إلى قرية بوستة بالهارة، ومنها إلى جبل اللوح.

حيث التقى هناك بفوج أصبايحي الذي قام بإعدام قائد مشونش ابن ناجي الصادق[1] أصيب على إثرها المدرس مونيرو - قي (MONEROT-GUY)[2] ذو الجنسية الفرنسية كما أصيبت زوجته: لوارو - جنين (LOI ROUD-JEANINE) بجروح، وكانا يمتطيان الحافلة نفسها في اتجاه آريس. فعاتب ابن بولعيد قائد الفوج وذكّره بالتعليمات التي أُعطيت لهم في هذا الشأن بعدم التعرض للمدنيين عموما وقرر معاقبته حسب بعض المصادر لولا تدخل عناصر من الفوج بتبرير الحادث لكون المعلم كان قريبا من القائد فأصابته نفس الرصاصة التي أصابت القائد وأن القتل كان عن طريق الخطإ وليس عن سبق إصرار وترصّد.

هذه الرواية وردت عند كثير ممن كتبوا عن أحداث الأوراس كما تسميها المصادر الفرنسية، وعن العمليات القتالية الأولى ضد أهداف استعمارية كما تسميها المصادر الجزائرية، ولتقويم ابن بولعيد لنتائج العمليات الأولى ولانعكاساتها العسكرية والسياسية والنفسية لدى العدو وعن رد فعله واستغلاله لنتائج العمليات وطبيعتها للتأثير على الرأي العام في الجزائر وفي فرنسا لتحقيق مكاسب سياسية تبيح له سحق الانتفاضة الشعبية.

1) - نقيب سابق في الجيش الفرنسي.

2) - معلم بمدرسة تيفلفال المفترق "أريناش" حاليا.

وكانت عملية تاغيت هذه التي وقعت عند المدخل الجنوبي لمضايق تيغانمين الصخرية صباح الإثنين 1 نوفمبر 1954م حوالي الساعة 8 والنصف صباحا من أكثر العمليات شيوعا في الجهة، ويعدها كثير من الناس عن جهل بأنها أوّل عملية قتالية ضد هدف استعماري أو رمز من رموزه ولا زال الكثير يحسبها كذلك.

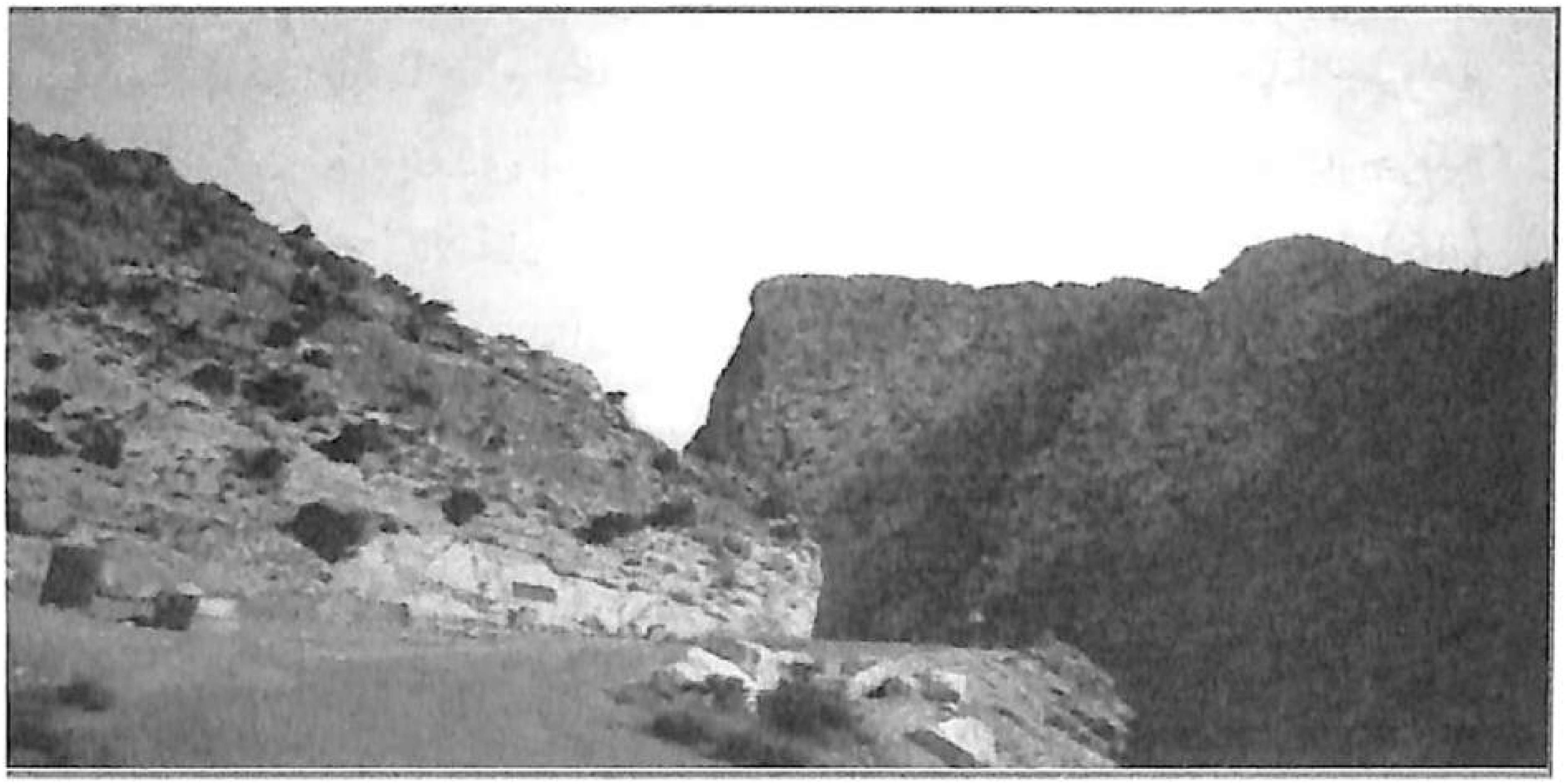

المكان الذي نفذت فيه عملية تاغيت الشهيرة

وسبب شيوع هذه العملية لا يعود إلى حجمها أو نتائجها العسكرية أو ترتيبها الزمني فقد سبقتها عمليات أخرى على مستوى ولاية الأوراس آنذاك كانت أكثر توفيقا في كل من خنشلة وبسكرة وباتنة وأماكن أخرى، غير أن إعلام الاستعمار أراد لها ذلك، ليضخّم من انعكاساتها السلبية على مسار الأحداث ويجعل منها قضية ذات أبعاد سياسية، ولم يقتصر على الإعلام المسموع أو المقروء وحدهما، بل راح يبث أقوالا ويذيع أحاديث في الأوساط الشعبية لينال من قيمة العمل المسلح، ويحط من شأن المجاهدين وسار في هذا الاتجاه من كانوا يقتاتون من فتاته ويبصبصون بأذنابهم جذلا لرؤيته، فأحدثوا

ضجة ما فتئ رجع صداها يرن في أسماعنا، وكتبوا (الفلاقة يقتلون المدنيين) (متوحشو الأوراس يقتلون معلما ويجرحون زوجته) (أعداء العلم والحضارة في الأوراس يعترضون حافلة عمومية ويقتلون معلّما ويجرحون زوجته) وانساق من انساق من أعوانهم في ذات الاتجاه، وظلوا وباتوا وأصبحوا ومازالوا ينفثون هذه السموم ويرددون هذه النغمات حتى في عهد الاستقلال بلا حياء، ولم يقتصر هذا التهجّم اللاّذع يومها على المخازنية والوقّافة والخوجات، ومن حذا حذوهم وسار في ركابهم، لكنه تعدّى إلى الطبقة السياسية المحترفة. فقد علّقت جريدة الجمهورية الصادرة عن الاتحاد الديمقراطي الجزائري للبيان في عددها (46) وبقلم رئيس الاتحاد السيد: فرحات عباس، بما يلي: «إن موت المعلم (ويعني مونيروفي) قد أثّر فينا تأثيرًا عميقًا وبكيفية خاصة...إنها خسارة أصابتنا في الصّميم، بل إن الشعب الجزائري كله أصيب في أعماقه»[1].

وبقايا هذا العهد البائد ما زالت تنعق حتى داخل مؤسساتنا.

فقد روى لي طالب درس بالمعهد الوطني لتكوين الأساتذة ببوزريعة[2]، أن أستاذه الجزائريّ النّسب والإقامة - وكان خليقا به أن يرحل مع من أحب وأن يتّبع الأرذلين ممن باعوا وطنهم بثمن بخس دراهم معدودة، ثم أصبحوا به كافرين-.

سأله من باب التعرف عن الجهة التي ينتسب إليها، فرد عليه الطالب: أنا من الأوراس فقال له الأستاذ بتهكم أنتم من تقتلون رجال العلم أنتم أعداء العلم أعداء الحضارة، تقتلون العلماء!.... يقول الطالب: ولما حاولت أن أنفي عن نفسي وعن الأوراس هذه التهم، ردّ عليّ الأستاذ بتحد: إن كنت تزعم أن الأمر خلاف ذلك فاسرد لي سورة الأعلى.

1) - الدكتور الزبيري الثورة الجزائرية في عامها الأول الصفحة 154.
2) - الطالب الراوي: عبد الحميد عثماني.

مونيرو – في
المدرس الذي أثار موته زوبعة في الأوساط الإعلامية الاستعمارية

نقدّر في أستاذنا حبّه للعلم وتقديره للعلماء، لكننا لا نعذره على هذا التّحامل وتجاهل نوايا الاستعمار المبطنة والتي أفصح عنها بوضوح الكاردينال لافيجري 1835م – 1883م صاحب كتاب: "الرقّ في الإسلام" ورائد الحملة الصليبية في ظل الغزو الفرنسي للجزائر ومؤسس النّظام التبشيري في دول شمال إفريقيا.

يقول الكاردينال: "علينا أن نخلص هذا الشعب ونجرّده من قرآنه وعلينا أن نعنى بالأطفال لتنشئتهم على المبادئ غير التي شب عليها أجدادهم، فإن واجب فرنسا تعليمهم الإنجيل أو طردهم إلى أقصى الصحراء بعيدا عن العالم المتحضر".

ليت أستاذنا الفاضل كان يعلم أن فتح المدارس للجزائريين طوال ليل الاستعمار المظلم وإعطائهم قدرا من التعليم المكيّف هو جزء من المخطط الاستدماري الذي كان يهدف إلى مسخ الشخصية الوطنية واجتثاث مقوّمات هذه الأمّة من أصولها وإنتاج أجيال مسخرة لخدمة مصالحه أشكالهم جزائرية وعقولهم غربية، عقيدتهم الإسلام لكن بطقوس نصرانية. أجيال لا تكتفي بالانفتاح على العالم الغربي فقط بل تتعدّى ذلك إلى الانبطاح أمامه! ومن تلك الباكورة جاء صاحب المقالة التي نشرت في صحيفة الدفاع الناطقة بالفرنسية لصاحبها محمد الأمين العمودي[1] بتاريخ 23 - 2 - 1936م.

1) – اختطف محمد الأمين العمودي من بيته من قبل القوات الفرنسية بتاريخ 10 - 10 - 1957 وقد وجدت جثته بعد أيام بالعجيبة قرب البويرة.

قبل أن يصحو ضميره ويتوب توبة نصوحة. حيث جاء في مقالته هذه ما يلي: "إنّني لست مستعدا للموت من أجل الوطن الجزائري، لأن هذا الوطن لا وجود له، إنني لم أكتشفه، لقد سألت عنه التاريخ وسألت عنه الأحياء والأموات، وزرت المقابر من أجل اكتشافه فلم أجد من يكلمني عنه إطلاقا. إننا لا يجب أن نقيم بناء على الرمال.."[1].

والأستاذ من هذا الهجين ممن طُبع على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم.

صحيح أن المواثيق الدولية تحرّم قتل المدنيين والأسرى وقد صدرت في حقهم نصوص وتشريعات يعرفها الكثير، وقبل هذه المواثيق بقرون كان القادة المسلمون منذ عهد الرسول عليه الصلاة والسلام يوصون قادة السرايا بأن لا يتعقّبوا فارّا ولا يقتلوا طالب أمان ولا شيخا ولا يعقروا ناقة ولا يقطعوا شجرا....، وظلت هذه الأخلاق السامية النبيلة ملازمة للمسلمين عهودا طويلة.

وفي اجتماع "لقرين" الذي سبق إعلان الثورة بمدة قصيرة والذي وضعت فيه اللّمسات الأخيرة للثورة، وأمام إطارات المنطقة. قدّم ابن بولعيد توصيات عامة وخاصة تتعلق بسير العمليات القتالية ضدّ أهداف عدوة. منها:

"يمنع منعا باتا قتل المدنيين ولو كانوا خونة"[2]. والقائد يشمله هذا المنع إذا لم يكن قاتله في حالة دفاع شرعيّ.

وعمليّة تاغيت هذه لم تكن هدفا مقصودا عند توزيع المهام في دشرة أولاد موسى وخنقة لحدادة. إنما الأمر صدر بإحراق حافلة بوهالي وقد تم ذلك في جسر "باشا" على الطريق الوطني رقم 31 بين آريس وباتنة، نظرا للعمالة التي كان يتصف بها صاحبها، لكنه سلوك فردي يتحمل قائد العملية تبعته في كلتا

1) – تنسب المقالة إلى السيد فرحات عباس الرئيس الأول للحكومة المؤقتة والرئيس الأول للمجلس التأسيسي للجزائر المستقلة.

2) – عن كتاب ابن بولعيد والثورة الجزائرية ص: 356.

الفرضيتين سواء كان القتل خطأ أم كان عن ترصد وسبق إصرار. وخير للذين صنعوا الحدث أن يأتوا بالحقيقة على وجهها، وأن يصارحوا القرّاء بما حدث، مهما كان طعمه، فازدواجية الخطابات (الروايات) جعلت القارئ والمهتم يصاب بعمى الألوان، وأصبح يرى بأن لكل حادثة وجهين: وجه إعلامي يخدم مصالح أشخاص أو تيارات معينة، ووجه حقيقي يعكس وقائع الحادثة.

فالوجه الأول: تدعمه العواطف الجيّاشة ومشاعر الكراهية التي يكنها المواطن لكل من هو أجنبي – فكل فرنسي عنده رمز للاستعمار – وهو سلوك يستجيب لرغبات طبقة ذات رؤيا محدودة وبعد نظر قصير، لكنه لا يخدم أهداف الحركة الوطنية.

والوجه الثاني: تؤكده الحقائق الملموسة وتظهره القرائن والأدلة، وعلى القارئ أن يبحث عن الحقيقة بين الوجهين. فمنذ أقل من سنة تقريبا وبالذات في شهر أوت المنصرم نشرت جريدة الوطن اليومية حوارًا أجرته مع سائق حافلة الهاشمي الذي شهد الواقعة، وهذه مقتطفات من حديثه للجريدة[1].

....«نزل الزوج (ويعني المعلم وزوجته) وسارا خلف جندي من المجموعة التي اعترضت الحافلة وذهبا بهما إلى قائد الفوج، فحدّثهما هذا الأخير، وكنت حاضرا – يشهد الله على ذلك – كنت بجانب المدرّس وزوجته، وفجأة وبدون سابق إنذار إذا برصاصات نارية تستقر في ظهر المدرس الذي هوى إلى الأرض ولولا قائد الفوج الذي صاح مؤنّبا الفاعل لكان قد قتل زوجته، وبحركة عنيفة تدل على عصبية الفاعل صوب فوهة بندقيته نحو الأرض........إن الجندي الذي أطلق النار أطلقها هكذا بدون وعي، أستطيع أن أقول بدون وعي، أقسم بالله أن القائد الذي كان في الحافلة (ويعني به، ابن ناجي الصادق) وما عدا سكان أمشونش الذين كانوا يعرفونه طبعا، لو أنه لم يفصح عن هويته لما عرفه أحد......».

---

1) – الحديث نشرته جريدة الوطن اليومية الناطقة بالفرنسية بتاريخ: الخميس 25 أوت 2005 الصفحة: 15.

وبعيدا عن التحيز وعن العاطفة، نقول: ما الذي يمنعنا من أن نقول بأن القائمين بهذه العملية ليسوا كرامًا بررة؟ بل هم بشر يصيبون ويخطئون، فمنهم الصالحون ومنهم دون ذلك وأن نعترف بأنها غلطة قائد كما يصطلح عليها.

إن الأجيال بعدنا سوف تلجأ إلى البحث العلمي بتحليل الوثائق والأسناد التاريخية، وتقصي الحقائق، والبحث عن مصادر المعلومات، والتي منها تلك التصريحات التي أدلى بها ركاب الحافلة المستجوبون من قبل مصالح الدرك الاستعماري، وما جاء في مذكرة الاتهام ضد ابن بولعيد في محكمة قسنطينة - والتي تعذر علينا الحصول عليها - من أجل الوصول إلى الحقيقة الناصعة. فإذا حدث أن اكتشفوا زيف تصريحاتنا وكتاباتنا نحن من عاش أحداث الثورة أو عاش قريبا منها، فبأي حديث بعده يؤمنون.

إنّ ما سمعناه وقرأناه في كثير من المرات حول الموضوع يصلح للاستهلاك المحلي فقط وفي أوساط تكون قدرة الفرد على تحليل المعطيات فيها ضعيفة. أما أن يكون لنا حجّة بالغة على عدوّ يستخدم العلم في كل شيء ويأخذ الأمور بجدية أيا كان نوعها فلا يعدو ذلك أن يكون حجة علينا لا حجة لنا.

فقد أخرج جثة محمد زمزم من مقبرة سيدي خليفة بابن قردان بعد أن ألقي القبض على ابن بولعيد المتهم بقتله، وضبطت عنده رصاصات عيار 9مم للتأكد من مطابقتها لفشكات (LES ETUITS) عُثر عليها قريبا من الجثة ومع رصاصة أخرى استقرت في صدر القتيل، وللتأكّد أيضا من أن قطر تلك الرصاصات هو نفسه قطر الفجوات التي في جسم الضحية، وأن مسار الرصاصات في جسمه يتفق مع الوضعية التي اتخذها القاتل عند إطلاقه لتلك العيارات. فأي داع بعد هذا من مغالطة القراء أو الباحثين والمهتمين؟.

ومثل هذه الأخطاء وقعت حتى في أزهى العصور الإسلامية ومن قبل قادة بارزين. فقد أمر خالد بن الوليد - رضي الله - في حروب الردّة بقتل مالك بن نويرة، فأنكر عليه الصحابة ذلك، ولما بلغ الخبر أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، قال عمر رضي الله

عنه لأبي بكر: إن خالداً قتل مسلما فاقتله به، فقال أبو بكر: ما كنت لأقتله به، إنه تأوّل فأخطأ. فقال عمر: اعزله، قال أبو بكر: ماكنت لأشيم سيفا سلّه الله عليهم أبدا(1).

حدث هذا في خلافة أبي بكر الصديق خليفة رسول الله ﷺ وثاني اثنين إذ هما في الغار. ولم يكن قاتل المعلم "مونيرو Monerot بمنزلة خالد ولا كان ابن بولعيد بمنزلة أبي بكر رضي الله عنه.

وأودّ أن أعرّج في آخر هذا الاستطراد على حادثتين اثنتين ولن أصف بشاعتهما حتى لا أثير غضب الأستاذ الفاضل ومن على شاكلته من تنظيم - الجيل الجديد - حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا - ممن يتغاضون عن جرائم: بيجار وماسو وأوساريس ولا يرون في عملهم بأسا، وأسأل أستاذنا ومن يشايعه في هذا الأمر عن رأيهم فيهما، وقد وقعتا غير بعيد عن محيط الأوراس الشبح!.

فالأولى: هي حادثة اختطاف الشيخ الجليل العربي التبسي من منزله ليلة الجمعة 4 أفريل 1957م من قبل مظليي بيجار وماسو، وهو على فراش المرض. فما علم الناس بعد تلك الليلة له خبرا ولا عرفوا له قبرا.

وقصد تضليل الرأي العام فإن صحيفة (لوموند Le Monde) أعلنت بعد أيام من ذلك التاريخ - دون أن تعلق على حادث الاختطاف - أن مجهولين اختطفوا العربي التبسي من منزله!... ألم يكن العربي التبسي شيخا جليلا صاحب علم وفضل؟ فلئن كان "مونيرو - في" MONEROT معلّما وكان آمنا، فالتبسي كان أغزر منه علما وأكثر أمنا.

أما الثانية: فهي حادثة اختطاف الأستاذ العلامة: رضا حوحو من منزله بقسنطينة مساء يوم 29 مارس 1956م إثر مقتل السفاح "**سانمار سيللي**" من قبل الفدائيين بذات المدينة، وظل مصيره مجهولا حتى الاستقلال حيث وجد جثمانه مع ثماني جثث مركومة وسط حفرة عميقة في ضواحي مدينة لخروب. وكان حوحو أستاذا

1) - وفيات الأعيان لابن خلكان. الجزء: السادس. الصفحة 15.

فاضلا وصاحب علم ودين... فماذا كان موقف هؤلاء التبع؟ وماذا كان تعليق صحفهم عن اختطاف وتعذيب وقتل هذين العالمين؟ أم على قلوب أقفالها.....

ومهما يكن فإن المعلم (مونيرو - ڤي MONEROT) لم يكن هدفا استراتيجيا للطلائع الأولى من المجاهدين، وموته قد أضر بسمعة الجبهة، وشكك الأحزاب الوطنية في أهدافها، ولم يكن بمقدور جبهة التحرير يومها إيضاح موقفها اتجاه ما حدث لعدم امتلاكها لوسائل إعلام تمكنها من ذلك، وتنقّل ابن بولعيد إلى المكان كان من أجل الوقوف على الحقيقة، لكن فما العمل؟

....وبعد التقويم السريع للوضع راح ابن بولعيد ينتقل من مكان إلى مكان حتى لا يعطي فرصة للعدو وأعوانه من تحديد مركز القيادة، سواء عن طريق الرصد والتجسس أو بواسطة الطائرات الاستطلاعية (الاستكشافية) من جهة. وحتى يكون على مقربة من مواقع المجاهدين يتفقد أحوالهم ويحثهم على الصبر والثبات ويحرضهم على القتال، وليطلع كذلك على ظروف سير العمليات القتالية من جهة أخرى. وقد اتخذ من الهارة مركزا للقيادة مدة تزيد عن أسبوع نظرا لموقعها الاستراتيجي المطل على كل من آريس وكيمل ولقربها من مقر إقامة مصطفى بوستة، وهو عنصر قيادي مقرب من ابن بولعيد، ومع بزوغ ضوء الفجر من كل يوم يصعد إلى رأس (السراء) أعلى قمة في الجبل، ومنها يتابع التحركات المختلفة للعدو بواسطة المنظار المكبر سواء كان ذلك في شكل عمليات تمشيط بحثا عن المجاهدين أو على شكل أرتال من السيارات تنقل العساكر من وإلى أماكن العمليات، أو لإقامة نقاط مراقبة ثابتة أو متحركة في المفترقات وفي أماكن العبور والفجاج.

وقد شنّ طيران العدو خلال هذه الفترة[1] عملية إغارة وقصف شديدين على قريتي عكريش وبوستة مستهدفًا مركز قيادة الثورة، وكان ذلك غير بعيد عن مركز القيادة [2]، وبعد مرور خمسة عشر يوما أو أربعة عشر يوما حسب

1) - في اليوم الثالث من اندلاع الثورة.
2) - لعلها أول عملية قصف مركز بالطيران خلال الثورة.

روايتي كل من مصطفى بوستة وعبد الوهاب عثماني على التوالي، دعا ابن بولعيد رؤساء النواحي الشرقيّة إلى الاجتماع بجبل أسراوات قريبا من الهارة. وقد حضر الاجتماع كل من: مصطفى بوستة، مدور عزوي، عاجل عجول، بشير شيحاني، عبد الوهاب عثماني، وعمار أمعاش.

وبديهي أن يعقد هذا الاجتماع التقويمي بعد أن أظهرت الثورة صمودها، وعبرت الأحزاب والتشكيلات السياسية عن مواقفها، وبعد أن اتّخذ الاستعمار عدة تدابير عملية لإجهاض الثورة أو ما يصفه بالتمرّد المسلّح في الأوراس، وبرزت على مستوى الساحتين السياسية والعسكرية جملة من المعطيات تستوجب التحرّك الفوري والتعامل معها، كان أخطرها:

1) - النّقص في التسليح

2) - النقص في التموين وفي الذخيرة.

3) - اشتداد الحصار على القرى وتهجير السكان من بعض المناطق وأثره على التموين.

وقد أدى النّقص الفادح في التسليح بعض رؤساء الفرق إلى تسريح بعض الجنود ليعودوا إلى الحياة المدنية بصفة مؤقتة، إذا لم يكونوا محل بحث من طرف الاستعمار.

كما أعيد النظر في تنظيم الوحدات والفرق والأفواج، وأعطيت التعليمات بأن لا يتعدى عدد عناصر الفوج الواحد اثنا عشر جنديا، كما أعطيت الأوامر لقادة النواحي بتجنّب حرب المواجهة مع عدوّ يتفوّق من حيث التنظيم والتّسليح والإمداد، والاقتصار على الكمائن وحرب العصابات والضربات الخاطفة المتفرّقة قصد إرباك العدو وتشتيت قواته، ومناوشة نقاط المراقبة ومراكز الحراسة وقوافل التموين والإمداد[1]، وفي تصريح للمجاهد: مصطفى بوستة حسب ما جاء في كتاب: ابن بولعيد والثورة الجزائرية، أن ابن بولعيد ألقى

---

1) - ضبطت مصالح D.S.T الفرنسية بتونس عند ابن بولعيد وثيقة مكتوبة بالآلة الراقنة في شكل تعليمة موجهة للوحدات، حدد فيها الأهداف بدقة وقد ألح على نقطتين:

- تجنب الأهداف المدنية. - تصفية العملاء وعدم التسامح مع الخونة.

خطابا هاما في هذا الاجتماع حثَّ فيه الحاضرين على الصبر وعلى الثبات واليقظة، وقال بصريح الحديث: "من فشل بعد هذه التجربة القصيرة من الحرب وثبت له عجزه عن مواصلة درب العمل المسلح الشاق فليعد إلى أهله وولده إن شاء بلا لوم ولا عتاب، لكن قبل ذلك يجب أن يتخلى عن سلاحه للثورة. فالثورة ستستمرّ ويشتد أُوَارُها إلى أن يتحقق النصر بإذن الله".

تطورات وأحداث

أثار شبح الانتفاضة هاجس الأوربيين عموما والمعمرين خصوصا فأظهروا موقفا عدائيا متصلبا، يرفض أي إصلاح تنوي الحكومة القيام به لامتصاص غضب السكان المسلمين، كما كانوا يصفونهم. وقد لاقى هذا الموقف المتطرف الحظوة والتأييد داخل البرلمان.

إن الهجمات المنسقة التي شنها الثوار على مزارع المعمّرين في كل من: فم الطوب، وسريانة (باستور) سابقا، والظّهرا بغرب البلاد وغيرها، غذّت في نفوسهم مشاعر الحقد والكراهية واعتبروا ذلك ناقوس خطر يهدد وجودهم فسرعان ما تحالفوا وصاروا قوة ضاغطة في البرلمان، ونواة صلبة داخل الحكومة، فدفعوا بالحكومات المتعاقبة إلى تطبيق سياسة القمع ضد الأهالي، ومحاولة كسر الانتفاضة بأي ثمن.

لاشك أن التطور النّوعي للأحداث والانتشار السريع لها في البلاد لم تعهده فرنسا قبل هذا التاريخ، وقد خشيت أن يؤدي هذا إلى تقويض مصالح الفرنسيين في الجزائر على غرار ما حصل في الهند الصينية.

وحتى تصرف فرنسا الأنظار عما كانت تقوم به وحداتها في الأرياف خاصة كانت تصرّح في كل مرة بأن الأوضاع في تحسن مستمر، وأن القائمين بهذه الأعمال تسللوا من دول الجوار، ملوّحة مرة إلى تونس وأخرى إلى مصر، بالتواطؤ مع حركة الانتصار، وتقدم في كل مرة أرقاما مغلوطة للرأي العام.

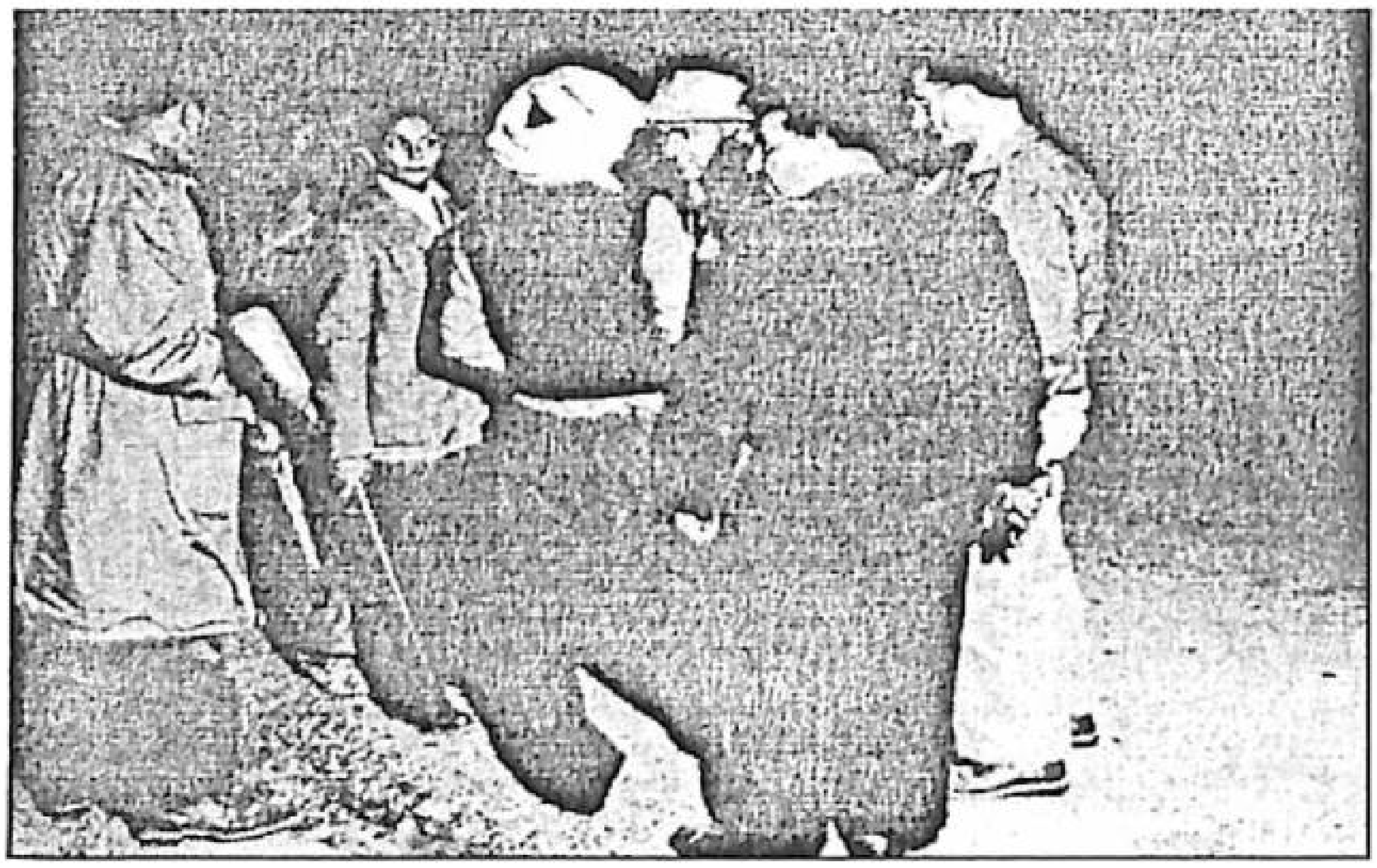

ميليشيات الدفاع الذاتي للمعمرين
"الصورة من فم الطوب بالأوراس" نوفمبر 1954

وظل المعمرون - أولئك الذين صنعوا مأساة الجزائر منذ عشرات السنين - سادة القرار في البلاد، وراحوا يرددون في كل مرة «القمع أوّلا والإصلاحات ثانيا».

يبقى الحزب الشيوعي الأممي - الفرنسي - هو وحده الذي تكهن بما ستؤول إليه الأحداث فقد عبّر مكتبه السياسي عن موقفه المتشائم بقوله:

«لنتذكّر الهند الصينية! لقد وعدونا إذ ذاك بعملية تطهير بسيطة ثم كانت تلك الحرب القذرة التي تواصلت ثماني سنوات... فلا يجب أن ننتظر ثماني سنوات لنعترف للشعب الجزائري بحقّه في الاستقلال... نقول، لا للحرب القذرة في الجزائر»[1].

أما على الصّعيد العسكري فقد قامت الحكومة الفرنسية بإرسال عشرة آلاف جندي، تدرب جزء كبير منهم في أرياف الهند الصينية، وتمرّس على حرب العصابات. ضدّ 350 مجاهدا كانوا ضمن الطلائع الأولى.

أورد ذلك المؤرخ الفرنسي "إيف كوربير" في كتابه "زمن الفهود" الصفحة: - 43، حيث أقامت هذه القوات ثكنات عسكرية مجهزة بتحصينات وأبراج

1) - La vérite N° 543 du "12-26" 11.54

مراقبة محوطة بأسلاك شائكة حول المدن والقرى، وفي الأماكن الاستراتيجية. ولما لم تتمكن هذه القوات من اقتحام معاقل المجاهدين لجهلها بطبيعة الأرض وموقف الأهالي من الثورة، راحت تُغري ضعاف النفوس ممن تسرب اليأس إلى نفوسهم واستقرت الهزيمة في أعماقهم، وآمنوا بخرافة (أولها رومية وآخرها رومية) فدعمت هذه القوات صفوفها بلفيف محلي عرف باسم "القومية". ولا علاقة لهذه الكلمة بالمهمّة القذرة التي تطوّعوا لها.

ولا يختلف اثنان هنا في أن المقارنة بين القوات الفرنسية، وقوات جيش التحرير الوطني من حيث التكافؤ غير منطقية، ولا تصح البتة.

فالقوات الفرنسية، قوات نظامية، تمتلك أنظمة دفاعية وهجومية متطورة وأسلحة قتال متكاملة ووسائل اتصال حديثة، وخطط حربية، وتطبيقات ميدانية... ولم يتوفر شيئ من هذا لجيش التحرير الوطني طوال سنوات الثورة.

غير أن هذا لم يمنعه من أن يخوض حربا ضروسا بأسلوبه الخاص ضد القوات الفرنسية وأن يسدّد لها ضربات موجعة في أكثر من مكان،... فالجبل الأزرق وأحمر خدو، والجرف، وكباش، وخنقة معاش، وجبل بني فرح، وبوعريف... أماكن يؤرق، مجرد سماعها قادة العمليات العسكرية لجيش الاستعمار....

إننا نُفضّل تجنب الحديث عن المعارك الحربية بين الطرفين في هذا المقام لقلة المراجع الموثوقة، لكن هذا لا يمنعنا من أن نتساءل وبموضوعية مطلقة ودون تحيز أو عاطفة عن الأسباب التي دفعت مراسل جريدة "لوموند الفرنسية" إلى أن يكتب بتاريخ 13 مارس 1956: "إن إرسال الجيش إلى الجزائر أصبح أمرا ضروريا لتجنب هزيمة مذلة قد تكلفنا الكثير"(1).

إن سقوط ثلاث حكومات خلال سنة ونصف دليل على فشل سياسة القمع المنتهجة من قبل السّلطة الاستعمارية، واستقدام وتعيين ضباط سامين عُرفوا

1) - الثورة الجزائرية "سنوات المخاض" لـ: محمد حربي، الصفحة: 152.

بطباعهم الشرسة وحقدهم على الجنس الأهلي كما كانوا يصفونه، دليل آخر على عجز القوات الاستعمارية السيطرة على الموقف.

فالجنرال "شارير CHERRIERE" الذي قاد أعنف حملة على الأوراس خلال شهر جانفي 1955. والذي كان يردد ويتوعّد: «أنا ما جئت هنا لأجرّد الشاوية من سلاحهم فقط، إنما جئت لأخيّرهم على أي حطب يُشْوُون»[1]. خرج من الأوراس مذموما مدحورًا فصبّ جام غضبه على السكان العزّل في وادي زناتي، حيث أتى فيه على الأخضر واليابس، واستلم بعده الجنرال: غاستون بارلانج السلطة المدنية والعسكرية في الأوراس، وقد وضعت الحكومة الفرنسية تحت تصرفه أكثر الفيالق أوسمة من أجل القضاء على الثورة في الأوراس منذ 3 ماي 1955، لكنه لم يحقق شيئا سوى تطبيقه وبإفراط لمبدأ المسؤولية الجماعية في سلسلة من الإعدامات ضد المدنيين العزل، تكلّف بها ضبّاطه للشؤون الأهلية. ففي بلدية إيشمول بقلب الأوراس مهد الثورتين: ثورة - 1954 وثورة 1879 أقدم النقيب "ميني MENIER" بتاريخ 20 جويلية 1955 على إعدام 60 "مدنيا" وألقى بـ 14 شخصا آخر أحياء في إحدى مغارات المنجم بـ"إيشمول" لازالت جثثهم في عمق المغارة.

كما قام النقيب "دوكاربونتي De carpentier" بإعدام 14 مدنيا بتَكُوتْ بتاريخ 16 - 4 - 1957، عندما تعرض أحد العملاء للاغتيال من قبل المجاهدين.

ومالم نعلمه من الجرائم التي ارتكبها "بارلانج" وضباطه للشؤون الأهلية أكثر مما علمناه، وكان الهدف من هذه الأعمال الإجرامية كلها التأثير على نفسيات المجاهدين للتقليل من الهجمات التي كانت تتعرض لها الثكنات العسكرية وقوافل الإمداد، وتحطيم القواعد الخلفية للثورة، وإجبار المواطنين على الدخول إلى المحتشدات والنزوح من الريف.

---

1) - حرب الجزائر لـ : هنري علاق، الصفحة: 492 والجنرال شارير يُعد أكبر قائد عسكري في الجزائر، وقائد الناحية العسكرية العاشرة آنذاك.

غير أن السـكان سرعان ما أَلِفُوا هذا الوضع وأصـبحوا لا يعبؤون بالموت، فهم أحياء أموات.

إن النصر الساحق الذي كان قادة الاستعمار يعدون به المعمرين قد تبخّر بـعـد شـهـور من القتـال، وأن أوراس 1954 غيـر أوراس 1916 و1879، و(1859 - 1860). ولو توفر للمجاهدين بعض ما توفر للجيش الفرنسي من السّلاح والعتاد لما تأخر الحسم إلى غاية 1962.

المعضلة الكبرى

تعتبر قضية التسليح أهم انشغال لابن بولعيد منذ ظهور التنظيم السـري ذي الصفة العسكرية المعروف بالمنظمة الخاصة خلال سنة 1947م، وقد أنشأ من أجل ذلك عدة خلايا راحت تعمل على تهريب الأسلحة من غدامس إلى الأوراس عبر نقطتي عبور هامتين هما: وادي سوف وزريبة الوادي في الصحراء الشرقية. كما أنشأ نقاطا أخرى في كل من أرديف وقابس وجربة في الأراضي التونسية، ومنها إلى صحراء النمامشة فالأوراس، وكان ذلك خلال سنوات 1947. 1948. 1949. وكانت آخر رحلة له في هذا الاتجاه (ليبيا) خلال صائفة 1954م وبالتحديد في 15 أوت 1954م عبر الأراضي التونسـية، إلا أنّه لم يتمكّن رغم المجهودات المبذولة من جمع ترسانة من الأسلحة لتلبية حاجات منطقة الأوراس التي كان يشرف عليها وتمرير جزء من المخزون إلى المناطق الداخلية مثل: الشمال القسنطيني وبلاد القبائل حيث توجد طلائع من المناضلين المهيكلين لكنها تفتقر إلى السلاح، ورغم أن الكثير من المواطنين في الأوراس خاصّة كانوا قد تبرعوا بأسلحتهم طواعية بمجرد اندلاع الثورة، إلا أن ذلك لم يحل إشكالية الإمداد بالسلاح وبالذخيرة وقد ظلت هذه المشكلة تؤرق القيادة على الدوام.

فالعمليات التي استهدفت مخازن الأسلحة ليلة أول نوفمبر قصد الإستيلاء على مخزون الأسلحة لم تحقق أهدافها إلا في نقاط محدودة مثل: خنشلة في

الأوراس وبوفاريك في البليدة. خسارة الأسلحة بفعل الاستعمال او الضياع خلال الاشتباكات تزداد مع مرور الزمن وتطور الأحداث واشتداد المعارك.

إقبال المواطنين للتطوع في صفوف الثورة فاق كل تصور حتى أن هذا التطور العددي أصبح يشكل عبئا آخر على كاهل القيادة من حيث التأطير والتسليح والعلاج وتوفير المستلزمات الضرورية للحياة في الجبل. لا سيما بالنسبة للعناصر التي تنشط بعيداً عن أماكن إقامتها. ولم تجد القيادة من حل لهذه المعضلة سوى العودة إلى تنشيط الخلايا التي كانت تعمل على تهريب الأسلحة من القطر الليبي عن طريق مركزي عبور (وادي سوف/ زريبة الوادي)، لكن في ظروف غير الظروف التي كانت سائدة قبل اندلاع العمل المسلح، فكان لزاما على القائد ابن بولعيد أن يرحل بنفسه إلى مدينة بسكرة لهذا الغرض. فاتصل أوّلا بابن عمته ولد لخضر الشريف في غابة النخيل بقرية "لحبال" ليوفر له أسباب الأمن والتمويه الضروريين ثم نزل إلى مدينة بسكرة متنكرا في ثياب مدنية قصد الاتصال بمحمد بلحاج المكلف بتهريب الأسلحة من وادي سوف، إلا أنه فوجئ بعد أن سأل عنه بأن الرجل قد تنكّر للثورة وانضم إلى المصاليين. عندها أدرك ابن بولعيد حجم الخطر المحدق بالثورة وأنها سوف تختنق إذا لم تصلها الأسلحة في أقصر وقت.

كما عبّر عن ذلك العربي بن مهيدي في لقائه ببوضياف بوادي ملوية على الحدود الجزائرية المغربية خلال شهر مارس من سنة 1955م بقوله: "السلاح، السلاح وإلا اختنقنا"، وسوف تتنفس الثورة قريبا ولن تختنق أبدا لأن «يخت» الملكة «دينا» عاهلة المملكة الأردنية في الطريق وسوف يخترق نظام الدفاع الذي فرضته السفن الحربية الفرنسية على المياه الإقليمية للجزائر ويرسو بهدوء في ميناء «كابودياوا» في منطقة مليلة المغربية حيث تفرغ أول شحنة من الاسلحة الحديثة قامت بإرسالها مندوبية جبهة التحرير التي اتخذت من القاهرة مقرا لها، وبصحبتها مجموعة من الضباط الشباب من بينهم: الراحل: هواري بومدين وعبد القادر شنوف... غير أن الوضع في الأوراس كان غير ذلك.

ولا شك أنّها كانت صرخة كل قائد وكل مسؤول وكل مجاهد في تلك الفترة.

عاد ابن بولعيد من بسكرة خائبا، واكتفى بعبارة موجزة تعبّر عن الأسف والمرارة التي أحس بها، وذلك بقوله: "**السلاح أخذه الخونة**".

وفي انتظار إيجاد مخرج لمشكلة التسليح راح ابن بولعيد يتصل بالمجاهدين يتفقّدهم ويعقد اللقاءات معهم يشجعهم ويرفع من معنوياتهم القتالية حتى لا يتسرب الملل إلى نفوسهم، وأخذ يفكر في نفس الوقت في البحث عن مصادر أخرى للتسليح اعتمادا على قدرات جنود جيش التحرير الوطني وأسلحة المواطنين ممن لم يسلّموا أسلحتهم بعد للثورة، غير أن الغنائم لم تعد كافية ولا يمكن أن تغطّي حاجات الوحدات من السلاح، والوصول إليها ليس بالأمر الهيّن ويحتاج إلى تسليح جيّد، وثبت أن وضع الشعار الذي رفعه الشهيد: "زيروت يوسف" بين جنوده «سلاحكم فوق أكتاف عدوكم» موضع التنفيذ ينطوي على مخاطر لا تتحملها الثورة في أول عهدها. خبرة قتالية ضعيفة، تدريب ناقص، وتسليح رديء، وحتى الأسلحة التي تأتي بواسطة الفارّين من الجيش الفرنسي يحتفظ بها في الغالب أصحابها، ولن تحل المشكلة، وستظل المشكلة قائمة ما لم يزد عدد القطع المستعملة والاحتياطية عن عدد المجاهدين العاملين. لذا راح ابن بولعيد يفكر في اختراق الحصار المضروب على الأوراس والذهاب بنفسه إلى الخارج لتنشيط وتنظيم عملية الإمداد بالسلاح بانتظام.

وكان قد أمر عاجل عجول وهو في طريقه إلى بسكرة بأن يعود إلى جبل اللشعة وأن يحضّر لاجتماع قيادة الأركان بعين "تاوليليت"، وقد توجّه إليها فور عودته من بسكرة حيث عقد بها اجتماعا ضم معظم العناصر القيادية وحضره كلّ من: عاجل عجول، مصطفى بوستة، مدور عزوي، بشير شيحاني، عباس لغرور، عبد الوهاب عثماني، عمار أمعاش، الصالح بن ناجي ممثلا للطاهر أنويشي.

قيّم ابن بولعيد خلال هذا الاجتماع نتائج العمليات القتالية ضد العدو، وردود الأفعال السياسية والعسكرية لمختلف القوى، بما في ذلك القوى الوطنية

التي ظلت تراوح مكانها دون أن تميز الخبيث من الطيب، كالحزب الشيوعي الجزائري، وحزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، وجمعية العلماء المسلمين، والحال أن هذه الحركات النخبوية المحترفة للسياسة، كانت ترى أن الاستقلال أبعد من نجوم السماء، وأن هذه الانتفاضة ستقوض مشاريعها السياسية. وقد أذهلتها المفاجأة وكادت أنفاسها تتوقف لحظة وقوع الانفجار. لعدم علمها بالترتيبات التي كانت تقوم بها عناصر اللجنة الثورية للوحدة والعمل «CRUA» من جهة، وبنفسية المواطن الذي ضاق به العيش وراح يبحث عن متنفس وسط محيط سياسي متعفّن. ولم تنضم هذه الأحزاب إلى الثورة حتى جاءها الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم، أما حركة الانتصار للحريات الديمقراطية الجناح المصالي فقد راحت تحاول احتواء الانتفاضة وتوجيه مسارها (لا تسألوا عمن يقف وراء الثورة، لكن حاولوا اختراق صفوفها والتحكم فيها)[1] بعد مرور ما يقارب شهرين ونصف من اندلاع العمل المسلح. واستمع كذلك إلى انشغالات قادة النواحي. ثم أعلن أمام القيادة عن نيته في السفر إلى المشرق قصد إعادة ربط الاتصال بين قواعد الإمداد وتنشيطها وتنظيمها لضمان استمرار تدفق الأسلحة على الثورة. أفصح للحاضرين عن ذلك وهو يدرك تماما أن في الطريق أهوالا وخطوبا. غير أن ذلك يهون كله عندما يتعلق الأمر بمصير أمة عانت من ويلات الاستدمار ما عانت منذ أكثر من قرن من الزمن، وتقول بعض المصادر بأن عزوي مدور أحد قادة الأركان، وصديق الشباب لابن بولعيد، حاول إقناعه بالعدول عن قراره هذا، إلا أن ابن بولعيد أصرّ على موقفه وقال له: "كلكم ابن بولعيد لقد ضربت الثورة جذورها في أعماق تربة خصبة، ولا يخشى عليها".

---

1) - وقد أسس الحاج مصالي حركة جديدة خلال شهر ديسمبر 1954م اسمها: الحركة الوطنية الجزائرية (ح، و، ج). وكان لها موقف مناوئا للثورة وأبرز عنصر فيها والتي صارت الحركة تحمل اسمه فيما بعد هو: محمد بلونيس. ومما قاله "لاكوست للصحافة الاستعمارية: إن الحركة الوطنية الجزائرية إنما تعمل لإضعاف جبهة التحرير الوطني ليس إلا".

وقد استخلف على قيادة الثورة، بشير شيحاني، كمسؤول، وعيّن كلّا من عاجل عجول وعباس لغرور نائبين له. وبعد تشكيل القيادة، أمر كلاًّ من عاجل عجول وعباس لغرور ومصطفى بوستة وعبد الوهاب عثماني بتنظيم دورية لمرافقته حتى الحدود التونسية، وخلال ذلك وفي انتظار إتمام الإجراءات المتعلقة باختيار عناصر الدورية ذهب رفقة عزوي مدور للاتصال بـ/ الطاهر أنويشي الذي قاطع الاجتماعات منذ اندلاع الثورة، وكان يوفد ممثلا له في كل اجتماع لمعرفة أسباب هذه المقاطعة.

انطلقت الدورية من ذراع الطير بكيمل يوم 24 أو 25 - 1 - 1955م[1] متوجهة إلى تونس تحت قيادة عثماني عبد الوهاب، وقد أبلغ ابن بولعيد وهو في الطريق بوجود اضطرابات بين قياديين معروفين في ناحية تبسة من بينهم: محمد لخضر السوفي، وعبد المالك وبلقاسم بوقرة. فما كان منه إلّا أن عرّج على ناحية تبسة والتقى بهذه العناصر وسعى للتوفيق بينها.

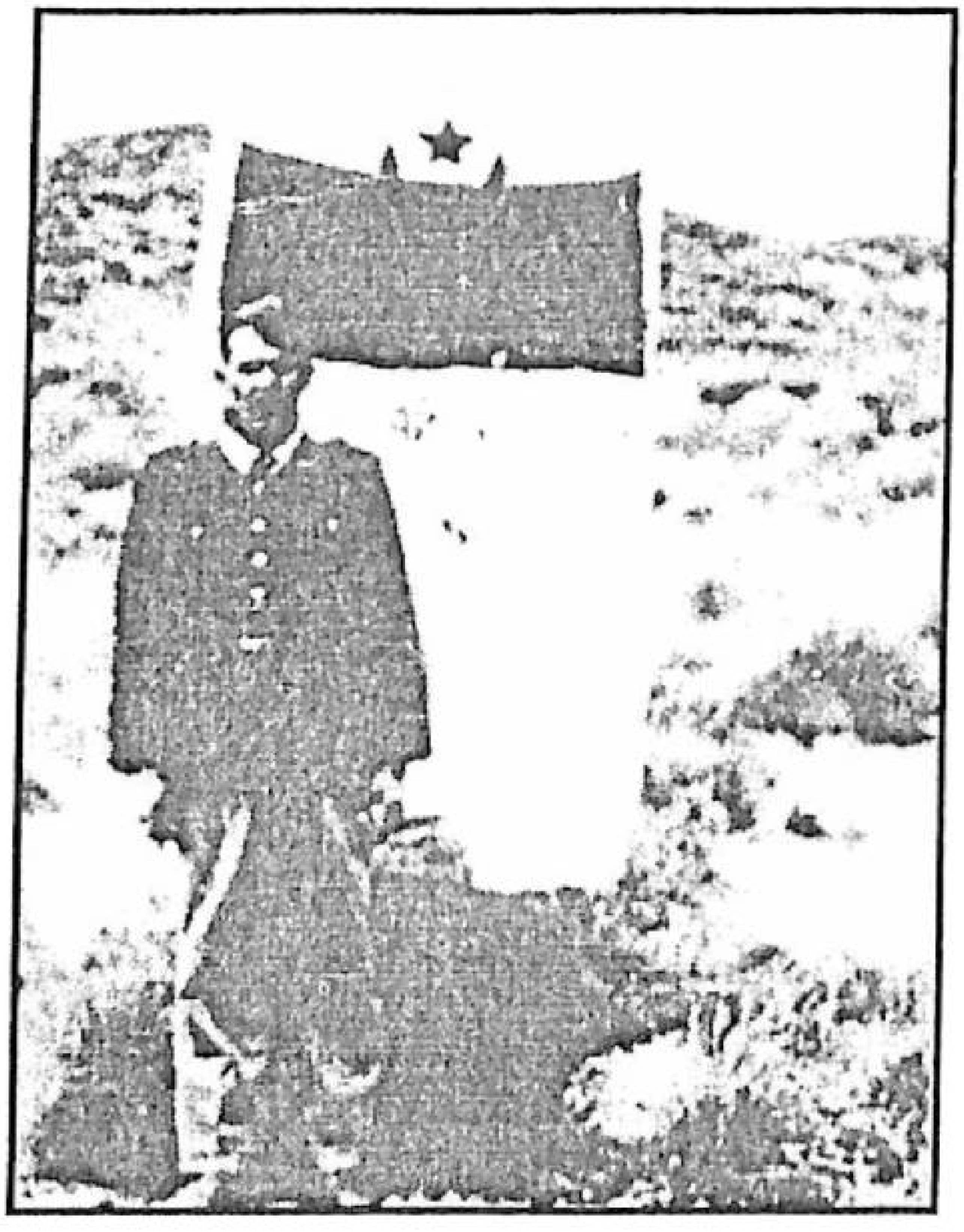
الجنرال محمد بلونيس وقد جعل العلم وراءه ظهريا

ولم تكن الأوضاع بالأوراس- بمجرد أن غادرها ابن بولعيد - بأحسن مما هي عليه في تبسة، لكنها لم تطف بعد إلى السطح وذلك لظن الجميع بأن القائد المرجع سيعود إلى قيادة الثورة في أقرب وقت ممكن.

1) - اختلفت الروايات في تحديد تاريخ سفر ابن بولعيد بين يومي 24- 25 جانفي.

أسباب الاضطرابات

ترجع أسباب الاضطرابات في بداية الثورة وقبل مؤتمر الصومام إلى:

1) - غياب نصوص وقوانين في بداية الثورة تحدد المسؤوليات وتوضح الرتب

2) - غياب قيادات مرجعية محنّكة كالتي كان يتصف بها ابن بولعيد والذي استطاع أن يذيب فكرة العصبية القبلية وقيادة العروش ولو إلى حين وأن يجعل من الثورة وعاءا تذوب فيه كلّ الحساسيّات القبليّة.

3) - قد يكون منشأ الصراع انعكاسا لصراع قديم بين قبائل يرفض عناصرها الانصياع لعناصر قيادية من قبيلة أخرى لاعتبارات جاهلية.

4) - النزعة الفردية التي يتصف بها البدوي عموما والإنسان الأوراسي خصوصا والتي يعبّر عنها بالأنفة والكبرياء وعزّة النفس تجاوزا.

5) - الإطاعة والطاعة والانقياد سلوكات مكتسبة تنتج عادة عن تكوين هادف أو تعليم منظم أو تدريب متواصل أو ولاء تام لنظام أو زاوية أو اتجاه... وهذه تكاد تكون مفقودة عند معظم هذه العناصر التي لم تتكيّف بعد مع نظام الجماعة ولم تتعوّد الخضوع لسلطة الغير غير السلطة الأبوية أو القبلية.

6) - التنافس بين شباب متحمّس طموح يحبّ الظّهور ويرغب في احتواء الغير

7) - اختراقات محتملة لمخابرات العدوّ قصد إحداث البلبلة والصراع على النفوذ مما يؤدّي إلى تفكّك المجموعة إلى وحدات أصغر والوحدة إلى أفواج، تنشط كل وحدة على انفراد وفي حيز ضيق لا تتجاوزه، يتحول بعدها إلى صراع مواقع فيذيق بعضهم بأس بعض. وقد حدث ذلك في أكثر من منطقة، وضبطت رسائل من ضباط الشؤون الأهلية عند بعض الأشخاص.

8) - تصرفات أخرى تنمّ عن عدم الشعور بالمسؤلية وخطورة الموقف "أنا وبعدي الطوفان"

9) - تسارع الأحداث وضعف وسائل الاتصال بين القيادة المركزية وبين الوحدات يجعل كل قائد يتصرف بمفرده.

10) - اختلاف في مستويات التكوين والنّضج السّياسي والثقافي أدّى إلى بروز اختلاف في الرؤى وفي القدرة على تحليل المعطيات وفي تحديد الأهداف واستخلاص العبر. فبعض الأشخاص وصلوا إلى هذه المناصب القيادية بمستواهم الثقافي، وبعضهم بأسبقيتهم في النضال، وآخرون بشجاعتهم وبطولاتهم واستبسالهم في القتال، وهكذا.. ومع مرور الزمن تحول هذا الخلاف في بعض المناطق إلى انسداد تامّ، فغاب الحوار وغاب معه التعقل، واحتكم الإخوة الخصوم إلى لغة البنادق في أكثر من موقعة، واستحكم العداء فكانت الحرب بينهم سجالا. ولو كان من حقنا أن نبدي رأينا في كلمات موجزة لقلنا: إن هؤلاء المسؤولين من الرعيل الأول خاصة قد اختلفوا في حبّهم للجزائر، كما قال بومعزة حين عاد إلى الجزائر بعد سنوات من اللّجوء السّياسي إلى فرنسا، فلما سئل عن جوهر الخلاف مع الزعماء السياسيين (خلال حكم الرئيس بومدين) أجاب ببراءة الطفولة: (اختلفنا في حبّ الجزائر). فكلّهم يحبون الجزائر، لكن من وجهات نظر مختلفة، وكلهم من الأخيار، ولو وجدوا هاديا لاهتدوا، ولو قُدِّر لابن بولعيد أن يعيش ردحا من الزّمن بعد فراره من السّجن لأمست تلك الخلافات في طي السجل.

هل أصاب ابن بولعيد في اختيار خليفة له قائدا على الثورة في الأوراس؟

ليس الجواب على هذا السؤال سهلا، كما أن الحكم عليه ليس بسيطا، إنما الأحداث وحدها هي التي تجعل المتتبع المتمعّن لمسار الثورة بعد القبض على ابن بولعيد والذي أخذ منعرجا خطيرا كاد يعصف بجهوده وبتضحيات رجال ظلوا أوفياء للمبادئ، - لولا أن منّ الله على الثورة في الأوراس وجعل للقائد مخرجا، فعاد إلى الأوراس من جديد ليعيد إقامة أركان بيت كاد ينهار ويمدّ من عمر الوفاق ولو إلى حين، وليبني هياكل تتماشى مع تطور الأحداث - يتجرّأ على الحديث في هذا الموضوع.

وليس من حقنا أن نطعن في أيّة شخصية من الشخصيات التاريخية، ولا من طبعنا التجريح وتعمّد الإساءة، فنظرتنا إليهم جميعا هي نظرة تلك المرأة الأنمارية التي رزقت سبعة أولاد ذكور كانوا من نجباء العرب. فلما قيل لها يوما: أي أبنائك الأفضل؟ قالت: الرّبيع... لا بل عمارة... لا بل فلان... بل فلان.... فلما ذكرتهم جميعا استدركت وقالت: أراهم كالحلقة المفرغة لا يُدري أين طرفاها!

لكنّنا لا نرى مانعا من أن نستقرئ الأحداث ونستنبط الأحكام بالتحليل والبحث والتحقيق حتى في أصحّ الروايات التي نسمعها، ونقارن ونحكم.

ففي حوار أجرته جمعية التراث والتاريخ بمقر منظمة المجاهدين بباتنة مع السيد: عاجل عجول أحد القياديين الثلاثة بعد سفر ابن بولعيد إلى تونس بتاريخ 3 - 9 - 1985م (تاريخ إجراء الحوار) يصرّح عاجل عجول "بأن مصطفى بن بولعيد أسرّ إلى بعض مساعديه الأقربين - دون أن يذكر أسماءهم - بأن شيحاني بشير حاول الفرار إلى بسكرة، لكن حسين برحايل ومصطفى

بوستة منعاه من ذلك[1]" ويقول في الصفحة الموالية من الكتاب نفسه (المرجع المذكور أسفله): أسرّ مصطفى بن بولعيد لعاجل عجول (الراوي) وعباس لغرور (شهيد) بأن المسؤولية الفعليّة لكما لأنّ شيحاني بشير صغير وجبان، وقد أثّر فيه هروب صهره "السرجان سليمان"[2]، وأرجو أن تستفيدا من ذكائه، كما تشدّدان عليه الحراسة. ويتحدّث الراوي في الصفحات: 387. 388 عن انحرافات وشذوذ وأعمال مخلة بالأخلاق صدرت من قبل شيحاني بشير. وفي الصفحات: 391 - 392 - 393 تتمة للحديث وفصل في الموضوع.

وفي رواية أخرى لمصطفى بوستة، وهو عنصر قيادي كذلك. الصفحة 607 من المرجع السابق يقول: عيّن "أي ابن بولعيد" شيحاني بشير واشترط عليهم أن يراقبوه. ويتحدث عثماني عبد الوهاب: قائد ناحية وعنصر مقرب من القيادة، في روايته "نفس المرجع" بما يلي "كما أُمر عاجل عجول وعباس لغرور بحراسة شيحاني بشير" وفي كتب أخرى روايات مماثلة.

تُرى هل كان ابن بولعيد يعرف ذلك كلّه عن شيحاني بشير، ثم يقوم باستخلافه على الثورة في أشدّ أوقاتها ضيقا وحرجا؟ - نقص في التسليح - نقص في التموين وفي العلاج - بروز مشاكل تتعلّق بالتنظيم - الدعاية للثورة ومواجهة الدعاية المضادة -، خلافات بدأت تظهر هنا وهناك نتيجة مؤثرات خارجية أفرزتها ظروف الحرب التي أصبحت واقعا، لم يعد حتى للأعداء مجال للشك في واقعيته، وذلك بسبب التعبئة العامة في الأوساط الشعبية التي تحتاج إلى مزيد من التنظيم والتوعية.

---

1) - ابن بولعيد والثورة الجزائرية لجمعية التراث والتاريخ الصفحتان (369 - 370) وما بعدهما.

2) - اختفى السرجان سليمان من دائرة العمل التي كلف بها (منطقة الصحراء) وبعد تحريات وبحث تبيّن أنّه التحق بفرنسا في الجزائر العاصمة. وكان سببا في اعتقال بعض المسؤولين مثل: رابح بيطاط.

وهذه المشاكل كلها تحتاج إلى قائد محنك وسط قادة مخلصين، يبادلهم المشورة، فيسدون له النصح، يتمتع بثقة الجميع أو بثقة الأغلبية على الأقل. ذكيا متواضعا شجاعا يعمل أكثر مما يتكلم وتكون نسبة الأخطاء في أقواله وفي أفعاله أقل ما يمكن، تحيط به هالة من الرجال، تحمي أزره، وتطيع أمره، وتحفظ سرّه، فمن ذا من قادة الأركان أو مجلسه الشوري كانت له هذه الصفات ويستطيع تحمل هذه المسؤولية الخطيرة في ظرف عصيب؟ فالقاسم المشترك بين الجميع لا شك هي الوطنية الخالصة، أما غير ذلك فشأن آخر.

من يدري لعل ابن بولعيد كان قد تفطن لمشاكل أخرى كامنة تكون أشدّ هولا لو أسند المسؤولية لشخص آخر غير شيحاني بشير، فتعصف هذه المشاكل بالثورة وهي في مرحلة النشوء ولما يشتد لهيبها بعد، ويؤدي هذا إلى صراع واقتتال بين الإخوة في الجهاد فتبرز العصبية الممقوتة من جديد وتتشكل كتائب وفرق تحمل أسماء أشخاص وتقاتل باسمها لا باسم الشعب وباسم الوطن ومن أجله، فيقولون: (كتيبة فلان، وفوج فلان)، وهذا ما حصل بعد موته -رحمه الله- وكان بأسهم بينهم شديداً.

إن كل من درس سيرة ابن بولعيد الذّاتية وعرف نضاله وقدّر قيمة التضحيات الجسيمة التي ساهم بها في مرحلة الإعداد للثورة، وحنكته في تسيير شؤون الثورة في شهورها الأولى لا يشكّ إطلاقا في أنّ ابن بولعيد قد اجتهد بناء على معطيات توفّرت لديه، واختار شخصا رفيقا في النضال مخلصا ذكيّا، تصفه إحدى مذكرات الإتهام بأن لا وطن له - وتعني لا مستقرّ له - فقد كانت الجزائر كلها وطنا له، فما إن يستقرّ في مكان حتى يغادره ليحل في مكان آخر في إطار ممارسة نشاطاته السياسية.

ولا يعتقدنّ أحد أنّ ابن بولعيد كان يعرف عنه ذلك في حالة ثبوت صحة الإدّعاء - ونحن لا ننفي الادعاء بالدليل، ولا نؤكّد صحّة ذلك بالدليل - وهو الشخص المتدين الزاهد في دنياه والذي كان يهدف من خلال البيانات المحررة

قبل وخلال الثورة إلى إقامة دولة تحكمها المبادئ الإسلامية وتعمل في إطارها وتسترشد بنظمها، وبصماته واضحة في هذه البيانات. وقد ظنّ أنّه الاختيار الأصوب فاختار[1]. لكن ماذا لو استشار قيادة الأركان في اختيار عنصر من بين العناصر القيادية الملازمة له، فهل كانت هذه القيادة تجمع على عنصر تتوفر فيه المقاييس المطلوبة؟ ألا يمكن أن تبرز خلافات أخرى من شكل آخر؟ وبعبارة أخرى هل تستقيم الأمور لو أسندت القيادة إلى شخص آخر غير شيحاني بشير؟ الإجابة تحتاج إلى تحليل أعمق للوضع مجرد من كل الاعتبارات وليس هذا أوانه، غير أني أرى أن ابن بولعيد - رحمه اللّه - كان يرى أن سفره لن يطول وأنه لن يلبث أن يعود إلى قيادة الثورة من جديد، وأنه سوف يجد نفس الانسجام في الرؤى والتفكير سائداً بين الإخوة في النّضال فكان ما كان.

الرفيق قبل الطريق

رفيق القائد ابن بولعيد في هذه الرحلة هو المجاهد: عمر المستيري الذي ما يزال حيًا إلى حدّ كتابة هذا العمل المتواضع، وهو يقول عن نفسه:

إنه مجاهد من الرعيل الأول، وممن لبّوا نداء الثورة التحريرية ليلة أول نوفمبر 1954م، وقد ورد اسمه في قائمة مجاهدي ليلة أوّل نوفمبر 1954م تحت رقم 265[2]. شارك في الهجوم الذي وقع على ثكنة باتنة صباح الفاتح من نوفمبر ثم عمل بعدها قائد فوج في القلعة تحت إشراف: مسعود أمعاش. وقد كلّف من قبل هذا القائد لإيصال البريد إلى قيادة الأركان في ذراع الطّير بكيمل. وخلال تواجده بذراع الطير حيث مركز القيادة العامة أو ما يسمى يومئذ بالإدارة، أعلمه عاجل عجول وعباس لغرور بأنه وقع عليه الاختيار لمرافقة ابن بولعيد في رحلة إلى الشرق، (وقالا لي "هذه أمانة في عنقك فحافظ

---

1) - يقول عنه «ايف كوريير»: فهو مسلم بالتطبيق يحترم مبادئ الإسلام ويأمر باحترامها.

2) - ابن بولعيد والثورة الجزائرية لجمعية التراث والتاريخ الصفحة (130) العمود الثاني.

عليها!") هكذا صرّح في حوار أجرته معه جمعيّة التّراث والتاريخ، ولم يأت في التصريح الذي أدلى به لهذه الجمعيّة والمدوّن في كتابها بعنوان: مصطفى بن بولعيد والثورة الجزائرية، أو في مجلة أوّل نوفمبر العدد 88 أو في جرائد ومجلات أخرى إن كان يعرف ابن بولعيد قبل هذا التاريخ أم لا؟ وهل وقع عليه الاختيار هكذا جزافا أم كان ذلك بناء على مواصفات معينة؟ وهل كانت له معرفة سابقة بالطريق الذي سلكاه في رحلتهما. أو بأشخاص في تونس؟ ولماذا لا يختار ابن بولعيد رفيق الطريق بنفسه؟ وهل كان الاختيار لهذه المهمّة الخطيرة بناء على معطيات خاصة يتوفر عليها الرفيق أم أن ذلك تم بشكل عفوي؟ وأسئلة أخرى تخالج فكر القارئ فلا يجد لها إجابة تطمئن إليها نفسه.

يتحدث المجاهد عمر المستيري عن هذه الرحلة الخاطفة فيذكر أسماء أماكن، أسماء مراكز (قلاع المجاهدين، ومراكز تموينهم)، أسماء قبائل وأشخاص ممن آووهم ونصروهم حتى داخل التراب التونسي، ويتعرض إلى بعض من النشاطات التي قام بها ابن بولعيد في أثناء رحلته هذه، وأهمّها، كان اجتماع القلعة بتاريخ 31 - 1 - 1955م. حيث صادف وجود مجموعة من القادة بالمركز من بينهم: مسعود امعاش، التيجاني[1]، غزالي[2]، عمر أمعافي... وعدد غير قليل من المجاهدين، فقدم لهم ابن بولعيد توصيات عامة تتعلق بالنظام العسكري والانضباط والطاعة للقيادة واليقظة، قام بعدها بتعيين مجموعة من المسؤولين وحدّد لهم مناطقهم الجغرافية. ومن مركز القلعة هذا أوفد رجلا مسنّا عمره 70 سنة معروفا باسم التّايلي في مهمّة إلى تقرت، حيث سلمه رسالة شخصية ليتولّى تسليمها إلى شخص في مدينة تقرت - يؤكد هذا امتداد الثورة إلى عمق الصحراء -.

غير أن عمر المستيري رفيق ابن بولعيد في رحلته هذه لم يعرج في حديثه على المجموعة التي استحكم بينها الخِلَافُ في ناحية تبسّة، وكيف تمت معالجة

1، 2) هكذا وردت أسماؤهم مبتورة غير كاملة في تصريح المجاهد عمر مستيري وقد تأكد لي فيما بعد من خلال تفحصي لمراجع أخرى أن لقب الأول: عثماني ولقب الثاني: ابن عباس.

هذا الخلاف، كما أنه لم يتعرض لنشاط كل من اشريط لزهر وعبد الوهاب عثماني، وهما ضابطان معروفان رافقا الدورية حتى منطقة الحدود التونسية حسب كثير من المصادر التي تناولت الموضوع.

أشار المجاهد عمر المستيري في حديثه إلى أنهما دخلا التراب التونسي بتاريخ: 5 - 2 - 1955م ونزلا ضيوفا عند أحَدِ عمّال "نزل" بالرديف وهو من أصل جزائري، ويعرف باسم عبد اللّه. حيث قضيا عنده ليلتين كاملتين وقبل مغادرتهما للنزل ومفارقتهما لعبد اللّه هذا، انفرد به ابن بولعيد ساعة من الزمن ثم طلب منه دعوة أشخاص يعرفهم بأسمائهم ونشاطاتهم منهم: جموعي البسكري وعمر البوقصي وشخص ثالث نسي الراوي اسمه - معرفة ابن بولعيد بهؤلاء الأشخاص تؤكد وجود خلايا خارج الحدود مكلفة بالإمداد - وهؤلاء الأشخاص كانوا مجاهدين في جيش التحرير التونسي.

الرّاوي رفيق الشهيد ابن بولعيد يستدرك ويقرّ بأنّ الاجتماع وقع خارج قرية الرّديف وعلى انفراد مع هؤلاء الأشخاص، ويقول في الصفحة 599 من كتاب ابن بولعيد والثورة الجزائرية "ثمّ انفرد أخيرا بجموعي البسكري الذي كان مسؤولا على هذا الفوج بمعزل عنّا، وبقيت أنا وعمر البوقصي وشخص ثالث بعيدين.

انتقل الثلاثة، مصطفى بن بولعيد وعمر المستيري وعمار بريك البوقصي على متن قطار إلى متلوي ثم على متن حافلة من متلوي إلى قفصة ثم مدنين ثم إلى قابس - المحطة الأخيرة - وفي هذه المدينة طلب منّا ابن بولعيد يقول الراوي: انتظاره فمكثنا غير بعيد عن الحافلة، وذهب للاتصال بشخص آخر، إلا أنه عاد وبسرعة وعلامات الحيرة والقلق بادية على وجهه فوجد الحافلة تتهيّأ للإقلاع إلى ابن قردان، فاستقلّها وصعد خلفه عمار بريك يقول الراوي: وتخلفت أنا عن الركوب لأنه لم يطلب مني ذلك.

المجاهد: عمر مستيري رفيق ابن بولعيد عند السفر إلى تونس

الباب الثالث

الفصل الثاني

رحلة بلا عودة

تعد مشكلة التسليح وتعويض السلاح المفقود من أعوص المشاكل التي تواجه أي ثورة مسلحة وفي أي منطقة من العالم، وبخاصة عندما لا تحظى هذه الثورة بدعم خارجي أو تأييد ومساندة من قبل دول الجوار. ويشاء القدر أن تصبح أراضي كل من مصر وليبيا اللتان كانت أراضيهما مسرحا لمعارك طاحنة بين دول المحور والدّول الحليفة خلال الحرب العالمية الثانية سوقا سوداء لتجارة الأسلحة وأن تكون الممّون والمعبر الرّئيسي للسلاح إلى الجزائر قبل اندلاع الثورة - مرحلة الإعداد - وفي سنواتها الأولى، وظلت بقايا هذه المعارك متناثرة في صحرائهما الشاسعة وبخاصة في العلمين بمصر حيث جرت أعنف المعارك عرفتها الحرب العالمية الثانية بين القوات الانكليزية بقيادة "**مونتغمري**" والألمانية بقيادة "**رومل**" المعروف بثعلب الصحراء خلال سنة 1942م.

غير أنّ إدخال هذا السلاح إلى الجزائر ليس أمرا هيّنا ودونه أهوال ومتاعب، ولا يمكن أن يتم إلا عبر الصحراء الشاسعة التي يصعب على العدو مراقبتها. وقد تنبّه بعض الزعماء السياسيين من ذوي الميول الثورية إلى ذلك منذ تأسيس المنظمة الخاصة في منتصف فيفري 1947م، وحاولوا فتح ممرات لعبور أسلحة خفيفة وتخزينها ليوم تسقط فيه الأقنعة وتحطّم فيه القيود. وبما أنّ ابن بولعيد ذي الصفة المزدوجة كونه عضوا في المنظّمة الخاصة (السرية) ذات الصفة العسكرية وعنصرا نشيطا في الحزب عضوا في اللجنة المركزية، هو العنصر المؤهّل للقيام بهذه المهمّة.

وبما أنّ الأوراس التي ينتسب إليها إقليميا هي المنطقة الدّاخلية المحمية طبيعيا وذات كثافة هائلة من المناضلين المتحمسين للثورة والقريبة جغرافيا من الصحراء الشرقية المجاورة لهذه الدول هي المنطقة المرشحة للقيام بهذا الدور الخطير.

الجنرال بلونيس وجنوده

- جلب السلاح وتخزينه في الأوراس إلى حين - كان على ابن بولعيد وعلى المناضلين في الأوراس أن يتكفلوا بهذه المهمّة بأنفسهم.

غير أن الوسائل المستخدمة في تلك الفترة والاحتياطات القصوى المتّخذة خوفا من أعين الرقباء وبعد المسافة. جعلت العملية في منتهى الصعوبة وفي غاية من الخطورة والأدهى من ذلك والأمرّ تلك الخلافات الحادة التي نشأت على مستوى القيادات.

وانتقلت تدريجيا إلى المناضلين في القاعدة بين المنادين بالثورة المسلحة، والداعين إلى الاستمرار في المطالبة بالحقوق الوطنية بوسائل سلمية بين الاندماجيين والمطالبين بالمساواة في الحقوق والتحرّريين (مصاليون، مركزيون، شيوعيون، بيانيون، ثوريون)، وحتى جمعية العلماء تخلت عن منهجها الباديسي وسلكت سبيل المهادنين، بعد أن ساهمت في إذكاء الروح الوطنية والدينية في نفوس المواطنين.

وكانت مواقف بعض قادتها مخيبة للآمال كالذي صدر من الشيخ خير الدين - من جمعية العلماء - أثناء لقائه بحسين الميلي الذي جاء إليه يطلب الدعم لصالح الجبهة، فكان ردّه (**إنا لسنا طرفا فيما وقع، لقد تحركتم وحدكم فادفعوا الثمن وحدكم**)(1). هذه الاختلافات في الرؤى أثرت سلبا على مجرى

1) - محمد حربي "الثورة الجزائرية سنوات المخاض" صفحة 42 الطبعة الجزائرية 1994م.

الأحداث على الساحة السياسية قبل الثورة، وعلى ساحة القتال خلال الثورة أدى إلى تطاحن واقتتال الجزائريين في أكثر من منطقة، وأبرزها كانت الأحداث التي جرت في منطقة شاسعة بين الولايات الثالثة والرابعة والسادسة مع حركة تَزَعَّمَهَا ظاهرا " **محمد بلونيس**"، والدعم السخي[1] هو الذي أدى إلى إطالة عمرها، والتضحيات الجسام التي بذلت من أجل القضاء عليها لا تقدر بثمن.

وحتى الحزب الشيوعي ذو النزعة الثورية والميول الراديكالية أصلا رفض الاستجابة لنداء الثورة في أول الأمر لارتباط أفكاره بأفكار الحزب الشيوعي الفرنسي، وظل ممتنعا عن تقديم الدعم وتسليم أسلحته في وقت كانت الثورة في أمس الحاجة إليها. ولما كان قادة الثورة في البداية يرفضون العنف تجنّبا لإثارة حساسيات هؤلاء المناضلين والأحزاب التي يتمون إليها. فقد راحوا يراودونهم شيئا فشيئا إلى أن تبين لهم فساد نظرهم وسوء تصورهم ورأوا أنهم قد ضلّوا عندما لاحظوا بأنفسهم مدى تلاحم الشعب مع الثورة فشعروا بالتخلف عن الركب وأخذوا في الانضمام إلى الثورة فرادى وجماعات قادة ومناضلين غير أن المتعصبين إلى المصالية ظلوا متمسكين بموقفهم حتى الاستقلال.

كل هذه العوامل والأسباب الناتجة عن قناعات شخصية أو فهم خاطئ أو عن عناد ومكر سيّئ كالتي صدرت من بعض الأحزاب السياسية التي عملت على تضييق الخناق على عناصر الجبهة ورفضها تسليم أموال للحزب لشراء أسلحة، مما حدا بابن بولعيد إلى رهن نصف ممتلكاته وفعل ديدوش مثله، حيث رهن ميراثه الشخصي مقابل الحصول على أموال لشراء أسلحة، أو عن ظروف مناخية أو حصار مفروض أو حراسة مشدّدة ناهيك عن الجوسسة النّشيطة في تلك الفترة جعلت الحصول على قطعة سلاح أمراً في غاية الصعوبة.

واندلعت الثورة بما توفر لديها من أسلحة خفيفة، أغلبها كانت أسلحة صيد فردية قصيرة المدى قليلة الفاعلية، والقليل من المجاهدين من تسلح بأسلحة آلية أو نصف آلية، كثيرا ما كان يعتمد عليها في الهجومات الخاطفة أو في عمليّات المباغتة أو فك الحصار، وأمام حشود العدو الهائلة التي تدفقت على الأوراس كالسيل العرمرم

(1) - الذي كان يقدم إلى هذه المعركة.

لتطويقه من جميع الجهات قصد إجهاض الثورة والقضاء عليها في المهد، ونظرا لوجود اختلال واضح في الموازين بين القوتين المتحاربتين من حيث العدد والتسليح، والانسداد المتواصل بين التيارات الوطنية، بين من يريد تحقيق استقلال على مقاسه الخاص، ومن يريد تحقيق استقلال وطني ناجز وفق ما تمليه إرادة الشعب، وفي ظروف متميّزة اتّسمت بالتشنّج وعدم الاستقرار اندلعت الثورة، والآن وقد أصبحت جبال هذا الوطن ووهاده تموج بشباب يفيض حماسا ويفور غضبا، يريدها نارا على الاستعمار مستعرة، لكنه لا يملك من وسائل القوة إلا الإصرار ومن السلاح إلا العزم.

BENBOULAID Mostéfa -

Né à Arris, le 5.2.1917 de M'Hamed ben Amor et de A... Aïcha.

SIGT. 1m,72, yeux rayonnants orangés, barbe et cheveux chât. f., front fuyant, cicatrice verticale 2 cm sur bout nez, petite cic. à 3 cm. dessus racine nez, deux petites cic. milieu médiane front

TRES DANGEREUX

OBJET D.U. 23/54, 133-55, 136/55, Fiches JA.54 ... 54/794, VA. 55/151

- DOSSIER B 594 -

Fiche de recherche de la police judiciaire.

استمارة بحث عن ابن بولعيد

أمام هذا الوضع الصعب قرر ابن بولعيد السفر إلى المشرق لتنشيط خلايا كان قد أقامها في كل من تونس وليبيا خلال صائفة 1954م، قصد ضمان تدفق الأسلحة من جهة، وإجراء اتصالات مع عناصر أخرى مكلفة بحشد الدعم العربي للقضية الجزائرية - ومكتبها بالقاهرة -.

وتشير بعض المصادر إلى وجود اتصال بين ابن بولعيد وحجاج بشير مسؤول منطقة الخروب - تحت قيادة ابن بولعيد - حيث طلب منه التوجه إلى تونس وحدد له مكانا يلتقيان فيه، وكان ذلك عند صاحب مطعم بقابس وهو الشخص الذي كان قد قصده ابن بولعيد لحظة نزوله من الحافلة ثم خرج من عنده مسرعا بعد أن أعلمه صاحب المطعم بأن الشرطة الفرنسية أجرت معه تحقيقا في

الموضوع. وقد فهم ابن بولعيد من حديثه بأن وشاية ما قد حدثت وأن المكان محل مراقبة فغادره بسرعة وامتطى الحافلة التي وجدها على أهبة الإقلاع[1].

وكان حجاج بشير المذكور أعلاه قد وقع في قبضة العدو وتعرض للتعذيب الشديد من طرف جلادي الاستعمار، فلم يطق صبرا، ولم يقو جسمه النحيل على تحمل العذاب الشديد فأخبر جلّاديه بكلّ ما كان يحتفظ به من أسرار، وأعلمهم بأنه كان على أهبة السّفر إلى تونس، حيث يلتقي هناك بابن بولعيد قائد الثورة في الأوراس. وكان هذا كنز ثمين وخبر في غاية الأهمّية تحصّل عليه أجهزة الأمن الاستعماريّة ومكسب عظيم لديها، فالرجل الخطير جدا أصبح في متناولها، فأخبروا فورا الشرطة الفرنسية في تونس حيث أجرت تحقيقا في الموضوع مع صاحب المطعم ووضعت المكان تحت المراقبة. ولمّا دخل ابن بولعيد إلى المطعم توجهت إليه الأنظار على أنّه شخص مشبوه وقد يكون الشخص المطلوب. فلمّا غادر المكان بسرعة وامتطى الحافلة ورأى رفيقاه سرعة إقباله وتغيّر هيئته ظنّا أنّ شيئا ما قد حدث وشعرا بوجود ما ينذر بخطر محتمل، فأسرع عمار بريك بركوب الحافلة خلفه وتخلف عمر المستيري لأنّه لم يأذن له بالركوب كما يقول.

ومع انطلاق الحافلة من المحطة كانت مجموعة من الصبائحية جاهزة ومسخرة للقيام بالمهمّة قد ركبت الحافلة نفسها (والصبائحية مواطنون تونسيون وضعوا أنفسهم في خدمة أهداف الاستعمار مثلما فعل الحركي هنا في الجزائر).

فشعر ابن بولعيد بأنه وصاحبه محل مراقبة وتحت حراسة من قبل أعوان أمن موجودين بين الركّاب، لكنّه ظلّ ثابتا رابط الجأش هادئا، ولم يحاول النزول في أيّة محطّة حتى لا يثير شكوكهم فلما وصلت الحافلة إلى المحطة بابن قردان بعد غروب الشمس نزل الصبائحية وعلى رأسهم رقيب فرنسي وأحاطوا بالركاب من كلّ جهة وطلبوا منهم التوجّه إلى مقرّ الشرطة للتحقيق معهم - ولم يكن بعيدا عن

1) ملحمة الجزائر الجديدة: د/ عمار قليل - ج 1، مجلة أول نوفمبر العدد 79.

المحطّة - عندها عرف ابن بولعيد أن الخطة كانت مدبرة والشراك كان منصوبا فراح يفكر في زمن قياسي كيف يمكنه التخلص من هذه الورطة، فسار مع رُكّاب الحافلة أوّلا - وهم قليلون - في اتجاه مركز الشرطة خطوات قليلة ثم قفز وقفز معه صاحبه وفرّا في وقت بدأ الظلام يرخي سدوله فلاحقتهم الصبائحية بعد أن تركوا بقية الركّاب وشأنهم، وبعد عمليات مطاردة من نهج إلى نهج تسلّلا إلى أحد البساتين واختفيا فيه، غير أن أحد الصبائحيّة استطاع اللحاق بهما، ولما لم يجد ابن بولعيد بدّا من الدّفاع أخرج مسدسه وأطلق عليه النار فأرداه قتيلا، ثمّ فرّا هاربين. راح بقية الصبايحية يطلقون الرصاص من بعيد في اتّجاه الفارّين إلا أنهما لم يصابا بأذى. شعر ابن بولعيد أن أمره قد اكتشف وأن فرنسا سوف تبذل الممكن والمستحيل من أجل القبض عليه وهو المجرم الخطير في نظر قوانينها الجائرة، وستنتقم منه شرّ انتقام. فحاول الإفلات من قبضتها حيث قضى وصاحبه عمار بريك الليل كله جريا على الأقدام إلى حيث يظنون أنه الأراضي الليبية، وقطعا خلال ساعات من الليل مسافة يعجز عليها الرياضيون الشباب، رغم صعوبة السّير في أرض رملية وتربة ناعمة. إذ استطاعوا قطع مسافة 100 كم خلال ساعات، حسب ما جاء في تصريح أدلى به إلى المحكمة أحد المخازنية ممن كانوا يقتفون آثارهما على ظهور الخيل، وهذا التصريح مدون في السجل القضائي بالمحكمة العسكرية الفرنسية بتونس، وهذا نص التصريح منقول بأمانة من كتاب ابن بولعيد والثورة الجزائرية ص 264.

المحكمة العسكرية

وثيقة رقم 71 في 22 مارس 1955م

علي عبد النبي بن مسعود شوماط 55 سنة الساكن بابن قردان - مخازني بدون علاقة - وصلت إلى مكان وقوع الجريمة صباح يوم الغد عند طلوع النهار وجدت آثار الفارّين في حقل رملي موجود واجهة وقرب مكتب..... (بدون ذكر) تتبّعت الآثار لكن أحدهما نزع حذاءه، وواصلت أثريهما إلى غاية حاسي شواطة، وهنا وجدت آثار الفارس الذي لحق آثار الفارين ذهبت إلى سيدي الطويل لاستبدال

الحصان من أجل مواصلة السّير في اتجاه الآثار وعند وصولي إلى المكان كان الشخصان قد ألقي القبض عليهما قبل وصولي - انتهى نص التصريح -.

وعندما نال منهما التعب كثيرا وظنا أنهما اجتازا الحدود ودخلا الأراضي الليبية ومع بداية انقشاع ظلام الليل كانا قد وصلا إلى هضبة عين اللبن، وهي لا تبعد عن الحدود الليبية بأكثر من 40م، حسب تصريح لأحد المخازنية ممن اعترض طريق الفارين حتى لا يدخلا إلى التراب الليبي[1]. فعثرا هناك على مغارة صغيرة في الهضبة وركنا إليها للإستراحة، ومع أوّل النهار كان الصبايحية والمخازنية ممن باتوا يتعقّبونهما ويقتفون آثارهما في الصحراء قد وصلوا إلى المكان وسارعوا إلى إغلاق الحدود لمنع الفارّين من اجتيازه. وحوالي الساعة التاسعة صباحا من يوم 11 - 2 - 1955م، لاحظ أحد المخازنية من فرقة خيالة سيدي الطويل آثار أقدام واضحة وظن أنها للشخصين المبحوث عنهما. فاقتفى تلك الآثار إلى مدخل المغارة، وأيقن أنهما بداخلها فأطلق من بندقيته رصاصة إنذار في الهواء ليشعر بقية الخيالة بوجود خطر فلمّا سمعوا إطلاق النار هرعوا إلى المكان وأحاطوا به من كلّ جهة، ولما لم يعد الدفاع مجديا ولا الهرب ممكنا وبعد ساعة من التردّد قرّر ابن بولعيد وصاحبه تسليم نفسيهما وخرجا من مخبئهما، فأسرع إليهما من كان في محيط المغارة من المخازنية، وما إن وصلوا إليهما حتى أقدم أحدهم على ضرب ابن بولعيد على قفاه بعقب بندقيته بعنف فلما هوى إلى الأرض تلقاه آخر بركلة بجزمته القذرة على وجهه فهشّم أنفه وسقط مغشيّا عليه وفعلوا بيريك عمار ما فعلوه بابن بولعيد، وقاموا بتقييد الرّجلين وحملهما إلى مركز الشرطة بسيدي الطويل ومنه إلى مكتب ضباط الشؤون الأهلية بابن قردان.....(SAS).

وفي الوثيقة رقم 21 من محاضر التحقيق لمحكمة القوات المسلحة بتونس ليوم 3 - 3 - 1955م إقرار من طرف هيئة المحكمة بوجود آثار للتعذيب في الشقّ الأيسر من وجه ابن بولعيد، وكذا في قدمه اليمنى[2].

---

1) - وثيقة رقم 55 من محاضر التحقيق (تصريح محمد بن شيباني بن الزين 43 سنة رئيس الدورية).

2) - ابن بولعيد والثورة الجزائرية الصفحة 239.

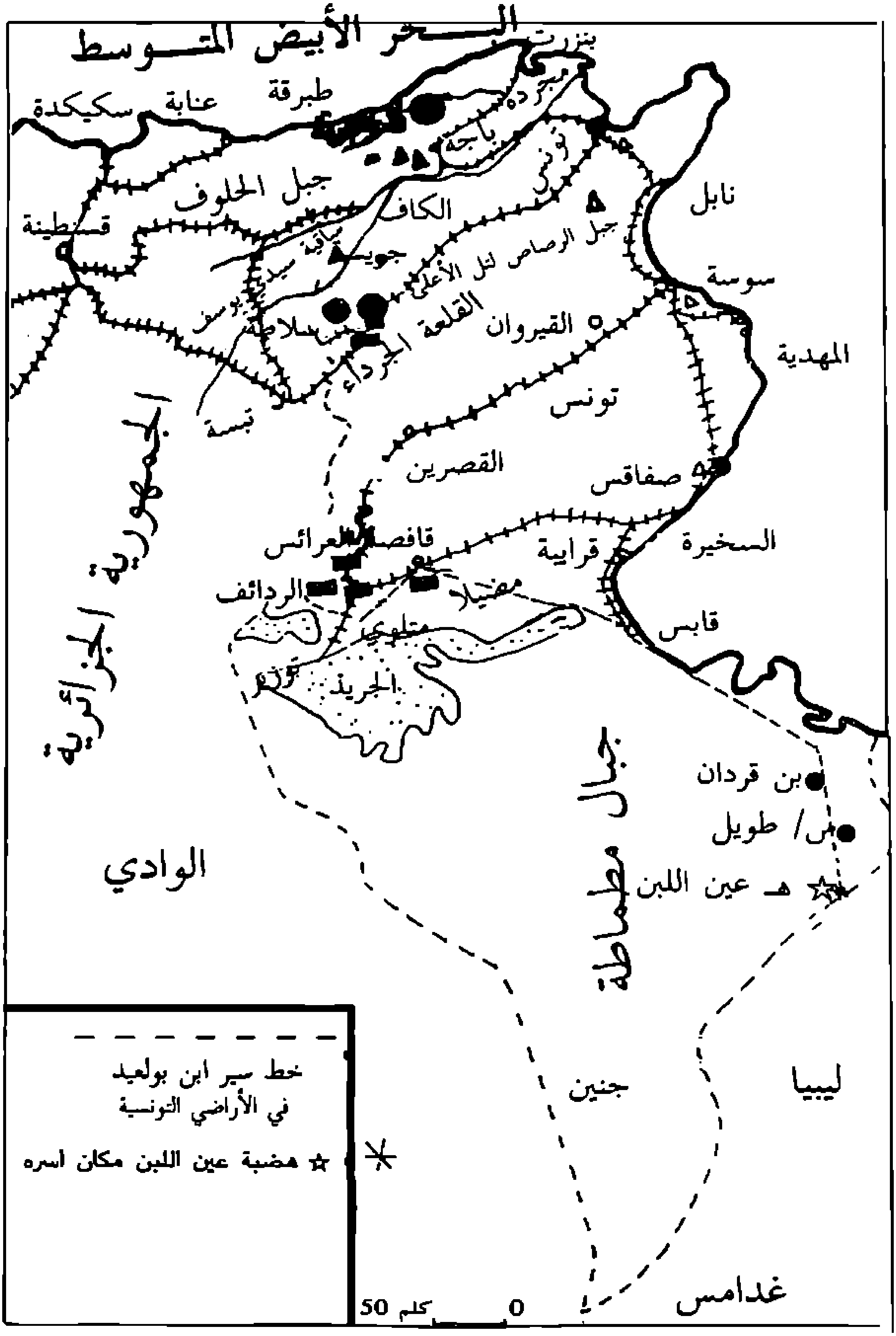
البحر الأبيض المتوسط
بنزرت
مجردة
طبرقة
عنابة
سكيكدة
باجة
تونس
جبل الحلوف
الكاف
نابل
قسنطينة
جبل الرصاص
سوسة
القلعة الجرداء
القيروان
المهدية
تبسة
تونس
القصرين
صفاقس
قافصة
العرائس
قرابية
السخيرة
الردائف
قابس
متلوي
توزر
الجريد
الجمهورية الجزائرية
بن قردان
عين اللبن
الوادي
جبال مطماطة
جنين
ليبيا
غدامس
خط سير ابن بولعيد في الأراضي التونسية
هضبة عين اللبن مكان اسره
50 كلم 0

من كان الرّفيق الصّحيح لابن بولعيد

رفيق القائد ابن بولعيد في هذه الرّحلة هو عمر المستيري الذي كان ضمن الدّوريّة التي رافقته من منطلقها بذراع الطّير بكيمل حتى الحدود التونسية - ولعل ابن بولعيد كان ينوي اصطحابه معه في رحلة إلى الشرق لولا ما حدث- واستمرّ معه في الرحلة داخل الأراضي التونسيّة حتّى وصلا إلى قابس يوم 10 - 2 - 1955م، أي قبل إلقاء القبض عليه بيوم واحد، والسؤال الذي يتبادر إلى ذهن القارئ، كيف ظهر مكانه شخص آخر؟ ومن كان هذا الشخص؟ وكيف تمّ التعرّف عليه وتجنيده وتقريبه من القائد بهذه السرعة؟ ألا ينطوي الأمر على نوع من السّذاجة والخطورة معا؟.

من هذا الشخص؟

اختلفت المراجع المعتمدة في إنجاز هذا الكتاب في الإسم الحقيقي لهذا الشخص بما في ذلك المحاضر المحرّرة من قبل الجهات القضائية الفرنسية بعد أن ألقي عليه القبض كما أسلفنا قريبا من سيدي الطويل على الحدود التونسية اللّيبية.

وقد اخترت من هذه الأسماء بعد التدقيق الاسم الوارد في مذكرة الاتهام المقدمة إلى المحكمة العسكرية للنّظر في شأن المقبوض عليهما وهو:

بريك عمار بن محمد بن فرشيش من أولاد بوقصي بسوقياس - الشريعة - و- تبسة -. ظنا مني أن العدالة ستلجأ لا محالة لاستخراج وثائق المتهم الأصلية من مصلحة الحالة المدنية ببلدية المتهم، تجنبا للبس المحتمل في منطوق الحكم الذي سوف يصدر ضده ولوجود معلومات أخرى تتعلق بالحالة المدنية للمتهم.

كان هذا الشخص يعمل تاجرا متنقلا مهرّبا للبضائع عابرا للحدود عبر مسالك غير محروسة، وتربطه علاقات تجارية بأشخاص كثيرين خارج الحدود. التقى بابن بولعيد أثناء سفره إلى الشرق عندما نزل ضيفا في أحد البيوتات

بأولاد بوقصي. ولم يكن يعرف أنه قائد كبير، غير أنه أبدى إعجابه بالثورة وبالثوار وأظهر استعداده لنصرتهم بل وعرض خدماته على الضيوف مبديا رغبته في الانضمام للثورة، ولكي يؤكد لهم ذلك ويطمئنهم إلى حسن نواياه أظهر أمامهم وثائق استدل بها على كثرة أسفاره وتنقلاته بين الجزائر وتونس وليبيا.

ولما تبين لابن بولعيد صدق مشاعر الرجل وإخلاصه قرّر الاستفادة من تجربته واستغلال معارفه في خدمة الثورة واصطحبه معه بداية من يوم 3 - 2 - 1955 إلى أن ألقي عليهما القبض معا.

الأســـر

لم تكن فرنسا تحلم بأنها ستصل إلى أسر قائد الثورة في الأوراس (مصطفى ابن بولعيد) لما كانت تعرفه عنه من الشجاعة وحسن التخلص عند الشدائد، وما كانت تعرفه عن أصحابه من احترامه وتقديره لدرجة التقديس. وما كان الجميع يظن أنه لن يقع، فقد وقع، وتم أسر ابن بولعيد خارج التراب الوطني من طرف أعوان مسخّرين لخدمة المصالح الاستعمارية. فكانت فرحة ضباطها للشؤون الأهلية عظيمة. إذ سرعان ما أبرقوا إلى أكابر مجرميها من أمثال: جاك سوستال بطل مجزرة 20 أوت 1955 بالشمال القسنطيني الحاكم العام للجزائر منذ 26 جانفي 1955، وأوساريس، وبيجار، وماسو وغيرهم في فرنسا وفي الجزائر وتبادلوا التهاني والأماني بالمناسبة. كما أبرقوا إلى وسائل الإعلام المختلفة لنشر الخبر وإذاعته عبر القنوات الإعلامية المسموعة والمرئية والمكتوبة لتبشر المعمرين بنهاية التمرّد المسلح الذي يقوده ابن بولعيد في الأوراس، كما تصفه الأوساط الاستعمارية. فكانت الفرحة عندهم عظيمة، وكانت المصيبة عند الثوار أعظم، فراحت الإذاعات تعلن عن أسر قائد الثورة في الأوراس والجرائد تكتب ذلك بعناوين بارزة وبخط عريض ملفت للنظر وتنشر صورا له وهو مكبل بالسلاسل بين شرطيين فرنسيين متبوعة بتعاليق ساخرة، من مثل يقول

المتمردون: (**إن فرنسا لم تأسر ابن بولعيد ألا لعنة الله على الكاذبين، فهذه صورته**) والتقليد هنا واضح وهو من صنع أولئك الذين باعوا ضمائرهم، وآثروا العمى على الهدى إرضاء لساداتهم[1]. وقد وزّعت الطائرات عشرات الآلاف من الصور فوق الأدغال وفوق التلال وفي الأودية، حيث يُظن وجود مجاهدين في كل مكان.

وتظهر الصورة ابن بولعيد وهو يقف شامخا كالجبل ثابتا كالعملاق - رغم الشّحوب الذي يبدو على وجهه بسبب التعذيب والإرهاق والأرق - بين شرطيين فرنسيين.

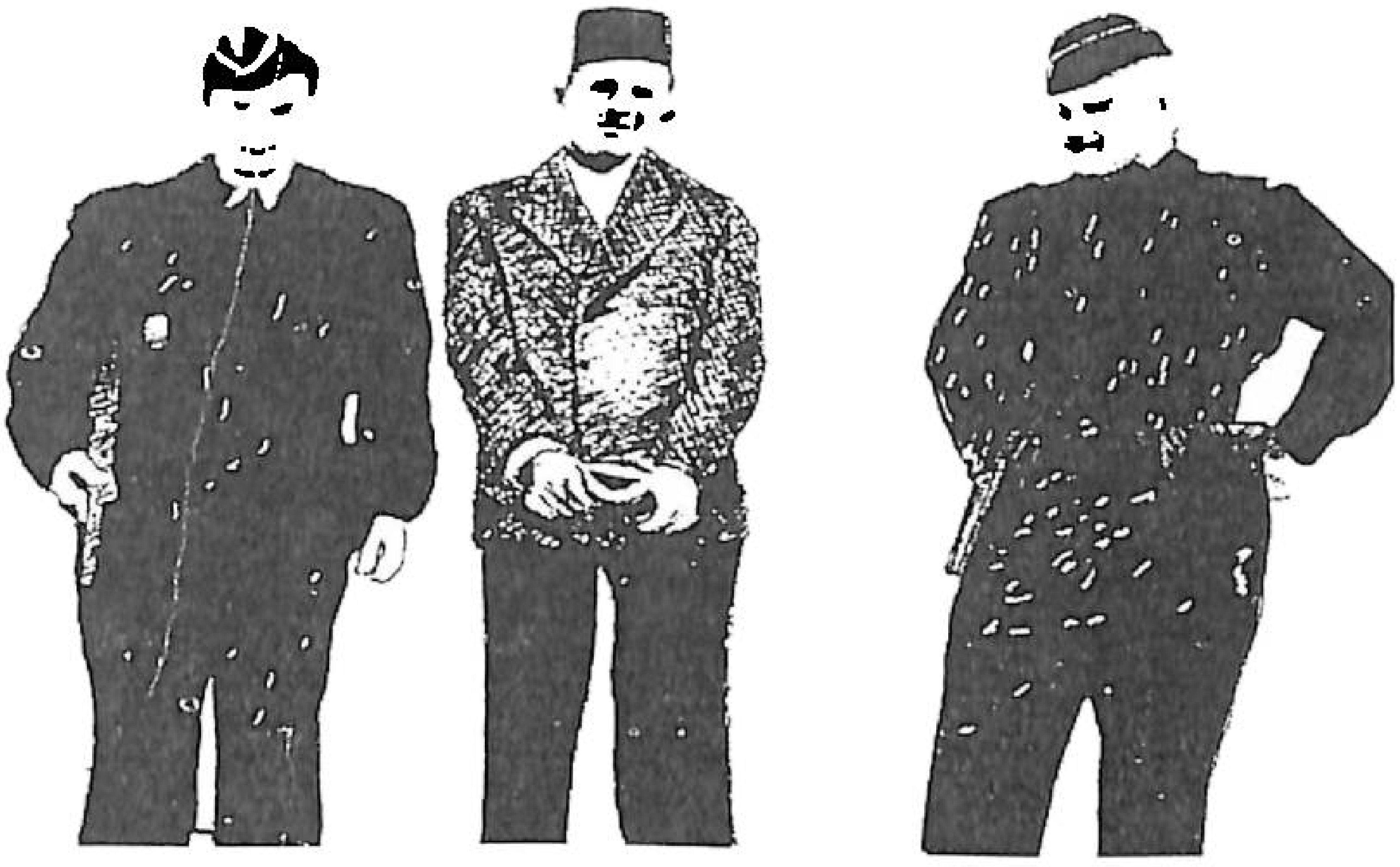

الشهيد البطل مصطفى بن بولعيد الذي هرب من سجن الكدية بقسنطينة
الصورة: من سجن الكدية بقسنطينة

1) - غلاة الاستعمار يعرفون أثر المشاعر الدينية في نفوس المسلمين، وللنيل من عزيمتهم فهم يختارون ألفاظا وعبارات ذات دلالات دينية، مثلما كان يفعل ناشرو السلام في عهد لاكوست "فقد كانوا يوزعون مناشير تحمل عبارات مثل: "**الفلاقة لا يحترمون القرآن والله لا يغفر لهم**".

غير أنّ قلبه الكبير ومشاعره التي تفيض حبا لوطنه ولأمته ولثورته المتأججة في قلوب الجماهير وبين المجاهدين في رؤوس الجبال وفي أعماق الأودية وفي التلال وفي الخنادق وهم يقاتلون فَيقتلون ويُقتلون من أجل عزّة هذه الأمّة وكرامة هذا الشعب وشرفه، ظل يهتف بحياة هذا الوطن رغم ذل الأسر وغلبة الأعداء، فقد نسي ما كان عليه من العذاب الجسدي والنّفسي، نسي المصير المجهول الذي بات ينتظره، نسي الحكم الجائر الذي سوف يصدر ضدّه، نسي المقصلة التي سوف تفصل رأسه عن جسده، نسي أبناءه، نسي نفسه. لكنه لم ينس هذا الوطن العزيز الذي ناضل من أجله ومن أجله فجّر هذه الثورة وأعلن التحدي ولأجله عرف الجوع والعطش والتعب وذل الأسر وذاق ألوانا شتى من العذاب والإهانة لم ينس أولئك الأبطال الأشاوش الذين ما فتئ صدى حناجرهم يرن في أذنيه:

وأوراس يشهد يوم الوغى بأنا جهزنا على المعتدين

لم ينس تلك القرى التي هبت لنصرة الثورة فأطعمت المجاهدين قوتها اليسير.

لم ينس تلك البراعم الصغيرة من الأطفال وهي تلتف حول المجاهدين تتأملهم وتبتسم لهم، بل وتداعب أسلحتهم، فتذكره تلك المشاهد الجميلة بالأنشودة الخالدة التي يحبها كثيرا والتي من بين أبياتها هذان البيتان الجميلان

يا نشء أنت رجاؤنا وبك الصباح قد اقترب

خذ للحياة سلاحها وخض الخطوب ولا تهب

لم ينس هذه المواقف حتى في أشد ساعاته حرجا..... ولما كان يعرف أن فرنسا سوف تتاجر بهذه الصورة التي سوف تلقي بظلالها القاتمة على كثير من النفوس، أبرق من موقعه ذاك وهو في ذل الأسر وبين زبانية الاستعمار عبر وسائله للإعلام إلى كل الوطنيين الأحرار في هذه الربوع بأن يكونوا صفّا واحدا

وقلبا واحدا عندما ألمح بتلك الإشارة التي أبداها حين قرن بين إبهاميه وهو يريد تسويتهما - رغم ثقل السلاسل التي كانت تضغط على معصميه - معلنا لقراء الجرائد ولملتقطي الصور من الوطنيين المخلصين بأن يكونوا جسدا واحدا وقلبا واحدا، رغم المحن...... ويشاء القدر أن يفر من سجن قسنطينة ويعود إلى الثورة من جديد، ولما سئل من قبل بعض المجاهدين عما تعنيه تلك الإشارة قال: إنما أردت أن أبلغكم رسالة عبر هذه الوسائل التي أرادت التشهير بي بأن تظلوا هكذا كالجسد الواحد فقرنت بين إبهامي رمزا للتضامن والوحدة.

فكان موقفه ذاك أشبه ما يكون بموقف الشيخ أبي الحسن الذي سجنه أحمد ابن طولون أيام حكمه لمصر بسبب موقفه الديني وجرأته على السلطان وبلغ من حنقه وشدة غضبه عليه أن أمر بإلقائه إلى الأسد، فجيء إليه بأسد ضخم ضارٍ شديد. فلما فتحوا له القفص وهجهجوه راحوا يتفرجون من شُرفات عُلَى كيف يفتك هذا الضرغام بشيخ نحيل هزيل، وكيف ينشب أظافره في جسمه، وكيف.... وكم كانت دهشتهم عظيمة وإعجابهم شديدا وذهلوا بل ارتاعوا وصعقوا لمّا رأوا الأسد يهجم على الشيخ وهو أشدّ ما يكون قوة ثم يرتد ويقعي على ذنبه في هدوء ويتشمم في رفق هذا الجسم النحيل، كأن وحشيته أخذت منه. بينما الشيخ بقي هادئا ساكنا غير عابئ لما يجري حوله.

ولما سئل بعد أن أُفرج عنه، ماذا كنت تفكر حين كان الأسد يتشمّم جسدك أجاب: كنت أفكّر في لعابه أهو طاهر أم نجس؟!

وهكذا تسمو هذه النفوس بنفسها وتتعلق بخالقها وحده إلى أن تبلغ شأواً تتجاوز فيه أحلامها آلامها، حتى لم تعد تشعر بهذه الآلام أو تقيم لها وزنا.

فابن بولعيد لم يكن يفكر ساعة القبض عليه في مصيره ولا في نفسه بقدر ما كان يفكر في وطنه المحتل وفي ثورته المتأجّجة في أعماق الجماهير، فلما

لاحت له أوّل فرصة بعث برسالة إلى الأمة وهو مقيد بالسّلاسل يدعوها إلى الوحدة والتضامن، والشيخ أبو الحسن الذي أوصلته غيرته على دينه أن تجرّأ على السلطان، فطاش عقله ورمي به إلى الأسد ليفتك به لم يكن يفكر وهو في موقفه ذلك سوى في عقيدته الطّاهرة ودينه الحنيف. فهم رجال من معدن كريم وطينة طيبة رزقوا نفوسا طاهرة وأجسادا على البلاء صابرة يؤتون ما أوتوا بدون منّة ولا حساب فهم الصفوة المختارة وخير البريئة. نسأل اللّه لهم الجزاء الأوفى بما عملوا وهم في الغرفات آمنون.

صدى اعتقال ابن بولعيد في صفوف المجاهدين

كان لصدى اعتقال ابن بولعيد قائد الثورة في الأوراس ومفجّرها والعنصر الحركي النشيط في اللجنة الثورية وفي جبهة التحرير الوطني والركيزة الأساسية للثورة وأحد القادة الستة الذين أسندت إليهم مهمّة الإعداد للثورة.

كان لصدى اعتقاله وقع سيء لدى الجماهير بصفة عامة وفي أوساط المجاهدين على وجه الخصوص، لما لهذا الحدث الأليم من تأثير سلبي على نفسيات المجاهدين، وما قد يترتب عنه من انقسامات واختلاف في وجهات النظر بين العناصر القيادية لعدم وجود قوانين وهياكل ونظم وسلاليم ورتب عسكرية يخضع لها الجميع وتكون إطارا يحمي الوحدات من التشرذم، فالثورة في أول عهدها والأحداث المتسارعة لم تسمح لابن بولعيد ومن معه من القادة بإقامة هذه النظم وإيجاد مجموعة من الضوابط تشكل إطارا مرجعيّاً يحمي الوحدات من الانهيار أو التصدّع في حالة غياب القيادة العامة أو بعض العناصر اللامعة التي تحظى باحترام الجميع لسبقها في النضال أو لشجاعتها أو تواضعها أو تكوينها العسكري أو السياسي، وما اغتيال مسعود معاش وبشير شيحاني، وهما من السابقين الأولين في النضال، ومن القادة المعروفين أثناء فترة اعتقال ابن

بولعيد إلا فوران لبركان ظل يتهدّد بالإنفجار، لولا أن منّ اللّه على الثورة بنجاة ابن بولعيد من السجن وعودته إلى الثورة ليمدد من عمر الوفاق شهورا أخرى فالخلافات الظاهرة بدأت بمجرد اعتقاله في تونس، ويبدو أن معظم العناصر القيادية كانت تعتقد بل تجزم بأن ابن بولعيد بات في طيّ السجل، ولن يعود إلى الثورة وبأي صفة، لذا راحت تفكر في ترتيب بيت القيادة بما يتّفق مع نظرتها السياسية أو العسكرية إن لم نقل مع أمزجتها الشخصية، وراحت الأحداث تتسارع والخلافات تطفو إلى أن دخلت في غمرة من الاغتيالات تحت طائلة من التّهم لا نعلم مدى صحتها ولا نملك الدليل على إثباتها أو نفيها، لكننا نجزم بأن ضررها أكبر من نفعها، فقد أساءت إلى الثورة وإلى العناصر القيادية التي كانت تحظى بالاحترام والتقدير من طرف المجاهدين، وإلى المجاهدين عامة لأن الأفعال المنسوبة إلى هذين العنصرين القياديين لاتقل بشاعة عن الخيانة.

وقد استقينا من بعض المصادر (التصريحات) التي أدلى بها مجاهدون كانوا من ضمن الزمرة القيادية أو مقربين منها أن قيادة الثورة أبدت تماسكها حينا من الدهر، ولو كان هذا التماسك شكليا اقتضته المصلحة العليا للثورة حيث دلت تعابيرهم المختلفة على وجود هذا التماسك والانسجام في الرأي عندما صدموا بوقوع ابن بولعيد في الأسر، وهذه بعض هذه من التعابير.

- كلنا ابن بولعيد ° الثورة لم تقم بأسماء أشخاص بل قامت باسم الشعب
- الثورة قامت على المبادئ والقيم، وهي التي تحميها.

غير أنّ ما حدث من تصرفات في ظرف وجيز دلّت على أنّ تلك التصريحات أملتها الفاجعة وهول الصدمة، فقد قامت القيادة بعدة نشاطات في ظرف متميز منها:

- تحويل مقر القيادة ° تعيينات في الإدارة
- تحويلات من ناحية إلى ناحية أخرى

* إقصاءات * مكافآت * اغتيالات * ترقيات * تقطيعات أو تنظيم جديد لمناطق العمليات.

هذه كلها في مدّة عشرة أشهر قضاها ابن بولعيد في السجن بين تونس وقسنطينة، والإشكالية هنا ليست في نوعية هذه القرارات ولا في زمن اتخاذها إنما الإشكالية في طريقة تنفيذها. فقد كانت في معظمها قرارات فوقية ارتجالية زادت من عمق الخلاف بين عناصر قيادة الأركان، وبين هذه العناصر وبعض قادة النواحي التي ترى أنها هُمّشت ولا يؤخذ برأيها، وبدأ الصراع على مراكز النفوذ يقوى على حساب المصلحة العليا للثورة وعلى حساب الاهتمامات التي كان ابن بولعيد يعدّها من أولويات الثورة: كالتّسليح والتموين والعلاج والتوعية مع التقرب من المقاتلين وتشجيعهم.

صدى اعتقال ابن بولعيد في الإعلام الأجنبي

كان من الطبيعي أن يُولي الإعلام الأجنبي والفرنسي خاصة الحدث أهمية كبرى، وأن يذيع في مقدمة نشراته للأخبار خبر أسر ابن بولعيد أحد القادة الكبار - لما يسميه بالتمرد أو العصيان في الأوراس - وأن تكتب الصحافة ذلك بعناوين بارزة في صدر جرائدها اليومية.

"قائد الفلاقة يقع في الأسر" "إلقاء القبض على قائد المتمردين"

"انتهى التمرد في الأوراس"....... ظنا منهم أن الثورة تمرّد وعصيان وأنها مرتبطة بحياة أشخاص معينين فإن ماتوا أو قتلوا أو أسروا انقلب بقية المتمردين - حسب تعبيرهم - على أعقابهم واستسلموا لعدوهم طالبين الأمان، لذا راحوا يلقون بعشرات الآلاف من الصور فوق قمم الجبال وفوق الغابات تحمل صورة ابن بولعيد وهو مكبّل اليدين بين شرطيين فرنسيين وبمناشير تعلن عن إلقاء القبض

على ابن بولعيد داعين إلى وقف التمرّد وإنهاء العصيان - هكذا كانوا يصفون الثورة في إعلامهم - غير أن فعلهم هذا لم يغيّر من الأمر شيئا. فالثورة لم تولد هكذا صدفة لتموت فجأة، إنما هي ثمرة نضال مرير، ونتيجة قناعات ترسخت في أذهان جيل لم تعد خطابات ساسة فرنسا تستهويهم بقبول الاحتلال الفرنسي (**على اعتبار أنه أمر مقدّر من اللّه ومشيئته الأزلية التي لا ينبغي أن تقاوم**) - كما جاء في خطاب نابليون الثالث خلال زيارته للجزائر في ماي 1865م.

نابليون الثالث: «إن الإحتلال الفرنسي للجزائر امر مقدر من الله ومشيئته الأزلية التي لا ينبغي أن تقاوم»

إن الأساليب التي قمعت بها فرنسا الانتفاضات الشّعبية وحتى المظاهرات السلمية خلال أكثر من قرن من الزمن أكدت بما لا يدع مجالا للشك استحالة إعادة السيادة الوطنية عن طريق الحوار أوالمفاوضات أو عن طريق الاحتجاجات، وأن ما أخذ بالقوة لا يستردّ إلا بالقوّة وهذا هو المنطق الذي يفهمه الاستعمار.

الاستنطاق

أجريت التحقيقات الأولى في مكتب الشرطة في سيدي الطويل قصد التعرف على هويّة المعتقلين، ثم تواصل الاستنطاق في مكتب ضباط الشؤون الأهلية في ابن قردان وظل مستمرا طوال مدة إقامة ابن بولعيد في السجن تحت إشراف ضباط متخصصين ورجال مباحث كبار. وليس لدى الباحث في الموضوع أي مرجع يستند إليه، عدا سلسلة من الوثائق صادرة عن المحكمة العسكرية الفرنسية بتونس تصف وقائع الجريمة - تشرفت جمعية التراث والتاريخ "بياتنة" باستخراجها وترجمتها وهو عمل يستحق كل الثناء والتقدير- كما تعبر عنها منذ أن قتل محمد زمزم عون أمن من فرقة الصبايحية ذي الأصل التونسي إلى إلقاء القبض على المتهمين: مصطفى بن بولعيد وعمار بريك، على الحدود بين ليبيا وتونس. فقد جرت أوّل عملية استنطاق غير رسمية حسب التصريحات التي أدلى بها عناصر من فرقة الخيّالة لسيدي الطويل التي ألقت القبض على ابن بولعيد وصاحبه في سيدي الطويل.

اعترف فيها ابن بولعيد بأنه قاتل الرجل الذي حاول اقتيادهما إلى مركز الشرطة بابن قردان وبرّأ صاحبه من الجريمة إلاّ أنه أنكر في محاضر أخرى أن يكون لديه سلاح ناري وأن اعترافه الأول كان تحت التهديد والتعذيب، وزعم أنه كان يريد الذهاب لزيارة صديقه محمد خيضر في القاهرة، وأن اجتيازه للحدود بطريقة غير شرعية والعبور عبر نقطة غير محروسة كان بسبب عدم امتلاكه للوثائق الرسمية. وأنكر الاثنان أن تكون لهما معرفة سابقة وصحبة في السفر، وأدليا بأنهما تعرّفا على بعضهما من خلال الملامح بأنهما جزائريان عندما التقيا بقابس، ولمّا كان كل منهما يريد الذهاب إلى المشرق امتطيا نفس الحافلة فحصل ما حصل في ابن قردان.

أما جاك سوستال الوالي العام للجزائر، فقد أرسل بتاريخ 16 فيفري 1955م مديره السابق للديوان العسكري والمتخصّص في علم الاجتماع لسكان شمال إفريقيا "الرائد: فانسان مونتاي، لإجراء استنطاق ابن بولعيد" وكان هذا الأخير يُحسن اللغة العربية، كما كان يجيد اللغات المحلية ولديه خبرة واسعة في شؤون سكان شمال إفريقيا بحكم تخصُّصه[1].

جاك سوستال: الوالي العام للجزائر وبطل مجزرة 20 أوت 1955

يقول "إيف كوريير" في كتابه: حرب الجزائر" قبل أن يدخل فانسان مونتاي على ابن بولعيد في زنزانته سأل أحد مفتشي D. S. T إن لم يكن قد تعرض إلى عنف خلال استجوابه فطمأنه هذا الأخير سلبا وحينئذ دخل فانسان مونتاي زنزانة ابن بولعيد، وكانت قامة هذا الأخير متوسطة ووجهه غائرا غمرته تجاعيد وجسمه كان جافًا.... وقرّر في الأخير أن يتكلم بعد صمت طويل..... ويبلغ من العمر 38 سنة. تحدّث عن انخراطه في الجيش الفرنسي، عن انتخابات سنة 1948م وعن تزوير النتائج من قبل الحاكم العام "**مارسيل أدمون نايجلان**" ومحاولاته القضاء على الحركة الوطنية... لكن ابن بولعيد لم يعط أي معلومات عملية عن الثورة، وتكلم بإسهاب وهو يشرح الأسباب الاجتماعية والسياسية والنّفسية التي فرضت على أعضاء اللجنة الثورية للوحدة والعمل "CRUA" اللجوء إلى العمل المسلح، وبعد هذه المقابلة قدم الرائد مونتاي تقريره إلى الوالي العام "**جاك سوستال**" بتاريخ 22 - 2 - 1955م نشرت الجرائد يومها مقتطفات منه.

---

1) - عمل فانسان مونتاي ضابطا ضمن قوات الأمم المتحدة في فلسطين سنة 1948. عاش مأساة الشعب الفلسطيني وتأثر بذلك أيما تأثر. أسلم وأصبح مناصراً للقضية العربية عامة والفلسطينية خاصة. له مؤلفات كثيرة في الموضوع أهمها: "الملف السري لإسرائيل" في جزئين، تصفه الصحف اليمينية الفرنسية بـ/ "**صديق العرب**".

19 أوت 1955 جاك سوستيل: الحاكم العام للجزائر «في الأوراس»
إنّه يعدهم ويمنّيهم

وقد جاء في التقرير بأن الحوار الذي أجراه مع ابن بولعيد كان صعبا وشاقا وقد حاوره بالعربية وبالفرنسية وبالشاوية، وقد أظهر ابن بولعيد في حواره نوعا من السريّة التامة والتحفظ الكامل حول الوضعية العسكرية والسياسية، وقد كتبت مجلة ايستوريا في عددها 197 الصفحة 109 تعليقا حول الموضوع جاء فيه. "وفي الميدان السياسي فإن معين ابن بولعيد لا ينضب فهو متحمس وبليغ إنه يفضح بكل شدة تزوير الانتخابات من طرف الوالي العام "**نايجلان**" ويستعرض المكائد النفسية والاجتماعية والسياسية التي أوصلت إلى التمرد"وتضيف المجلة في تقييمها للحوار"، أنّ جدّيته تبدو صادقة لا شك فيها للرائد مونتاي الذي تأثّر في الصميم من التصريح الأخير للمعتقل ابن بولعيد حين قال: [**إنّني لا أطلب لنفسي شيئا فإن حياتي لا تساوي شيئا، إنني مستعد لإمضاء وثيقة أعترف فيها بقبول إعدامي رميا بالرصاص إذا كان موتي سينقذ الجزائر**]، وقد لا يكون (مونتاي) يتوقّع سماع مثل هذا الردّ من ابن بولعيد، غير أنه صمّم على الذهاب إلى أبعد من ذلك واختار لسؤاله التالي عبارات رقيقة صاغها بشكل تثير حاجة ابن بولعيد للحديث في الموضوع، حين قال:

كيف تصبح يا ابن بولعيد خارج القانون وأنت رجل ميسور الحال وصاحب مرتبة اجتماعية بين قومك؟.

فأجابه ابن بولعيد [**أنا لا أستطيع أن أصبح وأمسي بخير وقومي يعانون الفقر المدقع ولو تتاح لي الفرصة لأعيدها (يعني الثورة) لأعدتها**[1]] فاعتبر (مونتاي) هذا الرد خاتمة مسلسل الاستنطاق.

وقد لخّص مونتاي انطباعه الأخير بما يلي:

"إنّني خرجت بانطباع راسخ بأن ابن بولعيد رجل مؤمن بالثّورة، وأنّ حافزه الأساسي في الدفاع عن شعبه هو كرهه للجور والطغيان الذي مارسته فرنسا ضد الشعب الجزائري [**إنه لن يلين وسيقاتل إلى آخر رمق دفاعا عن الشعب ووحدة الجزائر واللغة العربية**].

وقد عملت المحكمة العسكرية الفرنسية في تونس بالتنسيق مع المؤسسة العسكرية الفرنسية في الجزائر على تجميع المعلومات المتعلقة بابن بولعيد وتصنيفها وترتيبها والتأكد من صحتها أو عدم صحتها لإتمام تحرّياتها في رسائل متبادلة بين المؤسسة العسكرية الفرنسية في تونس ونظيرتها في الجزائر.

- وهذه بعض من تلك المراسلات:

- ففي رسالة من الجنرال "آلار" قائد قسم قسنطينة إلى الرائد "نيو" قائد مسؤول وكالة الأعوان بتونس يبلغه من أن التحريات التي أقيمت من أجل العثور على تعيين سلاح الجريمة في إحدى الوحدات من ناحية قسنطينة لم تؤد إلى نتيجة (الصفحة 75) من تقرير إعادة تمثيل الجريمة وإخراج جثة الضحية.

الوثيقة رقم 38.

---

1) - مقتبسة من مقالة لنجله عبد الوهاب نشرتها رسالة الأطلس العدد 3 بتاريخ (5 - 11) - 4 - 1993م

- قاضي التحقيق يعلم قائد فرقة الدرك بقسنطينة.

- المطلوب موافاتي عن طريق البرق إذا كان بريك عمار بن محمد بن فرشيش - رفيق ابن بولعيد - مزداد سنة 1916م.

يوجد تحت مذكرة إيداع عند الاقتضاء كل المعلومات تجدونها لدى وكيل الجمهورية بقسنطينة

- الوثيقة رقم 38.

- ردّ فرقة البحوث بالنفي عن المراسلة المتضمنة في الوثيقة رقم 38.

- وقد حاولت المحكمة العسكرية الفرنسية بتونس تحديد مصدر السلاح الذي تم العثور عليه وضبطه عند ابن بولعيد، وما إذا كان هذا السلاح قد تمّ غنمه أو تسريبه من وحدات عسكرية فرنسية لإضافة تهم أُخرى لابن بولعيد المتهم من قبل المحكمة العسكرية الفرنسية بتونس بـ:

* حيازة سلاح ناري غير مرخص به.

* القتل العمدي للمصابحي: محمد زمزم.

* اجتياز الحدود بطريقة غير شرعية.

* عدم التبليغ عن الجريمة.

وكانت هذه التهم كفيلة بأن تؤدي إلى حكم في منتهى القسوة من قبل المحكمة حتى لو طلب الالتماس أو الاستئناف، وبتوصل المحكمة إلى إثبات هذه التهم في شخص ابن بولعيد أغلقت ملف الاستنطاق.

الحكم الصّادر في تونس

جرت وقائع جلسة المحاكمة بتاريخ 24 مارس 1955م، أي بعد شهر ونصف من البحث والتحري في الموضوع، حيث نسبت لابن بولعيد التهم الأربعة السالفة الذكر ولرفيقة عمار بريك تهمة واحدة وهي: عدم التبليغ والكشف عن الجريمة.

وقد جاء في جريدة "لاديبش" التي كانت تصدر بمدينة قسنطينة الصادرة يوم 28 - 3 - 1955م "أنّ ابن بولعيد كان هادئا ويتحدث الفرنسية بطلاقة......"

وقد أصدرت المحكمة بعد المداولات الحكمين التاليين:

1) - الحكم على مصطفى بن بولعيد بالسّجن المؤبد مع الأشغال الشاقّة.

2) - الحكم على عمار بريك بسنة واحدة سجنا نافذًا.

وجاء في منطوق الحكم أنّ المعني أي ابن بولعيد سينقل إلى الجزائر لمواجهة تهم أخرى أمام العدالة العسكرية التي ستسأله عن مشاركته في أحداث الأوراس الدّامية، وعن جرائم أخرى - حسب تعبيرها - عديدة مع العلم أنّ محافظ الحكومة قد طلب بحكم الإعدام ضد ابن بولعيد.

ومن غريب الصدف أن يتفق التاريخ الذي ألقي فيه القبض على ابن بولعيد بابن قردان بتونس بتاريخ الجمعة 11 - 2 - 1955م مع تاريخ إعداد تقرير شامل حول أحداث الأوراس - كما جرى تسميتها - ليلة 31 . 10 /1- 11 - 1954م صادرة عن غرفة الاتهام بمجلس قضاء الجزائر - وهو طرف أساسي فيها - مع إصدار أمر بإحالة القضية على محكمة الجنايات بباتنة.

وقد جاء في أمر توجيه الاتهام الصّادر عن النائب العام "مجلس قضاء الجزائر" بتاريخ 11- 2 - 1955 ما يلي:

"في خلال شهر أكتوبر 1954 قام المدعو مصطفى بن بولعيد بن أمحمد وهو محرض معروف و(فتال) - هكذا ورد رسمها وقد تعني قتال - بتنظيم حركة إرهابية بدائرة باتنة تسمى بالحركة الثورية للوحدة والعمل CRUA هدفها الاعتداء على الأشخاص والممتلكات. وقد انضم إلى هذه الحركة عدة أشخاص وبدأوا نشاطهم ليلة 31 أكتوبر 1 نوفمبر 1954م حوالي الساعة الثالثة صباحا بباتنة أين تعرض مركز الحراسة بثكنتي المدفعية وقنّاصي إفريقيا إلى هجوم من طرف مجموعة مسلحة قامت بإطلاق عدة عيارات نارية(1)".

وليست هذه هي التهمة الوحيدة الموجهة إليه، فاسمه وارد في كل عملية من العمليات التي جرت في تلك الليلة باعتباره المحرض كما تصفه الأوساط الاستعمارية والمطلوب رقم واحد (1) لدى أجهزة الأمن الفرنسية والذي قام بتشكيل هذه الجماعات الموصوفة بالإرهابية التي تهدد الأمن العام من خلال سلسلة من الهجومات المدبرة نفذتها ليلة 31. 1/10 - 11 - 1954م في كل من خنشلة، سريانة، بسكرة، باتنة، لخروب، يابوس، تكوت، وفي أماكن أخرى من الأوراس، وعليه فإن إلقاء القبض على هذا الشخص أمر في غاية الأهمية، ليس لاعتباره الشخص المدبر لهذه الهجمات والمحرض عليها فقط، لكنه الشخص الذي يتوفر على قدر كبير من المعلومات حول هذا التنظيم المسلح والذي يمكن أن يشل هذا التنظيم أو يضعفه في حالة القبض عليه، وهكذا وفي الوقت الذي كانت فيه هذه الأفكار مجرد أحلام تراود ساسة المستعمرين وأجهزتهم الاستخباراتية إلى غاية إعداد هذا التقرير الذي اعتبر فيه ابن بولعيد في حالة فرار أبرقت إليها مؤسساتها بتونس بإلقاء القبض عليه.

---

1) - ابن بولعيد والثورة الجزائرية ص 302.

الباب الثالث

الفصل الثالث

نقل ابن بولعيد من تونس إلى الجزائر (قسنطينة)

صدر الحكم ضد مصطفى بن بولعيد بتونس بالمؤبد مع الأشغال الشّاقة بتاريخ 24 مارس 1955م ولبث في السجن بضعة شهور بعد إصدار الحكم.

وبتاريخ 16 - 6 - 1955م، وفي ظروف سرية تامة تمّ نقله على متن طائرة خاصة إلى قسنطينة لتبدأ سلسلة أخرى من عمليات الاستجواب من قبل رجال المباحث الفرنسيين الذين حاولوا انتزاع الاعتراف منه لتحميله ما جرى ويجري من أحداث في الأوراس، إلا أنه أصرّ على أن الشعب وحده هو المسؤول وهو السيّد وصاحب الشأن والقرار في الموضوع. وقد استمرت عمليات الاستنطاق أياما أخرى بهدف النيل من عزيمة القائد المسجون وإضعاف معنوياته وإرهاقه حتى يضعف سلطان الإرادة لديه ويدلي بما كان يتحفظ عن الإدلاء به.

كما تم تأجيل جلسات كانت مقررة عدة مرات باعتباره طرفا فيها أو لكونه فارّا لم يدل في شأنها بتصريحات وأقوال يؤكد فيها أو ينفي التهم المنسوبة إليه كطرف أو كشاهد بالنسبة للعناصر المشتركة معه في عمليات الهجوم التي يعتبر رأسها المدبر.

المحاكمة

في النصف الأخير من شهر جوان 1955م جمعت أجهزة الأمن الفرنسية مجموعة من القرائن والأدلّة أكّدت بموجبها ضلوع مصطفى بن بولعيد في الأحداث التي جرت ليلة 31. 10 - 1. 11. 1954م والمتمثلة في سلسلة من الهجمات بالأسلحة النارية تعرضت لها ثكنات عسكرية ومقرات للأمن والدرك الفرنسيين ومؤسّسات حيوية (مولّدات كهربائية، مخازن للوقود... ومنشآت قاعدية (تدمير جسور، قطع طرق).

لذا، قررت محاكمته مع جماعات أخرى، كان قد ألقي عليها القبض بتهمة التورط في هذه الهجمات، وذلك بتاريخ 21 جوان 1955م، ثم أجلت إلى يوم 24 جوان 1955م.

وحكم على ابن بولعيد بالإعدام مرتين بعد الاستئناف، باعتباره متهما في أكثر من قضية، كما حكم على بقية المناضلين بأحكام مختلفة بتهمة الانتماء إلى عصابات أشرار - كما تصفهم مذكرات الاتهام - ومحاولات الاعتداء. ولم يكن الحكم الصادر عن محكمة قسنطينة مفاجئا له وللمتتبعين لمسار جلسات المحكمة.

وهكذا تم إسدال الستار عن جزء هام من حياة المناضل الكبير والقائد الرمز مصطفى بن بولعيد. بعد أن وُضع وراء القضبان في سجن الكدية المدني، ولم يعد عمليًا قائدا للفلاقة كما تسميهم الأوساط الاستعمارية ومن يشايعها، بل أمسى مجرد عدد أرقامه - 26327 -. وانطفأ نجمه الساطع ولم تعد جبال الأوراس تردّد رجع صدى زئيره، وظنت فرنسا أن الثورة سوف تفقد بفقدانه توازنها وتلاحمها مع الشعب بعد أن فقدت عَلَمًا من أعلامها الكبار وركيزة من ركائزها القوية.

في سجن الكدية

أُودِعَ البطل مصطفى بن بولعيد سجن الكدية المدني، وفي هذا السجن بضع مآت من المساجين رُتّبوا في العنابر حسب أنواع التهم المنسوبة إليهم، هناك مساجين الحق العام، وهناك مساجين سياسيين، وهناك أحداث...

الشهيد: مصطفى بن بولعيد أثناء سجنه بالكدية

وخُصّص لكلّ مجموعة جناح خاص، ولكل جناح نظام خاص، وقد أودع ابن بولعيد في جناح رهيب خاص بالمحكوم عليهم بالإعدام. يضم الجناح مجموعة من الزنزانات تسع كل زنزانة شخصين لا أكثر وفي وضعية غير مريحة - إن كانت ثمة راحة داخل الزنزانات - وتعرف بالقاعات المدرّعة أو القاعات المجنزرة، ولا مكان للصدف هنا في إطلاق الأسماء على الأشياء، فالكلمة وحدها كفيلة بأن تثير الرّعب في نفس النازل بها ويقشعر منها بدنه ويصيبه اليأس بل الإحباط والاستسلام التام، وساكنو هذه العنابر من رموز المقاومة منذ عهد المقراني الذي يقال إن هذه القاعة بنيت من أجله، هم وحدهم من تصح فيهم المقولة الشائعة عندنا: (السجن تُبْنَى للّرجال).

ثلاثون رجلا ممن اكتملت فيهم معاني الرجولة الحقة، كانوا قد سبقوا ابن بولعيد إلى هذه العنابر، حكم عليهم بالإعدام في جلسات مختلفة، وقد انضم إليهم القائد ابن بولعيد. ويشاء القدر أن يجتمع في هذه القاعة كل من ابن بولعيد وحجاج بشير الذي ألقي عليه القبض عندما كان ابن بولعيد في طريقه إلى تونس، والذي اعترف أمام معذّبيه بأنه كان ينوي السفر إلى تونس حيث يلتقي هناك بابن بولعيد، وقد سبق له أن رافقه في رحلة إلى ليبيا فالقاهرة خلال شهر أوت 1954م، حيث يلتقيان عند مواطن تونسي يدير مطعما في قابس، كانا قد تعرفا عليه خلال هذه الرحلة وأمدّهما بالمساعدة الضرورية. إذن فقد أمسى كل من ابن بولعيد وحجاج بشير نزيل القاعة المدرّعة.... ولهذه القاعة نظام خاص حيث يودع في كل زنزانة شخصان تقيّد أرجلهما بأقفال من حديد وتشدّ إلى أوتاد رزّت في الحائط أو في الأرض، ولا يسمح لهما بالخروج إلّا في أوقات خاصّة للترويح عن النّفس أو للقيام ببعض الحركات لإعادة تنشيط الأعضاء التي تشنّجت بفعل القيود التي كانت تعطل من نشاط الدورة الدموية بها.

لبث ابن بولعيد في هذه الزنزانة مدة إلى أن جاء الفرج على هذه الجماعة من حيث لا تعلم، وهيأ لها القدر أسبابا أخرى بعثت في نفوس أفرادها بصيصاً من

الأمل في الحياة، وذلك عندما أقدم المساجين السياسيون من حركة الانتصار للحريات الديمقراطية بجناحيها (المصالي/ والمركزي) على شنّ إضراب عن الطعام. وإمعانا من إدارة السجن في تضييق الخناق على هؤلاء المساجين المضربين وحملهم على توقيف الإضراب إذعانا لقرارات الإدارة. قرّرت - هذه الإدارة - معاقبة هؤلاء المساجين ونقلهم إلى القاعة المدرعة. بينما نقل المساجين المحكوم عليهم بالإعدام إلى قاعة المساجين السياسيين، حيث نظام الإقامة جماعيّا وحيث تتوفّر بعض الوسائل التي تضمن للنازل بها أدنى قدر من الحياة، كالحشايا والوسائد...... ويقول المجاهد: محمد العيفة رفيق ابن بولعيد في السفر من قسنطينة إلى الأوراس عند هروبهما من السجن:

"كانت القيود الموضوعة في أرجلنا ثقيلة وكانت تؤلمنا كثيرا، فاحتج ابن بولعيد بواسطة محاميه لدى إدارة السجن فنزعوا من أرجلنا تلك القيود" وهذه فرصة أخرى وتخفيف من الله ورحمة منه بهؤلاء المجاهدين الصابرين. وكل انفراج مهما كان بسيطا يبعث شعاعا آخر من الأمل في هذه النفوس البائسة بل إن بعضها أصبح عبارة عن حطام متراكم وكتل متحجّرة، أسرع إليها الهرم وهي في ريعان الشباب. وجوه متجعّدة، وعيون غائرة في أعماق محاجرها شاخصة، وشفاه متشقّقة جافة تشوبها الزرقة - أحياء أموات - فلا شيء يدل على الحياة وسط هذا الحطام سوى نبضات خفيفة تصعد وتنزل ببطء توحي بوجود بقية حياة في هذه الأجسام، غير أنّ الحظّ حالف هؤلاء المجاهدين هذه المرة وخصهم بميزتين اثنتين في وقت واحد.

1) - الخروج من الزنزانات حيث الحياة أشدّ قسوة وأكثر إيلاما.

2) - حلول قائد بين الجماعة لا يعرف لليأس معنى، ولا تجد الهزيمة إلى نفسه سبيلا، مادام في جسمه عرق ينبض بالحياة. فالعقيدة والوطن والنضال عنده سيّان ولا يفرّق بين الثلاثة البتة، فهي الهواء الذي يتنفّسه، وهي الدّماء التي تسري في عروقه، وهي سمعه وبصره ولا يجد للحياة طعما ولا معنى بدونها.

لما أحس ابن بولعيد بائتلاف القلوب وتوحّدها وبوجود نظرة مشتركة بين عناصر المجموعة اتجاه الكفاح المسلح، والرغبة الملحّة في التحرّر، والكراهية الشديدة للاستعمار. وجد الفرصة مناسبة لاستئناف نضاله داخل السجن انطلاقا من الاهتمامات المشتركة لهؤلاء المناضلين المجاهدين ممن أثبتوا صدق وطنيتهم وإخلاصهم من خلال مشاركتهم الفعلية في أعمال مسلحة ضدّ المستعمر.

فراح يزرع الأمل من جديد في هذه النفوس اليائسة عن طريق الوعظ والإرشاد والتوجيه الدّيني بدءا بالقيام بأداء الصلاة جماعة وتلاوة القرآن جماعة..... ليشعر هؤلاء المجاهدون بوحدة العقيدة ووحدة المصير والرّضا بالقضاء والقدر خيره وشره، وبوحدة الوطن. ثم راح بعدها يبعث الأمل في القلوب الذليلة المستسلمة لليأس ويبدّد السحب القاتمة التي ألقت بظلالها على تلك الأشباح المتشبثة بالحياة ويعيد إليها الاطمئنان ويرغّبها في العيش الكريم، حتى إذا لاح له بريق من الأمل عند بعض المناضلين المؤمنين بربهم حق الإيمان الصادقين الصابرين الذين لم تنطفئ بعد جذوة الأمل في نفوسهم، راح يعطي دروسا في التاريخ الحديث وفي الوطنية بصفة عامة، عن المقاومة المسلحة عن الانتفاضات، عن تطور سياسة الأحزاب في الوطن، عن الكفاح المسلّح في البلدان المستعمرة، وكيف أنّ بلدا صغيرا مثل: الفيتنام، استطاع أن يلحق هزيمة منكرة بدولة كبيرة مثل فرنسا، كانت شرّا من هزيمة ألمانيا لها خلال الحرب العالمية الثانية. ففي معركة " ديان بيان فو" وحدها خسرت فرنسا مئة ألف عسكري خلال شهر ماي 1953م. وعن الكفاح المسلح في الشقيقتين المغرب وتونس، وعن المعتقلين المحكوم عليهم بالإعدام في هذين القطرين، وكيف أطلق سراح بعضهم ولم ينفذ فيهم الحكم الصادر ضدهم.....

كل ذلك من أجل إعادة شحن هذه النفوس التي تعرضت لأبشع أنواع القهر والإذلال بالأمل من جديد، وإذكاء روح الوطنية الصادقة فيها، والثقة بالله والتعلق

بالحياة وبكراهية المستعمر الغاشم، وطلب الموت الشريف في ساحة الوغى وعلى أرض المعركة بين لعلعة الرصاص وقرقعة البنادق، وهدير الدبابات ودوي الانفجارات، لا على خشبة الإعدام في ميدان الرمي فبئس الموت موت الذليل.

إنّما البطل من يعرف كيف يموت

نستأنس بهذه المقولة للملكة الأمازيغية الشهيرة "الكاهنة" التي قاومت الفتوحات الإسلامية ودافعت عن بلادها ببسالة، ولما أذنت ساعتها ولاحت في الأفق بوادر هزيمة جيشها، قال لها قومها: "أنج بنفسك قبل أن تنجلي المعركة ويدركك العدو وتقعين في الأسر أو تقتلين، فقالت قولتها المشهورة "إنما الملكة من تعرف كيف تموت.... الفرار عار وسبّة علي وعلى أمّتي[1]."

وتعني الكاهنة في مقولتها هذه: من تعرف كيف تموت في ساحة المعركة لا بين جدران السجون، وأثقال السلاسل، وصليل الحديد. فقاتلت بشجاعة إلى أن قُتلت.

وبطلنا مصطفى بن بولعيد من هذه الطينة الطيبة ومن هذا المعدن الكريم الذي يرفض الاستسلام للأمر الواقع، ويأبى الذل وإن طغى عدوه وبغى. فما إن لاحت له أول بارقة أمل - النجاح فيها ضئيل جدّا - حتى راح يتطلع إلى كل سبيل ويبحث عن كل وسيلة تمكنه من الخروج من هذا السّجن الرّهيب والالتحاق بالثورة من جديد لإتمام رسالته المقدسة وإكمال واجبه الوطني الذي لم ينته بعد. فإذا جاء الأجل المحتوم مات ميتة الشرفاء وهو يقاتل بشجاعة لإجلاء الغاصبين لأرضه المعتدين عن وطنه الواهمين بأن احتلالهم للجزائر أمر مُقدّر من الله ومشيئته الأزلية التي لا ينبغي أن تقاوم[2] على حد تعبير نابليون الثالث الذي أدركه خبل الشيخوخة وراح يعزف على وتر الدين لعل هذا يصيب الناس بالخدر أو ما يعرف

1) - عن تاريخ الجزائر القديم والحديث لـ: مبارك الميلي الصفحة 406.
2) - من خطاب لنابليون الثالث أثناء زيارته للجزائر في ماي 1865م.

(بالنوم الشفقي)[1]، بعد أن عرف غلبة المشاعر الدينية على نفوس المسلمين، وبعد أن فشلت قواته في القضاء على الانتفاضات والثورات الشعبية المختلفة، أراد منهم بعد كل هذا أن يعتبروا الاحتلال قضاء نزل وأن يسكنوا فيسلموا.

كان ابن بولعيد يرى أن الاستسلام ذل وانتظار الموت هوان أبشع من الموت نفسه. فلا بد من المحاولة، فبدأ الحديث في الموضوع مع من كانت معنوياتهم عالية ورغبتهم شديدة وحماسهم قويا وهم قليلون، ثم جهر بالفكرة وأوحى بها في كل أرجاء القاعة ودعا الجميع إلى الاستعداد لعمل ما، قد يحدث في أية لحظة دون أن يفصح عنه. غير أنّ بعض السجناء ممّن انهارت معنويّاتهم، قابلوا الفكرة بالرّفض المطلق، واعتبروا أيّة محاولة للفرار انتحاراً، لوجود موانع وعوائق يستحيل تجاوزها، مثل: ثكنة الدرك التي توجد أمام السجن وثكنة للجنود السنيغال تقبع من خلفه وعلى الجانب منه محافظة للشرطة. فهو محوط بحاميّات تحرسه من كل جانب. لذا يرى الرافضون لفكرة الفرار أن المحاولة تكون فاشلة حتما وستجرّ على المساجين متاعب أخرى. فكانوا يرددون في كل مرّة (دعونا نمت بهدوء)، وأمام هذا الرفض كان على ابن بولعيد أن يتخذ إجراءات وقائية واحتياطية شديدة مع المجموعة، حيث أحضر مصحفا بادئ ذي بدء، ودعا كل واحد إلى أن يحلف يمينا بأنه لا يذيع سرّا ولا يفشي خبرا يتعلق بنيّة المجموعة في تنظيم عملية الفرار. غير أن ذلك لم يكن في نظره كافيا لوجود جماعة ترفض الفكرة أصلا وترى أنها فاشلة وستعيد المساجين إلى الزنزانات حيث تكبل أيديهم وتقيد أرجلهم ويحرمون من القهوة ومن الدخان، فاتخذ تدابير إضافية جديدة حيال هذه المجموعة، فكان لا يترك أحدا من هؤلاء الرافضين يستلم بريده من إدارة السجن أو ينفرد بالحارس أو حتى في العيادة إلّا ومعه صاحب أو صاحبان من المجموعة، وحتى في أثناء الصّلوات التي كانت

1) – النوم الشفقي هي حالة من حالات شبه الوعي. يدخل المرء خلالها في نوع من الغيبوبة دون أن يفقد وعيه كليّا.

تُؤدى جماعة يتخلف عن المشاركة في صلاة الجماعة عنصر أو عنصران لمراقبة بقية المساجين، إمعانا منه في توخّي الحيطة والحذر الشديدين.

يقول العقيد "الطاهر الزبيري" أحد المجاهدين الذين صنعوا الحدث العظيم الفارين من سجن الكدية بقسنطينة مع ابن بولعيد: "كنا ندرك تماما خطورة الموقف وصعوبة العملية، غير أننا لم نفقد الأمل، رغم أنّنا كنا نقدّر أن نسبة النجاح في كل عملية من العمليات التي وقع عليها الاختيار ضئيلة جدا، وأن اختراق هذه الأسوار أو القفز فوقها ضرب من الجنون، إلا أنه كان خيارنا الوحيد، فكان ابن بولعيد يبعث في نفوسنا الأمل باستمرار ويدعونا إلى عدم الاستسلام لليأس واعتبار الوضع الذي نحن عليه قدر محتوم فليس هناك شيء اسمه المستحيل(1)".

ولم تكن عملية حفر النفق واختراق جدار مبني بالإسمنت المسلح هي الخطة الوحيدة التي تم التفكير فيها واستعراضها فقد سبقتها خطط أخرى غير أن الجماعة كانت ترفضها إذا تأكّد لديها أنّ نسبة النجاح فيها قليلة جدا أو عديمة.... ومن بين هذه المحاولات:

- محاولة إلقاء القبض على أحد الحراس وانتزاع سلاحه منه والتنكر بزيّه ثم استخدام هذا السلاح ضد بقية الحراس واقتحام باب السجن عنوة والخروج إلى الشارع، إلا أنّه وبعد المعاينة تأكّد أنّ الحرّاس يمشون أزواجا، وأبراج المراقبة فوق أسوار السجن تطل على الساحة وعلى المدخل الرئيسي، ولا يمكن التنبؤ بما سيقع في حالة تنفيذ هذه الخطّة.

- قطع شبابيك النّوافذ بمنشار من الصّلب وَعَدَ بإرساله أحد سجناء الحق العام أنهى فترة حكمه، لكن هذا المنشار لم يصل.

- فتح سقف القاعة والهرب على سطوح الأجنحة والقاعات. غير أنّ هذه العملية تنطوي على مخاطر أكثر وتحتاج إلى دقّة في التنفيذ وسرعة في الإنجاز.

---

1) – ملحمة الجزائر الجديدة للمجاهد: عمار قليل، الجزء الأول الصفحة 292 وما بعدها.

* فتح نفق من القاعة المدرّعة إلى المستودع واقتحام أسوار السجن - سوران بينهما ممرّ واسع - باستخدام ما في المستودع من خردوات.

وقد استقر رأي الجماعة على الخطة الأخيرة التي كانت تستدعي مجموعة وسائل بسيطة يمكن توفيرها من داخل السجن.

وكان لبشير حجاج - رحمه الله - أعدم بتاريخ 3 - 1 - 1957م، وقد نشرت صحيفة (L'observateur) (لوبسير فاتور) الفرنسية الصادرة بتاريخ 14 فيفري 1957م اسمه ضمن قائمة بأسماء 18 سجينا نفذ فيهم حكم الإعدام[1] - دور إيجابي في إنجاح العملية، فهو الذي أرشد الجماعة إلى وجود دهليز تحت القاعة به أشياء مهملة وخردوات وحطام لأسرّة وأشياء مختلفة يمكن الاستعانة بها، وكان الشهيد: بشير حجاج قد تردّد على هذا السجن مرات خلال حياته بسبب نشاطه السياسي ويعرف أجنحته وكل ما يحيط بها معرفة جيدة. فلمّا أفاد الجماعة بوجود هذا الدهليز وشعروا بالحاجة إلى تلك الوسائل والخردوات الموجودة به، اختاروا هذا الاتجاه، وبعد ثلاثة عشر يوما من العمل المتواصل، لم تتمكّن الجماعة من اختراق سمك الجدار أو تحدث به أخدودا يسمح لها بالإطلالة على المخزن للتأكّد من صحة الاتجاه، فلمّا تراكمت الأتربة وفتات الحجارة في زوايا القاعة وتحت الحشايا. خشي هؤلاء السجناء أن ينكشف أمرهم وتوقفوا عن العمل مدة 6 أيام كاملة، وراحوا يفكرون في طريقة تمكّنهم من صرف هذا الفتات المتراكم عن طريق القمامات أو بَالُوعات المياه. فلما لم يجدوا وسيلة تمكنهم من ذلك، راحوا يستفزّون إدارة السجن برمي أعقاب السجائر في السّاحة وإسقاط أوراق الشّجر بواسطة كرات من القماش كانوا يصنعونها في القاعة ويتظاهرون باللعب بها. فلما لاحظت إدارة السجن عنهم ذلك عاقبتهم بأعمال التسخير للخدمات العامة التي لم يكونوا يمارسونها، وذلك ما كانوا يهدفون إليه ويريدونه حتى يتمكنوا من صرف الأتربة وفتات الصخور والإسمنت عبر القمامات وبَالُوعات المياه القذرة.

---

1) - الثورة الجزائرية للعماد مصطفى طلاس الصفحة 163.

وهكذا استأنفت الجماعة عملية الحفر مرة أخرى دون كلل أو ملل، وللحيلولة دون وصول الأصوات إلى أسماع الحرّاس، كانوا يضعون بطانية على رأس المجاهد: محمد العيفة، فيتظاهر بالرقص تحت إيقاع تصفيقات حارة من قبل بقية السجناء، وكلما أطل الحارس من كوة في الجدار ورأى ذلك ظن أن الجماعة تروّح عن نفسها وأن تلك الأصوات التي تنبعث من داخل القاعة ناتجة عن دبك الأرض بالأرجل والتّصفيق بالأيدي، وهو ما يحدث الارتجاج ويثير الصّخب في القاعة. وعندما تنتهي فترة العمل تقوم الجماعة بسدّ الثّغرة بنفس الحجارة محوطة بلباب الخبز المخلوط بالصّابون ورماد السّجاير لأنها تعطي نفس لون وشكل الإسمنت المسلح الذي بني به الجدار فيظهر المكان وكأنّ شيئا لم يكن.

وحدث أثناء مدة الحفر أن اشتدّ القلق والضيق بأحد السجناء (**سعيد حجار**) فضرب رأسه بعنف إلى الجدار فأغمي عليه، ولما علمت الإدارة بذلك أرسلت ضابطا للاطلاع والتحقيق وخوفا من أن تنفرد به الإدراة قصد التحقيق معه أو في العيادة من أجل العلاج، وقد يذيع سرّا طالما سعت الجماعة إلى إخفائه، تدخل ابن بولعيد، وقال للضابط: إن هذا المسجون قلق جدا بسبب المراسلات التي لم تصله منذ مدّة طويلة، وهو يعتقد أنّ إدارة السجن هي التي تعمل على حجز رسائله. فاقتنع الضابط بما سمع وانطلت عليه الحيلة ووعد بإيصال الرسائل إليه بنفسه. وهكذا انصرف دون نقل المصاب إلى المصحة أو إلى الإدارة خوفا من أن يدلي ببعض التصريحات التي من شأنها أن تكشف ما كانت الجماعة بصدد تنفيذه.

وبعد ثمانية وعشرين يوما من العمل المضني انتهى الحفر إلى الدهليز حيث توجد مجموعة خردوات وبقايا أسِرَّة ومهملات أخرى، فتسلّل ابن بولعيد ومعه بعض السجناء إلى الدهليز للنظر في كيفية استغلال هذه المهملات والاستفادة منها في صنع سلم من بقايا أسرّة وحطام لسلّم قديم عثر عليه في القبو.

وهكذا تم تجميع هذه البقايا وربطها بأشرطة من قماش قصّت من حشايا وأفرشة المساجين وتحولت القاعة والدهليز خلال ساعات إلى ورشة وفي ظرف زمني قياسي تمّ إعداد سلّم - الوسيلة الأهمّ - بطول 4 إلى 5م.... وكانت هذه اللحظات أشد حرجا من سابقاتها، لأنّ كلّ تطوّر أو تغيير في مكان إقامة المساجين أو غير ذلك سيعيد القضية إلى نقطة الصّفر. فالحفر قد اكتمل والوسائل المتوفّرة في الدّهليز قد جمعت واستغلت في صنع أشياء وأدوات تساعد على القيام بعمل ما، وبات الفرار مسألة قرار. وهكذا راح هؤلاء المجاهدون يتطلعون إلى ماوراء الأسوار ومعرفة حركة الحراس وضبط أوقات المناوبة خاصة. لحظات حرجة وساعات عصيبة عاشها هؤلاء المجاهدون في الأيام الأخيرة داخل هذا المحشر الرهيب قبل أن تبدأ عملية الفرار. فالكل يتلهف للدقائق التي تبدأ فيها عملية الهروب والجميع يتوجس خيفة من المصير المشؤوم الذي ينتظر الجماعة في حال فشل المحاولة. ومهما يكن الأمر فلن يكون أكثر من التعجيل بتنفيذ حكم الإعدام... القرار صعب لكن الخيار مصيري، وليس ثمة خيار آخر. وفي هذه اللحظات الصعبة ظهرت للقائد ابن بولعيد، وهو يُجري الترتيبات الأخيرة مشكلة وجود عناصر بين الجماعة لا تسمح لها عاهاتها بالفرار ويتعذر عليها تجاوز أدنى عائق من العوائق التي تعترض الفارين، وقد يشكل هؤلاء السجناء عائقا آخر يحول دون الإسراع في تنفيذ العملية، غير أن هذه العناصر ظلت مصرّة على أن يجري ترتيبها في القائمة مع العناصر التي تجري عليها القرعة ويتعلق الأمر بالمجاهدين: شوقي سعيد[1] وبصيري محمد. فقد ظلا رغم عطبهما متمسكان برأيهما ومصرّان على الفرار مع بقية السجناء. ولم يكن ذلك ممكنا نظرا للعجز الذي يعانيان منه بسبب إصابتهما بكسور في العمليات القتالية التي أسرا فيها، وأمام إلحاحهما خطرت فكرة لابن بولعيد، وقال لهما: فراركما صعب ونجاتكما

1) - أصيب بكسور خلال المعركة التي استشهد فيها ديدوش مراد في 18 جانفي 1955 (ملحمة الجزائر لعمّار قليل ج1 ص 286).

وأنتما على ما أنتما عليه من الإعاقة غير ممكنة، ولكي أبعد عنكما وعن السجناء ممن قد لا يسعفهم الحظ في النجاة كل شبهة سوف أترك رسالة هاهنا في القاعة أبيّن فيها لإدارة السجن مسؤوليتنا نحن الفارين عن العملية ولا دخل لزملائنا فيما حدث، وأهدّد في الرسالة التي سوف أتركها بأن أية عملية انتقام من المساجين يكون رد فعل الثوار عليها عنيفا وسيقتل مقابل كل مسجون عشرة أوربيين، فاقتنعا على مضض عندما لم يجدا بدًا من القبول. وهكذا تم استثناؤهما من القرعة، وقد جرى التفكير في القرعة وترتيب السجناء على النحو التالي:

1) – خروج مسؤول من كل جهة بدون قرعة.

2) – استثناء المجموعة التي قامت بالحفر وهيّأت أسباب الفرار من القرعة

3) – استثناء القائد ابن بولعيد وحده من القرعة.

4) – إجراء القرعة لجميع السجناء.

ولم يستثن ابن بولعيد نفسه إلا بعد إلحاح من قبل المجموعة، وكان رأيه استثناء الجماعة التي عملت مدة شهر كامل على حفر النفق وشقّت ممرًا وسط جدار من الاسمنت المسلح هو أشبه بالصخرة الصماء.

وتم أخيرا إعفاء العناصر الستة التي نشطت في شق النفق وتقديمها على الآخرين، وستة رؤساء أفواج رتبوا بالقرعة. بينما رتب بقية المساجين حسب القرعة. وقبل الشّروع في التسلل عبر النفق أمّ ابن بولعيد الجماعة في صلاة استخارة جماعية دعوا الله خلالها أن ييسّر لهم أمرهم هذا وأن يصرف عنهم أنظار عدوهم ويوفر لهم أسباب الأمن والنجاة. وفي اللحظة التي كان هؤلاء المساجين يتهيّأون للدخول في النفق ينفتح الباب فجأة فيطل منه الحارس ويلقي نظرة فاحصة في أرجاء القاعة، ثم يطلب من ابن بولعيد أن يذهب لمقابلة محاميه. ذهب ابن بولعيد لمقابلة المحامي لكنه سرعان ما تخلص منه بدعوى الارتباط بصلاة الجماعة إذ كان يؤم الجماعة في كل صلاة، وبعد أن أدّوا صلاة

المغرب جماعة، وحوالي الساعة الخامسة والنصف أو السادسة وخلال عملية تبادل الحراسة في الأبراج وعودة المساجين السياسيين إلى قاعاتهم وما يرافق ذلك من ضجيج وحركة تصرف أنظار الحراس عادة إلى ما يقوم به السجناء وهم يعودون إلى عنابرهم فرادى وجماعات. بدأ هؤلاء المجاهدون يتسللون عبر النّفق إلى الدّهليز ومنه إلى الممر ثم إلى السور الخارجي وينصبون السلّم بسرعة فيصعد المجاهد محمد العيفة لخفته ويطل إلى ماوراء السور، فلما لم ير ما يُريبه قفز بسرعة فتبعه ابن بولعيد وإبراهيم طايبي والطاهر الزبيري وبقيّة المساجين.

وعندما كان محمد العيفة يهمّ بالقفز تحركت قرميدتان في أعلى السور فسقطت إحداهما فوق رأس ابن بولعيد وشجّت حاجبه فسال الدم على وجهه، وبينما كان يسير رفقة محمد العيفة في الشارع غير بعيد عن محيط السجن لاحظت عنه ذلك سيّدة أوربية فارتاعت لهول المشهد وانزعجت لمنظره وتعلقت بزوجها خائفة فتقدم منها ابن بولعيد - حسب رواية محمد العيفة - وربت على كتفها وطمأنها بأنه مجرد حادث عمل بسيط لا يدعو إلى القلق. وانطلقا بسرعة في اتجاه المقبرة -المكان الذي لا تحوم حوله الشبهة-. وكان ابن بولعيد قد أوصى الجماعة قبل انطلاق العملية بأن يتجهوا نحوها، كما أوصاهم بأن يحملوا معهم قطعا من السكر يتغذون بها عند الحاجة ومقداراً من مسحوق الشمة لتضليل الكلاب المدرّبة على اقتفاء الأثر وتعقّب الفارّين، والسّير عبر الشعاب والسهول، ووسط جداول الماء ما استطاعوا لإخفاء آثار السير، وتجنب الجبال والمرتفعات.

محمد العيفة (مغلاوي) رفيق ابن بولعيد في الهروب إلى الأوراس

وهكذا راح بقية السجناء يقفزون تباعا من السور إلى أن وصل عدد الناجين أحد عشر سجينا، وهنا اشتدت لهفتهم بعد أن شعروا بنجاة إخوانهم فتزاحموا على السلم وتدافعوا عنه بالأيدي وبالمناكب.... فسقط السلم على الأرض وأحدث صوتا لفت إليه نظر الحارس. ولما لم يعد بالإمكان إعادته إلى موضعه هرع بعض السجناء إلى الدهليز محاولين العودة إلى القاعة عبر النّفق الضيق. بينما صاح آخرون لإعلام الحارس، فأطلقت في الهواء عدة طلقات نارية، تزامنت مع أبواق إنذار سمعت من عدة كيلومترات، وإشعال أضواء كاشفة سلطت على الساحات والممرات التي تفصل بين الأسوار وعلى المحيط الخارجي للسجن! هناك عرف الناجون من القاعة المدرعة أن المحاولة قد أحبطت، وسألوا اللّه أن يكون معظم من في القاعة قد نجا.

الفارّون من السّجن حسب مصالح الاستعلامات الفرنسية

1) - مصطفى بن بولعيد
2) - طايبي إبراهيم
3) - محمد العيفة
4) - حمادي كرومة
5) - الطاهر الزبيري
6) - لخضر مشري
7) - محمد بزياني
8) - حسين عريف
9) - سليمان زايدي
10) علي حفطاري
11) أحمد بوشمال.

وهناك روايات أخرى لا تتفق مع هذه الرواية سواء من حيث العدد أو من حيث الأسماء.

استمارة بحث سريعة

DIRECTION DE LA SURETE
NATIONALE EN ALGERIE

SOUS-DIRECTION
DE LA POLICE JUDICIAIRE

Fichier Central

DIFFUSION URGENTE

RECHERCHES

ADDITIFS et RECTIFICATIFS à la Diffusion Urgente N° 132/55 du 13 Novembre 1955

I. — ADDITIFS

Photographies des individus condamnés à mort et évadés de la Prison Civile de Constantine le 10 Nov. 1955

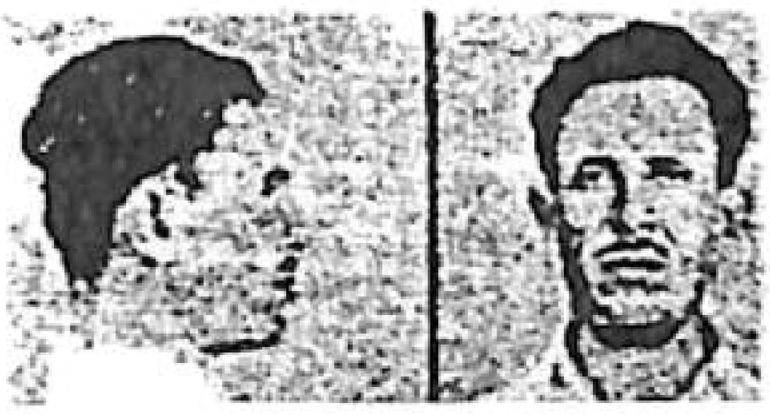

ابن بولعيد مصطفى

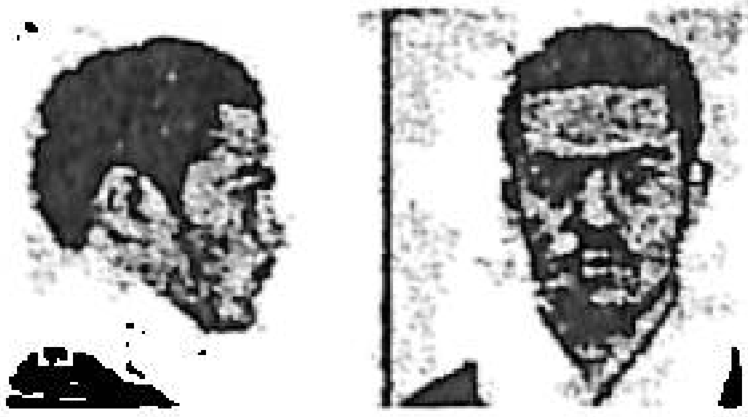

طايبي إبراهيم

العيفة محمد

كرومة حمادي

زيبري الطاهر

مشري لخضر

بزياني محمد

عريفي حسين

زايدي سليمان

حفطاري علي

بوشمال أحمد

II. — RECTIFICATIFS

N° 2 — TEBI Brahim, lire : TAIBI Brahim.
N° 3 — MECHTRI Lakhdar au MECHRI Lakhdar.

DESTINATAIRES :

Tous Services de Police et de Gendarmerie
d'Afrique du Nord

M. le Directeur Général de la Sûreté Nationale
FICHIER CENTRAL - PARIS

Pour Information.

P. le Directeur de la Sûreté Nationale
en Algérie,
Le Contrôleur Général
des Services de Police Judiciaire,
Signé : [illegible]

واصل ابن بولعيد صحبة محمد العيفة سيرهما الحثيث إلى أن ابتعدا عن مدينة قسنطينة وتأكدا من نجاتهما فتنفسا الصعداء وجدّا في السير اتجاه عين مليلة وقبل طلوع الفجر كان العياء بل الإرهاق والجوع قد نال منهما كثيرا، فمالا إلى واد يقول محمد العيفة وناما فيه النهار كلّه، ومع أول الليل انطلقا في رحلتهما الشاقة نحو جبال الأوراس الأشم، ولما تفتقت أحذيتهما المهترئة راحا يقطعان أشرطة من سترتيهما ويلفّان بها أرجلهما الحافية الدامية من جراء الأشواك والحجارة التي تكثر في السهوب وفي مجاري المياه خاصة. ولما بلغ بهما الجوع ما أعياهما عن السير قصدا بيتا منفردا وطرقا بابه وطلبا من صاحبه أن يمدهما بما يسدّان به ألم الجوع، ثم انطلقا في السّير حثيثا، وبعد ثلاثة أيام من الإسراء ليلا والاختفاء نهارا كانا قد قطعا السبختين الكبيرتين اللتين بين مدينتي عين مليلة وعين ياقوت، ولاح لهما من بعيد جبل بوعريف مَعْلَمًا ثابتا وقلعة شامخة تحمي بوابة الأوراس الشمالية فاتجها صوبه، ومع أول الليل من اليوم الرابع كانا قد وصلا إلى سفوحه الشمالية فقصدا بيتا معزولا علّهما يحصلان منه على بعض القوت فوجدا به عجوزا وصِبْية صغارا فطمأنا العجوز وجلسا قليلا للراحة، غير أن منظرهما المزريّ وسوء حالهما أثارا في نفسها الفزع والخوف، ولما ذهب عنها ما أصابها من الروع وأيقنت أنهما لا يريدان بها أذى بل توسمت فيهما خيرا وظنت أنهما مجاهدان زفت إليهما خبرا ضاق به صدرها وظلت تنتظر ساعات طويلة من يطرق بابها من المجاهدين لتفشي له سرّا عظيما وخبرا سارّا وتعلمه بأن ابن بولعيد فرّ من سجن قسنطينة والتحق بإخوانه المجاهدين في الجبل، ولا تعلم المسكينة أن الذي تسرّ إليه القول بل وتجهر به أمامه هو ذاك القائد نفسه، فَطُوبَى لهذه المناضلة الشهمة ولمثيلاتها من المناضلات ممن أنجبن الأبطال وشاركن الرجال في الكفاح والنضال ضد المستعمر!

من صور التضامن والتحدي

هي عجوز تقيم في سفوح جبل بوعريف مع أبنائها الصغار يصلها خبر فرار ابن بولعيد - الذي ملأ ذكره كل بيت - من سجن قسنطينة في حينه فتهتز له طربا وتقر عينا على غير عادتها، ويغمر الفرح قلبها الكبير، وتملأ السعادة كوخها الحقير، وراحت تنتظر بشوق من يصل إليها من المجاهدين لتزفّ إليه البشرى وتنقل إليه هذا الخبر السارّ فلمّا دخل هذان الشخصان بيتها واستأنست بحديثهما أسرت إليهما خبر هروب القائد الكبير من سجن قسنطينة، ولم تستطع أن تخفي فرحها وشدة سرورها بهذا الحدث.

إنّها عجوز في ريف بوعريف بعيدة عن عالم الحضارة والمدنية لا تقرأ جريدة ولا تملك مذياعا ولا تلفزيونا ولا هاتفا ولا تعرف لها معنى ولا شكلا، يأتيها خبر هروب القائد ابن بولعيد من السجن فَتَتَنَفَّس الصعداء... ذلك لأنّ صدى هروبه كان عظيما، فلم يكن الاستعمار يظن أن ثلّة من المحكوم عليهم بالإعدام مجرّدون من كل وسيلة يحدثون شرخا في جدار من الخرسانة المسلحة ويبعثون الحياة في خردوات مهملة ويتمكنون من اقتحام جدار بعلو 5 م واعتلاء أسوار عالية محروسة ومدعمة بأبراج مراقبة مجهزة بأضواء كاشفة وحراسة مشدّدة ويلوذون بالفرار وعلى رأسهم مصطفى بن بولعيد المطلوب رقم 1 فيما تسميه فرنسا بأحداث الأوراس الدامية، ولو توقف الأمر هنا لهان، بل إن هذا الشخص العنيد المحكوم عليه بالمؤبد في تونس مع الأشغال الشاقة وبالإعدام مرتين في قسنطينة (الجزائر) يفر من السجن متحدّيا ويترك لفرنسا رسالة تهديد ووعيد إن هي حاولت التعرض بسوء للمساجين الذين حبستهم الإعاقة على الفرار.... ألم يأن لفرنسا أن تعلم بعد هذا كله مَنِ الرجل؟ إنه القائل (لفانسان مونتاي) الذي استنطقه مرارا لما عجزت وسائل البطش والتنكيل أن تنتزع منه الاعتراف أو توجيه نداء للثوار أو وقف القتال مع إصدار العفو. فيكون الشاهد من أهلها أصدق لسان وأبلغ بيان، فعندما سأله الرائد مونتاي كيف تنساق يا ابن بولعيد.

صورة جانبية للشهيد أثناء سجنه

مع هؤلاء الرعاة الصعاليك[1] وأنت رجل محترم وذكي وتتمتع بمكانة اجتماعية بين قومك؟ أجابه ابن بولعيد في كبرياء: «إن الهيمنة المسلّطة علينا من قبل حكومتكم لا تسمح لنا بالانتظار إلى أن يصير هؤلاء الرعاة علماء» فلم يبق لمونتاي بعد هذا إلا الإقرار بما سمع، وقد فعل.

وبقدر ما كان صدى هروبه مؤلما وموجعا للاستعمار، كان مفرحا وسارا في الأوساط الشعبية وبين المجاهدين خاصة فقد أثبت لهم قائدهم مرة أخرى تعلقه بالثورة وعدم رضوخه للعدو واستسلامه له، مهما كانت أساليب بطشه وأن الأحكام القاسية التي صدرت ضدّه لن تغيّر من موقفه شيئا ولن تُخِيفَهُ بل زادته

1) - كان الإعلام الفرنسي يصف الخارجين عن القانون بالصعاليك وهو هنا يريد تشبيه الثوار بالصعاليك لخروجهم عن قوانينه.

إصرارا وثباتا وسيظل مقاتلا مِقْداما إلى أن تتحرّر الجزائر ويندحر الاستعمار من هذه الأرض الطيبة، وراحوا ينتظرون وصوله بشغف ويترقبون ظهوره بلهفة داعين اللّه أن ييسّر له السبيل ويصرف عنه البلاء.

اجتاز البطلان جبل بوعريف خلال تلك الليلة بعد أن أخذا حاجتهما من الطعام من بيت العجوز وقبل أن ينقشع الظلام ويعم الضياء البطاح كانا قد نزلا عند سفوحه الجنوبية فاختارا مكانا آمنا وتواريا فيه النهار كلّه، ولم تكن المسافة التي تفصله عن ضيعته في تازولت حيث يقيم صهره إلّا قدر ساعات من السّير، ومع أول الليل كعادتهما انطلقا في اتجاه تازولت (لامبيز)، ولم يكد ينقضي شطر من اللّيل حتى كانا قد وصلا إلى الضيعة، فكانت المفاجأة سارّة وكان الفرح كبيرا والحديث شيّقا رغم مراررته.

غير أنّ ابن بولعيد خشي مداهمة العدو للدّار أو أن تكون الدار تحت مراقبة بعض العملاء فتعجّل الخروج منها حيث طلب من صهره أن يزوّدهما ببعض الطّعام وأن يبدل لهما لباسهما البالي ويحضر لهما مرشدا ليدلّهما على أقرب مركز للمجاهدين في النّاحية قصد الاتّصال بهم في أقرب وقت.

وقد جاء في بعض الكتب حديث نسب إلى المجاهد: محمد العيفة رفيق ابن بولعيد في هذه الرّحلة الشاقة يقول فيه: "نزلنا ضيوفا عند صهر ابن بولعيد بالضّيعة فذبح لنا خروفا وبتنا ليلتنا مختبئين عنده في زريبة الأنعام، فلما كان الصباح، وعند الضحى خرج أبناؤه يلعبون في فناء الدار فقلت له: ألا تذهب إلى أبنائك لتقبلهم وتداعبهم؟ فقال: "كلّا إنّهم صبية صغار وأخشى أن يتحدثوا بذلك إلى الناس".

هذه الحكايات وأشباهها من وحي خيال الكتاب ومن بنات أفكارهم لا يقبلها العقل ولا ترضاها الفطرة السليمة ولا يعمل بها أكثر الناس غباءا. فابن بولعيد يعرف أن فرنسا ستقلب عنه الأرض وتسقط السماء كسفا إذا عرفت مكان وجوده.

كما عبّر عن ذلك ذات مرّة حسب رواية أقرب المقربين إليه وأوثق الناس صلة به المجاهد: مصطفى بوستة. فكيف يركن إلى الرّاحة في بيت مشبوه يعرفه العدوّ قبل الصّديق، وقد كان شديد الحيطة، بالغ الحذر حتى مع تلك الزمرة من المجاهدين ممن جمعته بهم الأقدار في القاعة المدرّعة، ولم يكن يشك أبدا في وطنيتهم ولا في إخلاصهم وصدقهم، غير أنها القاعدة زمن الحرب، وخطورة الموقف يستدعي منه الإسراع في مغادرة البيت. وكان عطفه على الضيعة وزيارته لصهره مغامرة كانت تكلفه الكثير لولا رحمة من الله وفضل منه، وما كانت هذه الزيارة لتكون لولا أن الرجل وصاحبه قد بلغ بهما الجهد أقصاه. وأقرب رواية إلى التصديق وأوثقها ما رواه المجاهد: علي عداسي، وكان قد سمع ذلك من أخت الشهيد مصطفى بن بولعيد، زوج الشريف اسمائحي المقيم بضيعة ابن بولعيد، وكانت حاضرة البيت عندما دخل مصطفى أخوها البيت ليلا، حيث تقول حسب رواية: "علي عداسي" «وصل إلينا سي مصطفى بعد أن انقضى شطر من الليل والناس نيام ومعه صاحب - يتكلم العربيّة - لا نعرفه فحمدنا الله على سلامتهما وفرحنا بنجاتهما من أيدي العدو. طلب منّا مصطفى أن نعدّ لهما الطّعام واللباس، وخلال ذلك دعا صهره الشريف أن يأتي لهما بالمرشد ليدلّهما على مكان وجود المجاهدين حتى يستطيعا الوصول إليهم دون عناء».

ولم يكن من أبنائه في الدّار سوى عبد الحيّ، وكان طفلا دون السابعة من العمر فأزاح عن وجهه الغطاء وابتسم له وهو نائم، ثم أعاد الغطاء على وجهه. تجرّدا من ثياب السّجن الممزّقة التي مازالت بعض أسمالها تلف أجزاء من جسميهما، وانتظرا وصول الدليل فلما حضر غادرا الضيعة بسرعة، وماهي إلّا سويعات حتى أحاطت القوات الفرنسية بالمنزل واقتحمته كعادتها للتفتيش والاستنطاق، ويتأسف المجاهد علي عداسي أنه لم يسأل أخت الشهيد ابن بولعيد عن لباس السجن الذي تجرّدا منه في بيتها، وماذا فعلت به.

الباب الثالث

الفصل الرابع

القائد يعود

خرج الثلاثة من بيت الشريف اسمايحي صهر ابن بولعيد في اتجاه جبل أوستيلي. الدليل يتقدّم القائد ورفيقه لأنه أعلم بالمكان منهما، فهو يعرف الطريق العام، كما يعرف الطرق الفرعية والدّروب الوعرة، وحتى الممرّات والمسالك الصّعبة التي تحفّها أشجار البلوط والعرعار يعرفها.

ويعرف كذلك كلمة السرّ، فقد تعوّد الذهاب إلى المجاهدين حين تدعو الضرورة إلى ذلك. وهو يعرف كذلك كيف يتفادى الكمائن حتى لا يؤخذ على غرّة. وكيف يتفادى عيون الرقباء، كيف يضلل العملاء. ويعرف الكثير عن حياة المجاهدين أيضا. فهو مجاهد مثلهم لكنه لا يحمل السلاح ولا يقيم في الجبل بين الوحدات، فقد اختار العمل في السرّ وخارج ميدان القتال إلا إذا تفطن له العدو إثر وشاية أو ترصّد وبحث عنه، عندها يلتحق بالمجاهدين دون عناء. يقيم عادة في القرية أو في المدينة ويمارس عمله ظاهرا كبقيّة النّاس في الحقل أو في المتجر أو في البراري وهو يرعى الماشية... لكنه خلال ذلك يترصد حركة العدو من بعيد يجمع المعلومات والأخبار الهامّة عن تحرّكاته وعن نشاط العملاء، ويعمل بالتنسيق مع مناضلين آخرين على شراء الألبسة والأدوية وحاجات المجاهدين الضرورية، ويقوم بنقلها إليهم حين تحتجب الشمس ويعم الظلام. كما يتولى جمع الاشتراكات والإعانات لفائدة الثورة، ويقوم بتوزيع المنح والمساعدات على المستحقين من المواطنين... ويتّصل سرّا بعناصر أخرى ممّن يعرفون بالطابور الخامس يعملون ظاهرا مع العدوّ كمجندين لكنهم يتعاطفون مع الثورة ويقدّمون لها الدّعم المادي المتمثّل في الألبسة والذّخيرة، كما يسرّبون للمجاهدين الأخبار عن تحرّكات العدوّ وعلاقاته بعناصر مشبوهة... هو عمل في غاية الدقة والخطورة، لكنه في قمّة الشّرف والنّبل عندما يكون متّصلا بالقضية الوطنية ومن أجلها. هو عمل قد يؤدي بصاحبه إلى أشدّ العذاب وأسوإ العقاب.... متى عُرف صاحبه، لكنه لن يكون أشدّ

إيلاما من سلب الحريات وانتهاك الحرمات! وهي التي أثارت غضب المواطن وسخطه فأظهر التحدّي وأعلن العصيان والإصرار رغم المحن.

كما يمكن أن يصطحب ويدلّ بعض المناضلين ممن تفطن الاستعمار لنشاطهم السياسي في المنظمة المدنية أو وُشي بهم للالتحاق بالثورة خوفا من أن يقعوا في قبضة العدو فيكون مصيرهم الإعدام أو التعذيب والسجن.

والدليل عادة لا يسأل من يصحب فكل الوطنيين في الأمر سواء. والتزام السريّة التامّة شرط من شروط القيام بهذه المهمّة الخطيرة، فقد يكون الصاحب عنصر اتصال بين الوحدات، وقد يكون فارّا من بعض الوحدات الفرنسية أو يكون منقولا من وحدة إلى أخرى، أو في حالة إجازة أو غير ذلك...... وكل ما يهمه أن يؤدي واجبه على أكمل وجه وأتمّه....وعليه فهو لا يعلم أنّ من يصحبه هذه المرّة هو قائد عظيم أيقظ همم رجال كانت محبطة، وشحذ عزائم أبطال كانت منهارة، وبعث فيهم آمالا كادت تضيع، وجعل منهم قوة جبّارة شقّت جدار قاعة مدرّعة بنيت خصيصا لبطل مثلهم[1] وذلّلت حصون سجن منيع، فاخترقوا جدرانه وتسابقوا إلى تسلق أسواره، واندفعوا كالسيل الجارف إلى عمق هذا الوطن الجريح، حيث كتائب المجاهدين ما فتئت تردّد:

جزائرنا يا بلاد الجـــدود   نهضنا نحطم عنك القيود

ففيك برغم العدا سنسود   ونعصف بالظّلم والظّالمين

ورجع صدى جبال الأوراس الصخرية يؤكدها بأصوات متناغمة تتوالى رنّاتها إلى أن تضعف فيهتزّ لها المجاهدون طربا.

1) – يقال: إن هذه القاعة بنيت خصيصا للحاج المقراني بطل انتفاضة 1871 ويقال أيضا: إنها بنيت للشيخ الحداد.

وقد ظلّ هتافها يرن في قلب القائد في أثناء السفر فيزيده نشاطا وقوة فيجدّ في السّير منذ أن انطلق من سجن قسنطينة.

وفي جبل أوستيلي كان اليوم عظيما، واللقاء تاريخيا، جمع القائد بجنوده. فلم يكن أحد يتصور أن من حكم عليه بالإعدام، وأودع زنزانات هي أشبه بأقفاص من حديد يشق لنفسه منفذا، ويجد لها مخرجا، بواسطة مزلاج من حديد انتزع من نافذة القاعة وحجر صغير بحجم قبضة اليد، غير أنّ إرادة الرجال كانت أصلب من صخور الكدية التي بُني فوقها السجن ذاتها، وعزمهم أقوى من صليل الحديد الذي تقشعرّ لهول مسمعه الأبدان[1]، ولا عجب أن يكونوا كذلك ففي صدورهم قلوب يغمرها الإيمان الخالص بالله ربّ العالمين، وفي قلوبهم وَلَهٌ لحدّ الهيام بهذا الوطن، فقد ظلّ حسّهم الوطني يتنامى وهم داخل الزنزانات إلى أن جاء الفرج من عند الله، فأصمّ أعداءهم وأعمى أبصارهم، فخرجوا من السّجن وكلهم إصرار وعزم على مواصلة الدرب حتى النّصر، وما النّصر إلّا من عند الله.

فازداد المجاهدون ثقة بقائدهم، وإيماناً بربهم الذي أنجاه من السّجن وأحاطه بعنايته إلى أن وصل إليهم.

1) - قد لا يجد القارئ لهذا الكلام صدى في نفسه، وعليه فأنا أسوق إليه بعض الأمثلة، وهي حقائق تاريخية ثابتة، وله أن يقارن بعدها بين صلابة هؤلاء الناس وبين أي معدن شاء.
- مجاهد يتصدّى لدبابة طواعيّة متحديًا (رأس - رأس).
- إمرأة ثكلى يأتيها خبر استشهاد ابنها فتطلق من حنجرتها الجريحة زغرودة حارة - تحية إكبار وتقدير له-.
- مجاهد يواجه واقفا (على المكشوف) طائرة حربية ببندقيته الفردية (فإمّا هو وإمّا هي).
- قائد يعلن حرباً على دولة قطعت شوطاً في الأبحاث الذرية، ويُعيّن على رأس منطقة (المنطقة 5) ولا يملك من السلاح سوى مسدس 7.65 وعيارين.
- سجين كلّما ألهب الجلّادون ظهره بالسوط صرخ في وجوههم - تحيا الجزائر -.

وكان ممن لقيه في جبل أوستيلي من القادة: أخيه عمر، ومدور عزوي، والصادق شبشوب، والشائب ناجي.... وبعد فترة قصيرة من الراحة بعد العناء، وما إن استعاد بعض قوته حتى تهيّأ للقيام بجولات عديدة للوحدات والمراكز القيادية قصد تفقد أحوال المجاهدين والتقرّب منهم وتشجيعهم وتحريضهم على القتال، وهنا تتضارب الروايات وتناقض بعضها أحيانا، فبعض الرواة من المجاهدين يقولون بأنه بدأ جولته بجبل المحمل ثم جبل بني فرح فَتِقِشْوِينْ ثم جبل غسيرة فتاجموت وتاجين ثم عاد إلى أوستيلي.

وفي كل مركز من هذه المراكز كان يلتقي بعناصر من المجاهدين يلقى فيهم خطبا يحثهم فيها على الطاعة والالتزام بالنظام، ومراعاة القوانين الداخلية للوحدات، والصبر على المكاره والبأس في القتال ضدّ عدوّهم.

وهناك رواية أخرى تقول بأنه ما إن استعاد قوته حتى تأهب للذهاب إلى كيمل حيث مركز قيادة الثورة لمقابلة عاجل عجول ثاني اثنين بقيا من القيادة الثلاثية التي استخلفها لقيادة الثورة تحت إشراف شيحاني بشير الذي أعدم بمدة قصيرة سبقت فرار ابن بولعيد من السّجن. وأُرَجّحُ أن تكون الرواية الثانية أصح لأن الرجل ما إن يشعر بإعدام شيحاني بشير الذي اختاره خليفة له على شؤون الثورة في الأوراس، وشغور منصب القيادة حتى يتأكد من وجود خلاف بل خلل وصراع على مستوى قيادة الأركان - وكان قد علم بوجود بوادر هذا الخلاف من قبل المحامي: العمراني، فحزّ هذا في نفسه وهو في السجن، وعزّ عليه أن يتقاتل مناضلون مخلصون أفنوا شبابهم في النّضال من أجل القضية الوطنية - والأولى به أن يعجّل الاتّصال بمركز القيادة وأن يقابل المسؤولين المستخلفين لحصر أسباب الخلاف، وأن يدعو عناصر القيادة إلى الاجتماع بسرعة لمعالجة المستجدات وتجنب الانقسامات المحتملة والتصلب في المواقف والاستبداد بالرأي والتنكر للرأي الآخر ولو كان صوابا، فالثورة قضية الجميع.

ويقول المجاهد مصطفى بوستة في حوار له مع جمعية أول نوفمبر للتراث والتاريخ: بأن عاجل عجول ومحمد بن مسعود بلقاسمي: منعاه من الإشراف وممارسة العمل القيادي وزعما أنه كان قد سَنَّ قانونا كتبه بنفسه قبل السّفر على أنّ كلّ جنديّ يفر من بين صفوف العدو يظل تحت المراقبة والاختبار مدة أربعة أشهر، وكل مسؤول يفر من بين قوات العدو يبقى تحت المراقبة والاختبار مدة ستة أشهر. كما تحدثت روايات أخرى عن وجود مراسلات بين هذين العنصرين القياديين وبين مسؤولي النواحي لمنع ابن بولعيد من ممارسة نشاطه كقائد للثورة، وأحاديث أخرى في الموضوع. غير أنّ لا أحد من هؤلاء تجرّأ وحاول منعه من الحركة والاتصال بالوحدات وإعطاء التعليمات وإلقاء الخطب والقيام بتفقد المراكز، وكان بإمكانهم أن يفعلوا ذلك، لولا أنه كان محوطا بنواة صلبة وحراسة قوية تليق بزعيم مثله، وما كان يتمتع به من ثقة في أوساط المجاهدين تفوق كل تقدير، سمعة طيبة ورصيد نضالي ضخم، لا ينافسه فيه منافس..... ولا نعلم أن في الرعيل الأوّل من المجاهدين ممن تعلموا أبجديات النضال على يَدَيْه من ينسب إليه الخيانة أو يتجرأ على أن يناله بسوء، وهو الذي تجشّم الأخطار وركب الأهوال، وصال وجال في ربوع هذا الوطن وخارجه من أجل إنقاذ الجزائر. وضع ممتلكاته في خدمة القضية الوطنية، فلما نفد ماله، واشتدت حاجة الحركة إلى السلاح، رهن تلك الممتلكات ليشتري بثمنها السّلاح للثورة. فهل بعد هذه المكرمة مكارم؟

غير أنّ لذّة الإشراف وحب الزّعامة والتسيير فعلا ما فعلا خلال فترة غيابه، فراح بعضهم يعتدّ بثقافته والبعض بعدته وعدده والبعض الآخر بحسبه ونسبه، وبدأ التطاول على حساب المصلحة العليا للثورة وغاب التعقل الذي يعدّ المؤشر الراجح في التسيير. فاختل أمر القيادة وانفرط العقد أو كاد.

ويقول عبد الوهاب عثماني، وكان يومها قائد ناحية وهو ممن عاشوا الحدث: "إن ابن بولعيد ذهب رفقة عاجل عجول إلى حمّام شابورة – وهي

محطة معدنية وسط غابات كيمل - حيث وجد في استقباله هناك جيوشا كثيرة من المجاهدين قدمت من عدة جهات، حيث أقاموا له احتفالا رائعا عبّروا من خلاله عن فرحتهم بعودته إلى قيادة الثورة من جديد، كما عبّر القائد في خطابه عن سروره بما شاهده من تطور في العدد وفي التنظيم والتسليح".

راح بعدها يتنقل من مكان إلى مكان يزور المجاهدين في مواقعهم يشجعهم ويثني على المقاتلين منهم، وحدث أن زار قاعدة ناحية أحمر خدو حيث وجد هناك محمد بن مسعود بلقاسمي قائد ناحية فأظهر له نوعاً من الفتور في الاستقبال بل وطلب منه الذهاب إلى الإدارة للنظر في شأنه تطبيقا لما كان قد سنّه بنفسه من قوانين ونظم يوضع الفارّ بمقتضاها تحت الرّقابة والاختبار مدة ستة أشهر كاملة. فغادر أحمر خدو وذهب إلى تاجموت مرة أخرى وتاجين، فالجبل الأزرق ومنه عاد إلى أوستيلي الذي حلّ به أوّل مرة.

وقد أظهر ابن بولعيد خلال هذه الزيارات مرونة كبيرة وتحلّى بالتجلّد وبالحكمة والصّبر مع هؤلاء المسؤولين ممن كانوا يقابلونه بالجفاء والإعراض ومن كانوا يطلبون منه البقاء خارج السلطة، فلم يؤنّب ولم يُقل ولم يفصل ولم يُحوّل أحدا، حيثما حلّ حفاظا على المصلحة العليا للثورة أوّلا وأخيرا.

وظلّ يتردّد على الوحدات يدرس قضايا المجاهدين ويشجّعهم ويرفع من معنوياتهم القتالية.........................

وعندي أنّ مسؤولية الإدارة كما كانت تسمّى أصبحت معنوية أكثر ممّا هي تنفيذية، ولم تعد لها سلطة مباشرة وفعلية على قادة النواحي وبالتالي على الوحدات الميدانية بعد إلقاء القبض على ابن بولعيد بمدة قصيرة، وقد تضرّرت كثيرا من الناحية المعنوية وتضعضعت بصورة أكثر بعد إعدام شيحاني بشير الذي خلف ابن بولعيد في قيادة الثورة في الأوراس. وانزواء عباس لغرور في ناحية القلعة بسبب إصابته بجروح أو لأسباب أخرى وانتقال بعض المسؤولين من قيادة الأركان إلى الناحية الغربية من الأوراس والاستقرار بها حتى لم يبق

من قيادة الأركان التي كانت تتكون من ستة أشخاص كمجلس للشورى ومقرها بكيمل إلا عاجل عجول... والسؤال الذي يتبادر إلى كلّ ذهن. هل كان بإمكان عاجل عجول أن يدير شؤون الثورة من كيمل في مثل هذه الأوضاع وحده؟ وهل كان يتمتع بقدر من الاحترام في أوساط المجاهدين، وبين قادة النواحي يسمح له بإصدار: مقررات.... إعفاءات.... أوامر... تعيينات..... تحويلات..... ترقيات..... تكون محل احترام وتنفيذ من قبل قادة النواحي؟ وهل كان بإمكانه أن يلزم قادة النواحي، ورؤساء الأفواج بصفته تلك بتنفيذ هذه المقررات والعمل بها دون الحاجة إلى وجود قيادة جماعية أو شخصية ذات وزن سياسيّ ثقيل كالذي كان عليه ابن بولعيد؟ وهل كان بإمكانه أن يرمّم هذا الصدع الذي حصل بعد غياب ابن بولعيد حتّى لا يستفحل أمره؟ ألا يرى أن إبعاد ابن بولعيد عن قيادة الثورة يؤدي بدوره إلى انقسامات تكون أخطر من تلك التي عرفتها في غيابه؟

إن الإجابة عن كل هذه الأسئلة لا تحتاج إلى تحليل عميق للأوضاع فقد طفت كالقشة فوق الماء، وعاجل عجول - رحمه الله - كان يعلم ذلك فهو شخصية مرموقة لها وزنها السياسي قبل الثورة وخلال سنواتها الأولى، شارك في التظيم على المستوى المحلي، وساهم في تهريب الأسلحة من جربه بتونس، كما قام بدور لا يستهان به في توعية الجماهير قبل اندلاع الثورة المسلّحة وفي الأحداث الأولى للثورة، غير أن ذلك كان يوم وهذا يوم.

فقد شعر بضعف سلطته وتضعضع مركز القيادة بصفة عامّة واهتزاز الثقة بين القيادة وقادة النواحي، وبدأ مؤشر التناوش يلوح في الأفق. ولم تعد هناك قيادة جماعية، كما كان عليه الحال قبل سفر ابن بولعيد إلى تونس.

شيحاني بشير أعدم، عباس لغرور انزوى في ناحية القلعة، مدور عزوي انتقل إلى الجهة الغربية واستقرّ في جبل أوستيلي. مصطفى بوستة انزوى في الهارة. ولم يبق في مركز القيادة سوى عاجل عجول، مسؤول بلا سلطة وقائد بلا جيوش.

فما أحوج الثورة في هذا الوقت بالذات إلى رجل إجماع يعيد ترتيب بيت الثورة من جديد ويجدد الثقة بين المسؤولين على كلّ المستويات؟! فكانت لقاءات ابن بولعيد في كلّ المراكز التي حلّ بها في أوستيلي في كيمل في حمام شابورة، تاجموت، الجبل الأزرق، تاجين. تصب في هذا الاتجاه وتهدف إلى ذات القصد.

غير أنّ الذي لا نجد له تفسيرا هو ما أبداه بعض القياديّين ممّن كانوا يرفضون تسليم السّلطة لابن بولعيد ومنهم عاجل عجول ذاته من المطاوعة إذ كانوا يسيرون في موكبه حيثما حلّ يحضرون معه الاجتماعات ويستمعون إلى التوجيهات، بل ويَتلقّوْن منه الأوامر والتعليمات ويقومون بتنفيذها، ولم يبدو مالهم من محيص!.

المعروف عن ابن بولعيد أنه كان لا يلزم غيره بأكثر مما كان يلزم به نفسه، فقد سنّ قانونا ولم يستثن أحدا، ولم يقل: إن العظماء فوق القانون على قاعدة الأنظمة التسلطية، فقد عوّدنا في كثير من المناسبات أنّه كان شديد الصرامة على نفسه وعلى ذويه. - حرم نفسه لذّة النّوم في الفنادق رغم سعة ذات يده خلال تحرّكاته وتنقلّاته المستمرّة في إطار النشاطات الحزبيّة فكأن الرّجل كان يعدّ نفسه ليوم عصيب.

- أقلع عن التدخين بمجرّد أن انتسب إلى اللجنة الدينية.

- يناوب الجند في الحراسة ولا يترك ذلك إلا بعد إلحاح، ويقوم بكلّ الأعمال التي تخصّه بنفسه.

- شارك السجناء في عملية حفر النّفق ولم يجعل لنفسه فضلا على أحد.

- كان كلّما أبلغ عن أخيه عمر شيئا يقول: اعتبروه ضيفا على الثورة.

وقد أظهر طوال هذه المدّة مع مساعديه ليونة أكسبته مزيدا من الاحترام وأكّدت أهليته للقيادة في أيام المحن. ولم يقل خلاف ما قال به مساعدوه، ولو كان ثمة قائد إجماع بديل يحافظ على استمرارية الثورة بل ويجدّد نَفَسَهَا كلّ حين لرأيناه مرابطا في الخندق وسط الجند محاربا ومجاهدا في سبيل اللّه مقتديا في ذلك بالقائد: خالد بن الوليد، حين عزله أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب رضي اللّه عنهما في فتوحات الشام، وعين مكانه عبيدة بن الجراح رضي اللّه عنه، فأخفى خالد ذلك على الجند والمعركة على أشدّها فسلّ سيفه واندسّ بين المجاهدين مقاتلا في سبيل اللّه. - غير أن الوقت كالسيف إن لم يقطعه الإنسان قطعه هو. كما يقول المثل، فليس لابن بولعيد أن ينتظر انقضاء مدّة قانون الاختبار والأمر على ما هو عليه، وقد يزداد سوءا وتعمّ الفوضى الجيوش إذا لم يتدارك الوضع ولم يتحرّك بسرعة، فكان عليه أن يزور مقرّات القيادات الثابتة ومراكز ومواقع الجند المختلفة وأن يتصل بالمسؤولين في مختلف النواحي للاطلاع على المستجدات ودراسة الأوضاع عن كثب، مثل: التسليح، التموين، التجنيد، العلاج، حركة الجند، التوعية، مواجهة مخططات العدو، توسيع نطاق العمليات القتالية، الاستخبارات.

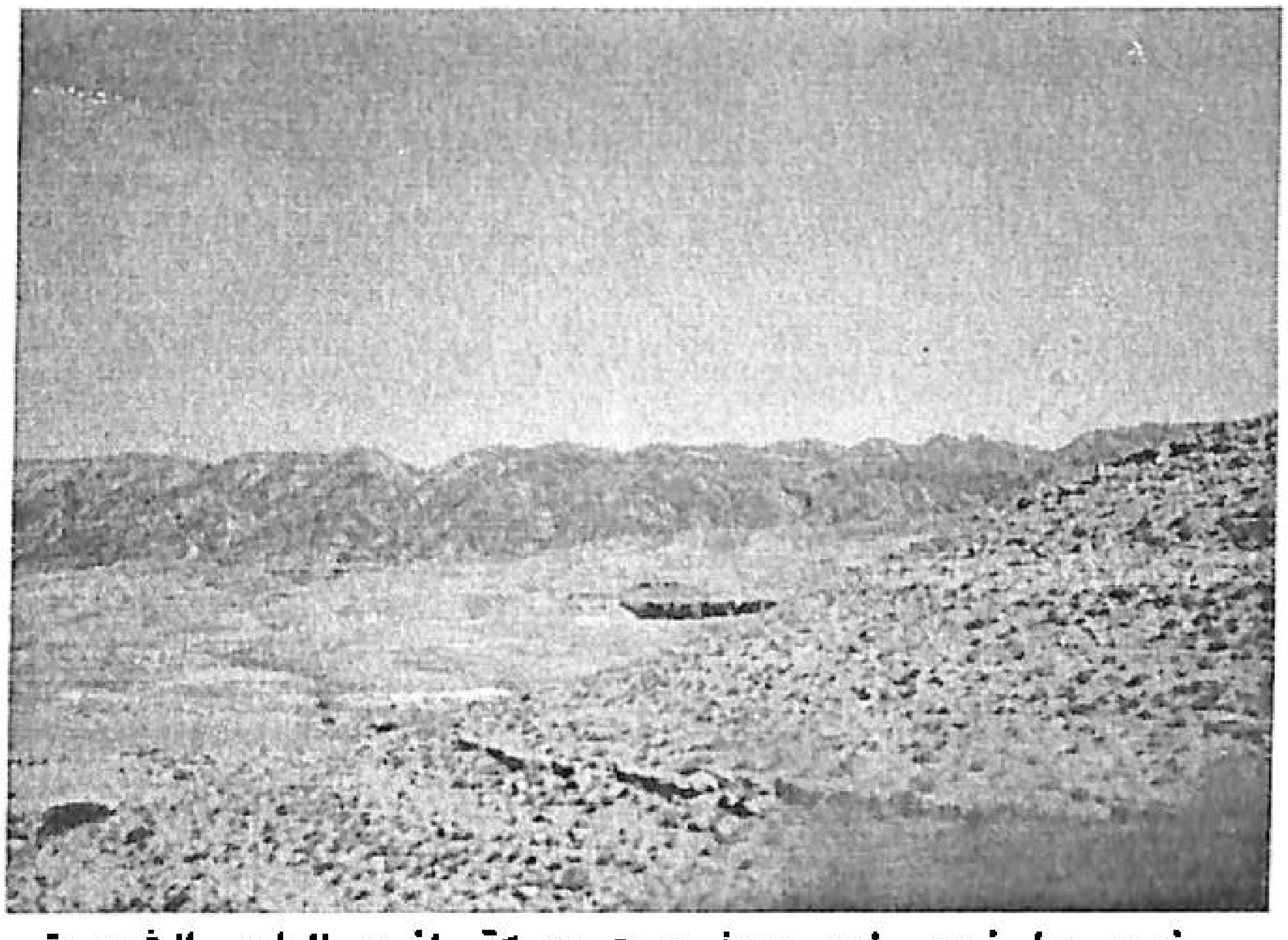

سفوح جبل أحمر خدو حيث جرت معركة «إفري البلح» الشهيرة

معركة إفري البلح

وخلال تنقلاته من مركز إلى مركز وعند محاولته عبور الوادي الأبيض بتاريخ 13- 1 - 1956م، وقريبا من قرية غوفي السياحية تمكّنت وحدة من وحدات الرصّد للعدو من اكتشاف ورصد تحرّك عدد كبير من المجاهدين يقارب 280 مجاهدا عبر السّفوح والتّلال انطلاقا من جبل أحمر خدّو، فأشعرت بذلك مركز قيادتها في الثكنة، فكان من الطبيعي أن يستنجد مركز القيادة بالطيران العسكري ليضعف هذه القوة ويشتت شملها فيسهل بعدها على القوات البرية مهاجمتها والانقضاض عليها، وبمجرد أن حدد الطيران مواقع المجاهدين في نطاق جغرافي محصور بين ضفة الوادي الأبيض شرقا وسفوح جبل أحمر خدو غربا حتى بدأ قصفه المركّز لمقدمة ومؤخّرة هذه الوحدات حتى تتمكّن القوات البريّة من محاصرتها، وللمواقع الحصينة فيه وللكهوف والمغارات وللقمم والمرتفعات، وفي كل مكان يعتقد تواجد المجاهدين وتمركزهم فيه، قصد إرباكهم والتأثير على معنوياتهم القتالية بل وقتل الكثير منهم ومنعهم من التخندق لمواجهة الجيوش المهاجمة. وقبل أن يرتفع غبار القصف وتتضح الرؤيا كانت الدبّابات ومدفعية الميدان قد شرعت في القصف من الضفة الأخرى للوادي قصفا شديدا متواصلا، حولت أرض المعركة إلى جحيم، غير أن ابن بولعيد وقادة كثيرين معه هذه المرة كانوا قد أفلحوا في توزيع خيرة المقاتلين على نقاط تمنع تقدم العدو وتحول دون تطويقهم من جهة، ومن تفادي أكبر قدر من الخسائر في الأرواح في حال وصول العدو إلى قلب المعركة من جهة ثانية.

وكان من بين القادة الذين حضروا هذه المعركة مع مصطفى بن بولعيد، محمد بن مسعود بلقاسمي، علي بلحاج، بلقاسم جديدي، مصطفى بوستة، مدور عزوي، عمر إدريس.... فخاض هؤلاء الأبطال ومعهم تلك الفئة المؤمنة الصابرة معركة ضارية، اختلط فيها أزيز الطيران وانفجارات القنابل بتكبيرات

المجاهدين وهتافاتهم في قمم الروابي وبين الصخور متحدّين كلّ وسائل الدّمار التي جلبها الاستعمار، وهم يعلمون أن ثمن السيادة لن يكون رخيصا، وأن الحرية تأتي بعد المحن، وأن النصر من عند اللّه يؤتيه من يشاء. فسالت الدماء أودية زادت من حمرة تلك البراري وألهبت الحماس في نفوس المجاهدين وهيّجتهم للاستبسال في القتال وطلب الموت الشريف. فتعالت الصيحات في كلّ واد، والهتافات من كلّ رابية تحيّي المجاهدين الصامدين الصابرين وتَعِدُهُمْ بالنّصر المبين.

وانجلت المعركة بعد يومين من القتال الضاري عن سقوط ثلاثين شهيدا في ميدان الشرف وحوالي خمسة عشر شهيدا مدنيا بينما سقط من جانب العدو حوالي ستين قتيلا وخمسين جريحا[1].

وبعد أربعة أيام فقط من تلك المعركة أي بتاريخ 18 - 1 - 1956م وقعت معركة أخرى في غار علي بن عيسى غير بعيد عن ذلك المكان الذي دارت فيه المعركة الأولى وهي لا تقل ضراوة عن سابقتها. وقد دامت أربع عشرة ساعة. أشرف عليها كل من: مصطفى بن بولعيد ومحمد بن مسعود بلقاسمي، وشارك فيها حوالي 160 مجاهدا، أمّا من جانب العدوّ فقد تدفّقت قوات كبيرة فاقت الألف عسكري معززة بالطيران وبمدفعية الميدان وقد حاولت القوات الفرنسية تطويق المجاهدين وتجميعهم في حيّز ضيق يسمح للطيران بقنبلة المكان وإيقاع أكبر قدر من الخسائر في صفوف الثوار، فلم تفلح وقد أبلى المجاهدون في هذه المعركة بلاء حسنا واستطاعوا فك الحصار المضروب على ساحة المعركة واختراق خطوط العدوّ في عدّة نقاط وكسر الطّوق من حولهم وانسحبوا تباعا إلى غابة مزبال على مشارف غابة كيمل المعقل الحصين للثورة وملاذ الثوار.

1) - عن التقرير الجهوي المقدم للملتقى الثالث لكتابة تاريخ الثورة المنعقد بباتنة.

اجتماع وادي عطاف

ولما أحاط القائد بالأوضاع السياسية والأمنية في الأوراس بصفة خاصّة دعا إلى اجتماع عام لمسؤولي النّاحية الشرقية للأوراس - النمامشة في وادي عطاف جنوب غابة بني ملول، وقد أشرف بنفسه على هذا الاجتماع طوال أيام 11 - 12 - 13 مارس 1956م، وقد حضره كل من عاجل عجول، مصطفى بوستة، التيجاني عثماني، عمار بن شائبة، الوردي قتال، سيدي حني، عبد الوهاب عثماني، ممثلين عن كل من: آريس، كيمل، خنشلة، تبسة، سوق أهراس. بالإضافة إلى قادة آخرين مثل: تاج الدين، الهادي عمراني، عبد الحفيظ السوفي، أنواورية عبد الله، جبار عمر. وقد ضمّ جدول أعمال هذا الاجتماع نقاط مختلفة منها:

أ) - تقويم الوضع العام بعد ما يقرب من سنة ونصف سنة من اندلاع الثورة

ب) - دراسة الوضع السّياسي والتنظيمي والعسكري لكل ناحية على حدة لاختلاف الخصوصيات بين منطقة ومنطقة.

ج) - إعادة النظر في التقطيع الجغرافي للنواحي قصد إعطاء نفس جديد للثورة

د) - نقاط متفرقة تتعلق: بالتسليح، التموين، الاشتراكات، رواتب الجند، المنح، التوعية السياسية في أوساط الشعب، الاستخبارات....

وقدمت لقائد الثورة تقارير مفصّلة في الموضوع.

وقد تغيّب عن حضور الاجتماع، القائد: عباس لغرور، وذلك بسبب إعدامه لشيحاني بشير، كما تقول بعض الروايات. أو كان ذلك بسبب إصابته بجروح في إحدى المعارك مازالت لم تندمل بعد. وقد عرف بجسارته وشدّة بأسه واستبساله في القتال، فكان يخوض المعارك جنديّا وقائدا لا ترهبه كثرة عساكر العدو ولا قوة آلياته.

وبعد دراسة التقارير التقويمية طوال فترة غياب ابن بولعيد، تم إعداد توصيات عامة تتماشى مع المتغيرات السياسية والتطوّرات الحاصلة على المستويين السياسي والعسكري، كما أعيد الاعتبار لقائد الثورة في الأوراس مصطفى بن بولعيد بعد الذي حدث من اعتقاله في تونس وإصدار ثلاثة أحكام ضدّه، أخفها كان الحكم بالمؤبّد مع الأشغال الشاقة، وفراره من سجن قسنطينة المدني مع عشرة مجاهدين حكم عليهم بالإعدام مثله والتحاقه من جديد بالثورة.

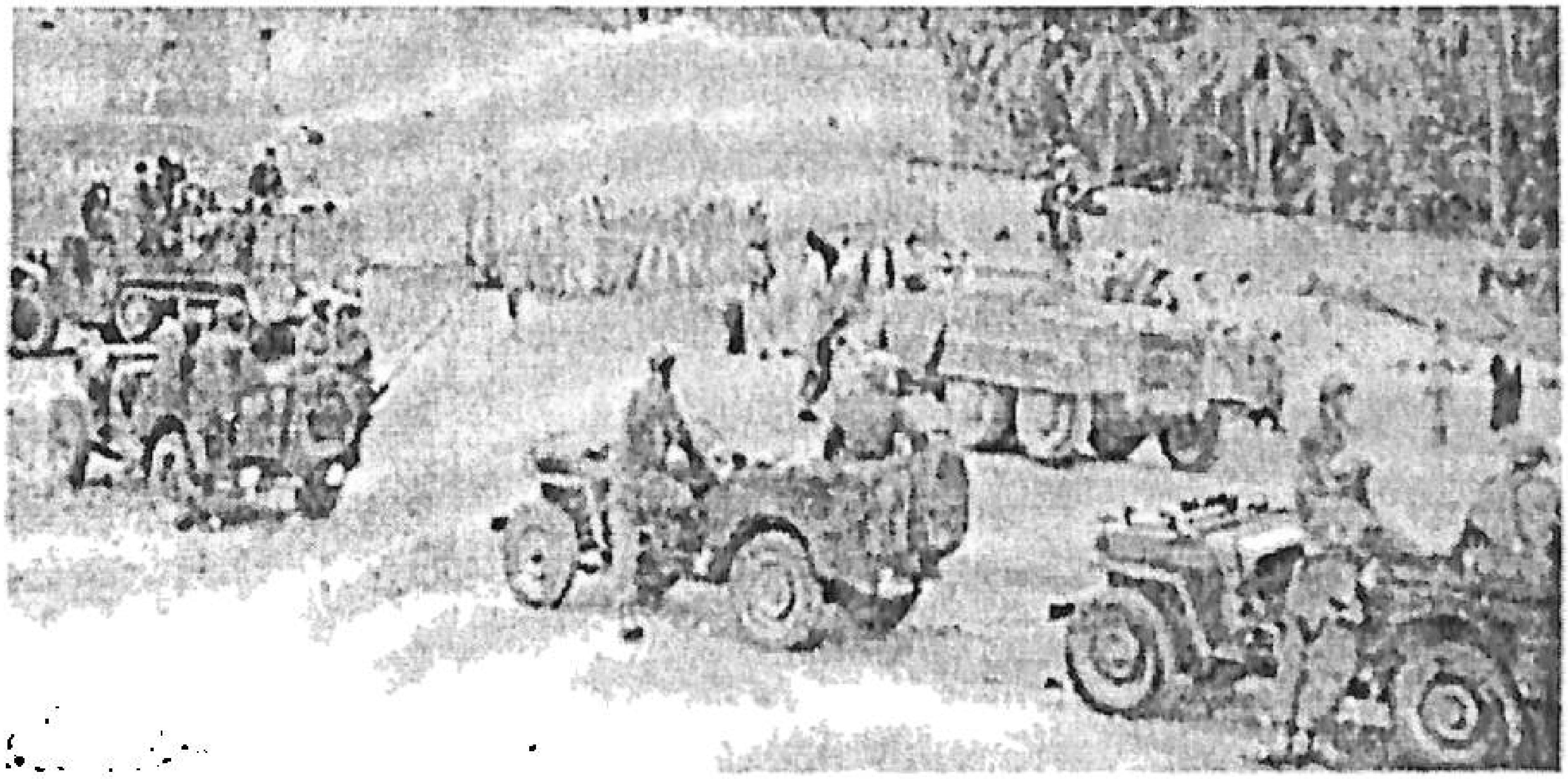

عملية "فيرونيك" بالأوراس سنة 1955
قوات فرنسية بقرية "امشونش"

مقولة إعادة الاعتبار

وقد جاريت أولئك الذين كتبوا عن سيرة ابن بولعيد الذاتية وعن نضاله السياسي ونشاطه العسكري في استعمال عبارة "**إعادة الاعتبار**" وفي نفسي شيء مما تفيده هذه العبارة، واستعمالي لها إنما جاء من أجل التعليق عليها، لأنّها وُضعت في غير موضعها، وهي لا ترفع من شأن الزعيم بقدر ما تحط من قَدْرِه وتكون فرصة لأحباب الكولون ممن مردوا على النفاق ليخوضوا ويلعبوا بتاريخ هذه الأمّة وبرموزها الأعلام..... فماذا يراد أوّلا بعبارة إعادة الاعتبار؟ هل يعني أن الرجل قد تاب بعد معصية وإثبات تهمة الخيانة في شخصه؟ أم يعني فقدانه لأهلية قيادة الثورة؟ أم هي ألفاظ مجردة وعبارات جوفاء وضعت من أجل ملء فراغ لا غير؟ فمتى فقد ابن بولعيد الاعتبار حتى يعاد إليه في اجتماع موسّع ضمّ خيرة مناضلي وروّاد الحركة الوطنية في الأوراس التي غادرها منذ عشرة أشهر قضاها في السجن بين تونس وقسنطينة؟ هل كان ذلك بسبب التهم الموجّهة إليه من قبل السلطة الاستعمارية الحاكمة في تونس وأكّدتها بحكم قاس مدته طول العمر مع الأشغال الشاقة؟ أم كان ذلك بسبب التهم التي وجهتها له وجوه أخرى من نفس السلطة بقسنطينة ووقّعتها بحكمين متتاليين بالإعدام؟ وتهم أخرى في الانتظار، فهل يجوز أن ينقلب هذا الذي ملأ صيته ونضاله الآفاق على عقبيه بمجرد إشارة كالتي تصدر من المدرب إلى الجندي (الخلف در)؟! وهل يعقل أن يكون عدوّا للاستعمار وعدوّا للثوّار في آن واحد؟ هل صدر منه تصريح في الجرائد المكتوبة أو عبر الشاشات أو الإذاعات المسموعة يسيء للثورة؟ ولقد حاول عتاة الاستعمار أن يحصلوا منه علي ذلك فكان رده قاسيا" "لو أستطيع أن أعيدها (ويعني الثورة) لأعدتها". هل يدلّ هذا الكلام على أن الرجل قد شعر بالنّدم أو أصيب بخيبة أمل، وهو الآن يطلب الصّفح ويريد العفو؟..... كلا إنّه كلام صريح واضح لا يشوبه غموض ولا يعتريه خوف، نابع من قناعة مطلقة وعقيدة ترسّخت في أعماق الرجل من سنين، ونفس مؤمنة راضية بما فعلت تواقة إلى المجد تعشق الحرية وتنشد الكرامة وترفض العبوديّة

وتمقت الذلّ، ولقد أطلق بعده سراح مآت من المجاهدين من السجون فعاد بعضهم إلى الحياة المدنية والتحق البعض الآخر بالثورة مرة ثانية، كما استطاع آخرون الفرار من السجون أو في أثناء خرجات مع وحدات العدو في عمليات تمشيط أو مراقبة أو حراسة قوافل، وقد جرى استقبال هؤلاء استقبال الأبطال وأُدمِجوا، في صفوف الثورة. وما علمنا أن أحدا من هؤلاء طرد أو أُعدم. عدا أولئك الذين ضل بهم السبيل وتاهوا الطريق فآمنوا ثم كفروا ثم آمنوا..... التحقوا بالثورة ثم ارتدوا ثم عادوا إلى الثورة من جديد، فهؤلاء سرعان ما كان النظام يتخلص منهم لعدم إخلاص نيّتهم وصدق وطنيّتهم.... غير أني لا أنكر أن يكون لاستخبارات العدوّ ضلع في تحرير بعض السجناء وتكليفهم بمهام قصد اختراق صفوف المجاهدين بواسطة أشخاص عملاء سواء كان هؤلاء الأشخاص جزائريين أم كانوا أجانب على غرار ما حدث مع جنود ألمان أو إسبان أو طليان، كما يزعمون عاشوا مع الثورة وبين الثوار شهورا بل سنين وشهد بعضهم الاستقلال. بينما عاد بعضهم بعد مدة إلى وحدات الجيش الفرنسي بعد أن عرف الكثير عن حياة المجاهدين في الجبل وعرف مراكز التموين وطرق الإمداد ووسائله ونظام حياتهم وتسليحهم وانضباطهم وقدراتهم القتالية بصفة عامة، وهي نقاط في غاية الأهمّية بالنسبة لمصالح الاستخبارات الاستعمارية التي ستتولى تحليلها واستغلالها في نشاطاتها اليومية، وهذه الظاهرة ليست جديدة عنا[1].

وليس لنا أن نؤكّد أو ننفي انتماء هؤلاء المغامرين أو مدى إخلاصهم وتعاطفهم مع القضية الوطنية من خلال الأفعال والسلوكات الظاهرة وحدها أو حتى من خلال

1) - فقصة سيمون دانسر الضابط الفلاماني البلجيكي اليهودي الذي أعلن إسلامه وجاء إلى الجزائر سنة 1606 وسمى نفسه مراد رايس عمل 3 سنوات في البحرية الجزائرية كضابط ولما أحاط بجميع الأسرار فر إلى فرنسا ومعه مدفعين برونزيين.. فكانت بداية الأزمة بين الجزائر وفرنسا معروفة.. كما أن قصة ليون روش الذي أوفدته الحكومة الفرنسية تحت غطاء الإسلام فقر به الأمير عبد القادر إليه وزوجه بنت وزير البحرية وجعله أمين سره، زار خلال ذلك عدة بلدان مشرقية واستصدر فتاوي تخدم الاستعمار غير خافية كذلك.

التصريحات اللفظية التي كانوا يُدْلُون بها. فهذا الأمر متروك لأجهزة المخابرات المؤهّلة والمكوّنة خصيصا في هذا الميدان وهي وحدها القادرة على التأكّد من هويّة هؤلاء الأشخاص، وكم كانت هذه الأجهزة بعيدة عن وحدات المجاهدين! فقد كان لها مركز بطرابلس - بليبيا - وآخر بالكاف -بتونس-، ومع ضعف وسائل الاتصال وصعوبة اجتياز الحدود لإخطار هذه المراكز، فلا حيلة للمجاهدين في الداخل إلا التعايش مع الوضع بحلوه ومرّه... فحسب إحصائية دقيقة نشرتها مجلة أول نوفمبر في عددها رقم 42 لسنة 1980م، الصفحة 26. تحت عنوان: "من أرشيف الثورة" فإن 3310 جنود من اللّفيف الأجنبي قد فروا إلى جنود جيش التحرير الوطني من 1954م إلى تاريخ 23 - 7 - 1960م في الولايتين الخامسة والسادسة وحدهما، وكلهم أوروبيون ماعدا كوري واحد وخمسة أمريكيين، من بينهم 2082 ألماني و489 إسباني و447 إيطالي، والباقي موزعون بين الدول الأوربية. ومدى صحة هذه الأرقام أو عدم صحتها يهم الناشر، غير أن ثلاثة من هؤلاء ما فتئ المجاهدون يذكرون أسماءهم منهم: سليمان الألماني، وقد استشهد وعليّ الألماني، وقد عاش إلى أن شهد الاستقلال - وهذان كانا في الولاية الأولى المنطقة الثانية - و(ڤاڤا) الإيطالي -وكلمة (ڤاڤا) استعارة محلية وليست الاسم الشخصي له. وهذا الأخير أنموذج مما ذكرنا سابقا. فقد فر من مركز تيفلفال بالولاية السادسة سنة 1957م، واتصل بالمجاهدين في "أحمر خدو" وعمل تحت قيادة: رمضان حسوني مسؤول قسمة مدة شهرين كاملين تنقل خلالها بين عدة مراكز للمجاهدين وسط الحصنين المنيعين: "أحمر خدو" و"الجبل الأزرق". كما زار بعض مراكز التموين مع المجاهدين حتى ألَمَّ بكثير من أسرار الثورة وعرف الكثير عن حياة المجاهدين في الجبال عن تنقلاتهم، عن مراكز تموينهم عن انضباطهم، عن تسليحهم، عن قدراتهم القتالية، فعاد بكل ذلك إلى مركز غوفي للاستعمار، فكان أول ما عمل أن دلّهم على دار يتردّدون عليها للإطعام والتموين وأرشدهم إلى بعض الشباب ممن كانوا يرتادون المركز بانتظام لخدمة المجاهدين فكان مصيرهم الموت(1).

1) - رواية المجاهد: علي مزياني "عمل في نفس المنطقة".

ولا أنكر كذلك وجود أشخاص جزائريين خلطوا عملا صالحا وآخر سيّئا، انتسبوا إلى الثورة ثم فروا إلى العدو وأخلصوا في خدمته حيث كانوا يتزيّون بزيّ المجاهدين، يلبسون جلاليب مثلهم ويتعمّمون بعمائم أو قبّعات مثل التي عرفوها عند الثوار، ويتظاهرون بأنهم منهم يمشون في جماعات قليلة ويترصدون الجماعات القليلة كعناصر الاتصال والمستفيدين من الإجازات والمكلفين بالتموين والشؤون السياسية فيقتلون ويأسرون. فهؤلاء هم الأخسرون أعمالا، ضل سعيهم وحبطت أعمالهم جزاء ردّتهم وخيانتهم.

وشبيه بهؤلاء ما عرف بـ "مؤامرة الزرق" في الولايتين الثالثة والرابعة سنتي 58 - 1959م.

ولم تكن أجهزة الاستخبارات خلال تلك الفترة قادرة على الكشف عن هوية هؤلاء الفارين ولو كان عددهم دون ما جاء في مجلة أول نوفمبر العدد 42 الآنف الذكر بكثير، ومصالحها موجودة خارج الوطن بعيدة عن ميدان المعركة (قاعدة في طرابلس، وأخرى بالكاف). ولا بد من التسليم بوجود هذه الظاهرة في كل العصور، في زمن الحرب، وفي زمن السلم، وقد جرى تكوين عناصر من جبهة التحرير الوطني في هذا المجال[1] في مصر آنذاك أثبتت ألمعيتها وقدرتها على التحرّك في هذا النوع من الحرب، غير أنّ جل نشاطها مارسته خارج حلبة الصراع.

فالتعرف على العناصر المندسة ليس أمرا هيّنا ولا يتم عن طريق الظن والاعتقاد والشك والاحتمال وأفعال المقاربة الأخرى، لكنّه يتم عن طريق الاتصال والتعامل مع أجهزة أخرى في هذه الدول أو بين معسكرات العدو، فهي وحدها القادرة على جمع المعلومات الضرورية وتأكيدها أو نَفْيِها بالدليل القاطع، وقد أنشأ جهاز الاستخبارات خلال الثورة مصلحة عرفت باسم "مصلحة اليقظة والاستخبارات المضادة، ومن مهامها الكشف عن مثل هذه الحالات".

1) - مجال الاستخبارات والاستخبارات المضادة.

ومن الخطلِ الاعتقاد بأنّ فرنسا لم تصب بخيبة بل بصدمة قوية إثر فرار ابن بولعيد من السجن مع عشرة من المحكوم عليهم بالإعدام مثله، وللتخفيف من هول هذه الصدمة وقصد إثارة الشكوك وزرع البلبلة وانعدام الثقة في أوساط المجاهدين راحت تنفث هذه السموم وتبث أخبارا بواسطة عملائها مفادها أنّ المخابرات الفرنسية هي التي أطلقت سراحه مقابل وعود كان قد تعهّد بها لإجهاض الثورة في الأوراس، فانتشرت هذه الشائعات في بعض الأوساط انتشار السمّ في الجسم وبخاصة بين أولئك الذين كانوا كلّما دعوا للعمل المسلّح قالوا: إن البقر تشابه علينا وإنّا إن شاء اللّه لمهتدون! يتأرجحون بين الولاء للثورة والتقرب من الحكام. وهذا ما كانت تهدف إليه الأجهزة التي أطلقت الشائعة. ولا يخفى ما للشائعات الهدّامة من أثر سلبي على سير الأحداث عموما وعلى نفسيات المقاتلين خلال الحرب خصوصا لا سيما إذا كانت القدرة على التحليل والتعليل وصياغة فرضيات بين عناصره ضعيفة ويقتصر دور هذه العناصر على النقل الحرفي أو تزيد، والإشاعات الكاذبة عادة أسرع انتشارا وأكثر رواجا وتقبلا من الإشاعات الصحيحة في كل المجتمعات، وهذا ما حصل في قضية هروب ابن بولعيد من السجن... وابن بولعيد وهؤلاء المغامرون الذين يتاجرون بالموت ليسوا سواء ووجه المقارنة بين وطنيته وخيانتهم وزهده في ماله لصالح القضية الوطنية وجشع هؤلاء الضالين وطمعهم في الدنيا لا يصح إطلاقا وشتّان بين الثّرى والثريّا، فقد أقبلت عنه الدّنيا وهو في ريعان الشباب فأعرض عنها وفضّل المصلحة العليا على المصلحة الدنيا. عُرضت عليه مناصب وامتيازات من قبل الاستعمار فَتنزّه عنها. طلب منه بعض القادة نقل أبنائه إلى خارج الوطن قبل اندلاع الثّورة بأسابيع قليلة فغضب من هذا الاقتراح، وقال: [**لن أخون هذا الشعب إذا قُدّر له أن يموت فليموتوا معه**]، لأنه وببساطة أرادهم أن يعيشوا مأساة الجزائر العميقة فعاشوا موزّعين على بيوتات الأهل طوال الثورة.

محامد الرجل في مجال الوطنية خاصة لا تعد ومناقبه أجلّ من أن تحصى فمن يعيد الاعتبار؟ ولمن يعاد الاعتبار؟.

أبعد ملحمة إفري البلح وغار علي بن عيسى، واجتماع قادة لهم ثقلهم السياسي في وادي عطاف تحت إشراف ابن بولعيد نفسه يتم التفكير في إعادة الاعتبار له؟

إنما الاعتبار يعاد لمن بقي محايدا بعيدا عن الإشراف خاضعا لاختبارات حاسمة إلى أن يتضح صدقه من عدمه.

نعود إلى وادي عطاف لمعرفة نتائج اشغال الاجتماع فنجد أن الأعمال قد انتهت، وأن القيادة بصدد التحضير لاجتماع موسّع آخر لقيادات الناحية الغربية، بعد أن توصلت إلى إصدار جملة من القرارات والتوصيات والتعيينات منها: * تعيين لجنة للقيام بالصّلح بين مجاهدي سوق أهراس بقيادة عثماني عبد الوهاب - عنصر قيادي وقائد ناحية -.

* بدء التحضيرات لمؤتمر شامل للثّورة في سوق أهراس لقربها من الحدود.
* اقتراح مناطق جديدة مع توسع نطاق الثورة وامتدادها جنوبا وغربا.
* تحويلات لبعض المسؤولين بسبب ضعف الأداء والتقاعس.

وهكذا تم القضاء على الفوضى التي سادت الثورة نتيجة اهتزاز الثقة بين العناصر المُسيِّرة والتعصّب للرّأي والاستبداد، مما أحدث هوة عميقة بين القيادة وبين بعض مسؤولي النواحي من جهة، وبين العناصر القيادية نفسها، فراح بعضهم يتطاول على القيادة العامّة وينتقد تصرفاتها، وبدأت ظاهرة التكتلات تبرز بشكل أو بآخر لدى بعض الأطراف، فأمست القيادة تشرف ولا تحكم.

اجتماع وداع

وفي نهاية هذا الاجتماع أعلن القائد ابن بولعيد عن قرار عقد اجتماع ثان بالجبل الأزرق يوم 22 مارس 1956م، يضم كافة قياديي الناحية الغربية للأوراس، وهكذا تحرّك مسؤولو الناحية الغربية تباعا وهبّوا لتلبية دعوة القائد، وكلّهم أمل في أن يتدعم المسار الثوري بنظام جديد يكون أكثر انضباطا وأشدّ تماسكا، حرصا منهم على مصلحة الثورة قبل كل شيء. فقد تزايد عدد

المتطوعين في صفوف الثورة أضعافا عما كان عليه الحال منذ سنة، وهذا يستوجب من القيادة أن تراجع مشكلة: التنظيم والهيكلة، التسليح، التأطير، التموين، التخطيط. ثم إعادة النظر في توزيع المجاهدين على نواحي اختل فيها التوازن بسبب الضغوطات القويّة للقوات الاستعمارية.

وهكذا توجه إلى الجبل الأزرق مكان اللقاء المرتقب كل من: أحمد نواورة، بلقاسمي محمد بن مسعود، عمار أمعاش، الطاهر أنويشي، الحاج لخضر، محمد الشريف بن عكشة، عبد الحفيظ طورش، مصطفى رعائلي، زيان عاشور، أحمد بن عبد الرزاق، أحمد عزوي، محمود بن عكشة، مصطفى بوستة، علي بعزي، عمر بن بولعيد، عمار بن شائبة. حيث بلغ عدد المجاهدين ممن كانوا في حراسة هؤلاء المسؤولين قرابة ثلاثمئة مجاهد. ولو حصل هذا الاجتماع لكان مؤتمرا كاملا لإطارات الثورة في الأوراس، نظرا للعدد المعتبر من المسؤولين ممن توافدوا إلى المكان لحضور الاجتماع. ويبدو من خلال التصريحات التي أدلى بها بعض المجاهدين أنّ الاجتماع لم ينعقد، ولعلّ بعض المسؤولين لم يصلوا بعد إلى المكان المحدّد.

تضاريس الموقع والطقس القارس جعلت المجاهدين يتوزعون على منحدرات الجبل ذات الطبيعة الصخرية وسط شعاب مكسوة بأشجار برية متنوعة، مشكلين حزاما أمنيا واقيا يحيط بمكان الاجتماع، بالتنسيق مع كتيبة من مجاهدي هذه الناحية بقيادة علي بعزي المكلف بالسهر على حماية الموقع وتأمين المكان.

معظم العناصر القيادية المدعوة للاجتماع لم تصل بعد إلى المكان، ولعلها مازالت بعيدة عنه، كل شيء يبدو عاديا، عدا غضب الطبيعة الذي فاق حدته هذه الليلة. القائد ابن بولعيد ومعه نفر قليل من المجاهدين من الفرقة الخاصة وبعض المسؤولين وسط دار لا تبعد كثيرا عن قرية تناثرت بيوتها في غير نظام على سفح الجبل وقد هُجّر سكانها قسرا مع بداية الثورة، وظلت بعض بيوتها قائمة رغم القصف الجوي لطيران الاستعمار، وكثيرا ماكان يلجأ إليها

المجاهدون في ساعة العسرة لاتقاء برد الشتاء القارس والاحتماء بها من العواصف الثلجية أيام الشتاء.

حركة دؤوبة من وإلى الدّار التي يوجد بها القائد الذي راح ينتظر وصول القادة المدعوين. ولعل بعض الجلسات الضيقة قد تمت مع مسؤولين آخرين.

نهــاية بطل

حوالي الساعة السابعة مساء يقبل علي بعزي - قائد ناحية، مكلف بالسهر على حماية وأمن المدعوين - وبيده مصباح وبطاريتان مسطحتان، تبعه عمار تلا له. في جانب من الدار يجلس ابن بولعيد يتفحّص الرسائل التي وجدت في الطرد مع الجهاز. علي بعزي يعطي القائد البطاريتين فيجيء في تلك اللحظة بالذات المجاهد رابحي الشريف - الذي أصيب بالصّمم التام في هذا الحادث - ليقف بباب الدار فيمنع راوي هذا الحديث المجاهد: مصطفى بوستة الذي كان خارج الدار من رؤية مصطفى بن بولعيد لحظة وضع البطاريتين وتشغيل الجهاز، لكنه ظلّ يتذكّر أنه وبعد لحظات قليلة هزّ الدار دويّ هائل، فتهاوت أركانها وانهار سقفها على من كان بداخلها واستوت على الأرض، وتعالى في الوسط غبار كثيف ملأ مجرى الوادي، كما تطايرت أعمدة البيت كالسهام في كل جهة تنعي للناس نهاية بطل كرّس حياته في خدمة وطنه وبذل من أجله الكثير. وبداية مسلسل جديد سادته الفوضى والعنف والصّراع على المواقع استمرّ سنين، فكان ذلك اليوم أشأم يوم في تاريخ الثورة في الأوراس. إذ سقط فيه قائد من قادة الثورة البارزين وركيزة من ركائزها الأساسية والضامن المعنوي لها، كما يصفه رفاقه في النضال: محمد بوضياف وعمار بن عودة، وهما من جماعة 22. سقط شهيدا ومعه عدد من خيرة المجاهدين الأوفياء ممن عشقوا الجزائر منذ الصّبا وهاموا بها في كل واد إلى أن أتتهم المنايا بين ثنايا هذه الأودية فسقطوا غدرا بواسطة جهاز ملغم نقل إلى مقر القيادة من قبل مواطن مناضل ثم

مجاهد اسمه "علي أوباشا"[1] على أصح الأقوال. ولم يشك أحد في حسن نيته اتجاه الثورة، غير أنها الحرب والحرب خداع.

هو جهاز شديد الحساسية ألقت به طائرة D. C 3 من علو شاهق بواسطة مظلة فوق قمم تامشط - سلسلة متفرعة من كتلة الجبل الأزرق الضخمة - الجهاز محفوظ بعناية، ملفوف في بطانية خاصة لتحول دون اصطدامه بأجسام صلبة تؤدي إلى إتلافه أو إتلاف أجزاء منه قد تحول دون تأديته لوظيفته، إنه جهاز راديو متطور أسقط قريبا من وحدة عسكرية فرنسية متمركزة في قمم تامشط لكن بدون بطاريات!.... وجد داخل طرد ومعه مجموعة رسائل موجهة للجنود الفرنسيين المتمركزين في عين المكان، أسقط الجهاز بواسطة طائرة خفيفة ظلت تحلق ساعة من الزمن فوق غابة تامشط وضواحيها وهي تمسك بهذا الطعم وتشده إليها بخيط رفيع لتغري المجاهدين بالاستيلاء على محتوياته، ثم تسقطه بعيدا عن مكان تمركز وحدة المظليين الفرنسية، تُسارع عناصر الوحدة للبحث عن الطرد لكن بعيدا عن المكان الذي سقط فيه، ثم تغادر المكان بسرعة قبل أن يعمَّ الظلام ولم تعد للبحث عنه لتفسح المجال للمجاهدين بالإستيلاء عليه، ومما يؤاخذ على جنودنا وقياداتنا هو.

كيف أن جنودا فرنسيين يتمركزون في موقع متقدم وأمام عدوّ يعترف قادتهم بشراسته وتطاوله... تأتيهم رسائل من ذويهم بما تحمله من مفاجآت وينشغلون بقراءتها وأصابعهم على الزناد، فهذه ليست من أخلاقيات الجند في زمن الحرب. تساؤلات كثيرة في هذا الموضوع توحي جميعها بأن مستوى اليقظة ودرجة الحذر عند جنودنا لم تكن في المستوى المطلوب، وأن عدونا كان يعرف عنهم ذلك. والطريقة التي حيكت بها العملية من طرف المخابرات الفرنسية لم تكن في غاية الدقّة والتمويه لو وجدت عند الذين عثروا على الطرد وتداولوه قليلا من الحيطة وشيئا من الحذر.

---

1) - استشهد مع ابن بولعيد كل من: - محمود بن عكشة - عبد الحميد عمراني - علي بعزي - محمد فضيل المعروف: بأحمد القبايلي.

كيف وصل الجهاز إلى ابن بولعيد؟

تتحدث بعض الروايات من أنّ قائد الناحية: علي بعزي، كان قد أشعر ابن بولعيد بوجود جهاز راديو ملفوف في بطانية عثر عليه من قبل مناضل معروف في الغابة وحمله إلى المجاهدين، هو الآن محفوظ في مكان ما. ولم يلبث أن أحضر هذا الجهاز وسلّمه إلى ابن بولعيد، فراح هذا الأخير يتفحّصه ويتحسّس أجزاءه في انتظار إحضار البطّاريات. فلمّا أحضرت البطاريتان قام بوضعهما بنفسه، ومن الكتّاب من بالغ في الوصف وأطنب في التمثيل، فراح يصف ابن بولعيد وهو يمسك السماعة بيده اليسرى ويدير القرص باليد اليمنى ويرهف السمع ويتلهف إلى سماع صوت من مصدر ما... بينما ذكر آخرون بأن ابن بولعيد فرح بالجهاز كثيرا لأنه كان يأمل في ربط منطقة الأوراس بالمناطق الحدودية وبالجنوب التونسي بواسطة شبكة من الاتصالات اللّاسلكية تضمن التغطية الإعلامية لأحداث ووقائع الثورة في الأوراس.

وأرى أنها مجرد تأويلات وظنون بعيدة عن واقع الثورة في تلك الفترة. فالجهاز إذا كان فعلا جهاز إرسال واستقبال، فلا بدّ من وجود جهاز آخر مثله، والإغراء لا يكون بنفس الطّعم في أكثر من موضع، بالإضافة إلى أن الأجهزة المحمولة يومها كانت لا تغطي أكثر من عشرات الكيلومترات فقط، ولها بطارياتها الخاصة، علما بأن سلاح الإشارة لم يظهر بين الوحدات كسلاح إلا بعد شهر أوت 1956، وكان ذلك في الحدود الجزائرية المغربية.

والمرجّح عندي أن يكون هذا الجهاز جهاز راديو (مذياع) الذي كان المجاهدون يتشوّقون لرؤيته ويتلهّفون لسماع الأناشيد الحماسية وأخبار الثورة في القنوات العربية وبخاصة تلك الحصص التي كانت تذيعها "صوت العرب من القاهرة" وبالذّات برنامج "هنا القاهرة - حقائق -. وهنا باريس - أكاذيب -". فكان لكلمة الجزائر التي لم يألفوا سماعها من قبل وقع خاص في نفوسهم، لأنها كانت تعبر عن انبعاث كيان موؤود، عن التحدي، عن العزّة، عن السيادة، عن كلّ كلمة تفيد معنى النبل والشرف والكرامة والسّؤدد، وكانت تثير في نفوسهم أحاسيس خاصة تفيض حبا وكرامة لهذا الوطن الجريح.

ناهيك عن سماع أخبار ضراوة المعارك وشدّة القتال واستبسال المجاهدين في صد هجمات العدو، فتلك صور لا تضاهيها صور أخرى في حياة المقاتل، ومصالح الاستخبارات الفرنسية التي كان يشرف عليها ضباط متخصّصون في الشؤون الأهلية ومكوّنون خصّيصا في هذا المجال يعرفون ذلك ولابدّ أن يجعلوا الطعم مناسبا للحاجة والرغبة.

غير أنّ المرء يقف حائرا متعجّبا عندما تصله أخبار كهذه، وإن كانت في معظمها مبتورة غير موصولة يسود جوانبها كثير من الغموض والتعتيم ويتساءل: هل كان ابن بولعيد على هذه الدّرجة من السذاجة والغفلة وهو المشهود له بحدّة الذكاء وقوة الفطنة؟ ألم يكن منذ شهور قليلة يوصي أصحابه في سجن الكدية بأن لا يلمسوا علبة سجائر ولا علبة سردين يجدونها في الطّريق، فقد تكون ملغّمة!؟ أم أنه كان على موعد مع القدر؟ - ولكل أجل كتاب -.

بلغ الخبر المجاهدين فتفرّقوا شَذَرَ مَذَرَ، وعاد كل مسؤول إلى مركز قيادته، وخلا الجو هذه المرّة نهائيا لأولئك الذين يريدون إدارة شؤون الثورة وفق ما تمليه عليهم أهواؤهم وعاد الصراع من جديد واحتدم بين القياديين، لكن بصورة أكثر حدّة هذه المرّة حيث أضيفت إلى أزمة التسيير السّابقة والتّطاول الحاصل والتعصّب للرأي والتكتل بين بعض العناصر أزمة أخرى زادت من حدّة الخلاف ومن عمق الهوّة وهي: **من قتل ابن بولعيد؟**، وانفلتت الأمور من جديد وعادت إلى ما كانت عليه، بل أعنف مما كانت عليه، وصار كل طرف يدّعي أنه الأكثر وطنيّة. فكان أوّل الغيث قطر ثم انهمر، فكانت البداية الاختلاف في الرأي ثم تجريد لعناصر متفرّدة عن وحداتها من أسلحتها، ثم سجن لأفراد لمدد معيّنة وإخلاء لمراكز تموين وإعدام لبعض المناضلين، فمواجهة مسلحة واقتتال ضار في أكثر من موقعة، وكان بأسهم بينهم شديداً طوال سنوات 1957م، 1958م - 1959م، إلى غاية سنة 1960م، ولا أبالغ إن قلت: لو أنّ هذه الجيوش التي بلغت مستوى لا بأس به من حيث التنظيم والتسليح والتجربة القتالية توحّدت

تحت قيادة واحدة لشلّت حركة القوات البرية الفرنسية تماما في الأوراس ورفرفت الأعلام خفّاقة في سمائه مع بداية سنة 1957م، ولكي نؤكد صحة زعمنا، ولا نُتهم بالغلوّ أو بالغرور، نحيل الكلمة إلى الجنرال "لافو" قائد إقليم قسنطينة العسكري فهو أفصح منّا لسانا وأعلم مكانا.

ففي تصريح أدلى به لمندوب صحيفة "الفيغارو" الخاص (سيرج غروسار) نشرته الصحيفة بتاريخ 1- 8 - 1956م يقول فيه:

"يعمل تحت قيادتي مئة وأربعة وستون ألفا من الجنود المدرّبين الأكفّاء وعلى الرّغم من ذلك، فأنا أشعر بالخجل عندما اعترف بأن هذا العدد ضئيل أمام قوّة الثوار في إقليم قسنطينة وحدها"[1] كان ذلك سنة 1956، وقد زاد عدد القوات الفرنسية بعد هذا التاريخ أضعافا عما كان عليه. وهذا لمواجهة بضعة آلاف من الثوار لم تتجاوز في أي سنة من سنوات الحرب 30 ألف مقاتل حسب اعترافات الجنرال «دوغول» في مذكراته «الأمل» الصفحة 60 - طبعة بيروت-منشورات عويدات -.

وقبل هذا الاعتراف المخجل بسنة كاملة نشرت صحيفة (L'information) (لانفور ماسيون) اليمينية بتاريخ 29 أفريل 1955م مقالا لمراسلها في الجزائر. اعترف فيه بقوة الثورة ونجاح عملياتها العسكرية، ومما جاء في هذه الصحيفة، ما يلي: "في الاجتماع الوزاري الذي عُقِدَ يوم الثلاثاء الماضي 27 أفريل 1955م في قصر الحكومة تحت إشراف رئيس الحكومة، تَبيَّنَ للمجتمعين أنّ الموقف في الأوراس ازداد خطورة عما كان عليه من قبل، وقد صرّح كل من "جاك سوستال" و"دييش" أن الثوار قد أدخلوا تحسينات على طريقة عملهم ونوع أسلحتهم ومعاشهم ومعلوماتهم...." وتقول ذات الصحيفة: "ورغم أن حالة الطوارئ التي أعلنت يوم 5 أفريل 1955م قد حسّنت الوضع كثيرا من الناحية القانونية بفضل الترتيبات السريعة التي يتّخذها المجلس الحربي.... إلّا أن هذا التاريخ يعدّ بداية لحملة الربيع التي شنّها الثوار في الجزائر. فمنذ هذا اليوم لوحظ أن الثوار برهنوا على وجودهم في كلّ يوم بحوادث دموية في داخل الأوراس ومن حوله،

---

1) - الثورة الجزائرية لـ: العماد مصطفى طلاس الصفحة 169.

وقد أخذوا يشنّون هجومات بأعداد من الأشخاص تبلغ أحيانا 150 شخصا، وكل هذه الحوادث الأخيرة تبرهن على مبلغ التناسق بين عصابات الثوار - كما تبرهن ويجب أن نعترف بالحقائق - يقول مراسل الصحيفة. على مبلغ قوتهم، مما يتيح لنا في الأخير أن نتبيّن الخطوط الكبرى لمشاريع الثوار[1].....''

مات ابن بولعيد، ففقدت الثورة في الأوراس بموته مادّتها الصّلبة، فقدت تلاحمها وتماسكها ووحدتها، فقدت رجلا كان العقل المنظّر والرّأس المدبّر لأكبر تنظيم تحدّى قوى الطّغيان.

رجل كرّس حياته في خدمة وطنه، أقبلت عليه الدنيا ضاحكة متدلّلة وهبته المال والجاه والسلطان، فأدبر عنها غضوبا وثائرا، لأن وطنه جريح وأرضه مسلوبة وشعبه ذليل. تجشّم الأخطار وتكلّف الأسفار وسار آناء الليل وأطراف النّهار.... أنفق ماله على الثّورة بسخاء وهي في مرحلة الإعداد والتحضير، فلما نفد ماله وصودرت شركته للنقل ورفضت الحركة الوطنية تمويل الثورة بالمال رهن نصف ممتلكاته لفائدة جبهة التحرير الوطني ليشتري بثمنه السّلاح للثورة.

تشرّد أبناؤه بين الأهل والأقارب وصار مثلهم مشرّدا ينام في الكهوف ويستظلّ بالصّخور. يأكل من ثمار النباتات البرية ويشرب من مياه ينابيعها الرّاكدة. يفترش التراب ويتدثر السحاب، وفي قلبه فسحة من الأمل في أن يرى ذات يوم وطنه المسلوب عزيزا مكرما، وشعبه المغلوب سيّدا محترما ودينه الحنيف ممجّدا ومعظما، وكانت تلك هي آمال السابقين الأولين من المجاهدين الأوفياء.

فالسيادة والحرية. هي منتهى آمال كل المجاهدين المخلصين والسّابقين الأوّلين من الوطنيين الشرفاء، ومن تبعهم بإخلاص وصدق إلى أن بزغ فجر الحرية وسطع نوره في هذه الربوع ممّن عرفوا ألوانا من المحن في سبيل عزّة هذا الوطن ومجده، ومن باعوا نفوسهم للّه بلا ثمن ففازوا بالشّهادة ونالوا شرف الدنيا وكرامة الآخرة.

---

1) - مجلة أول نوفمبر العدد 38 سنة 1979م الصفحة 39 تحت عنوان: الاعتراف بقوة الثورة لـ الكاتب: أبي هشام.

الباب الثالث

الفصل الخامس

من وضع الجهاز اللّغم؟ ومن المستهدف؟

تعدّدت الروايات في هذا الموضوع كثيرا واختلفت، والوضع في كثير منها واضح.

فمن قائل: إن عاجل عجول أحد قادة الأركان هو الذي أوعز إلى جهات معينة بصنع هذا الجهاز واستخدامه ضد ابن بولعيد، حسب رواية نسبت إلى المجاهد: محمد العيفة الذي فرّ معه من سجن الكدية بقسنطينة ورافقه إلى الأوراس، ومنها عرّج إلى سوق أهراس في مهمّة خاصّة ثم إلى تونس، حيث يقول: إن لجنة التقت بعلي الألماني - مجنّد ألماني فرّ من القوات الفرنسية - بتونس، وقال لها: أنا الذي وضعت القنبلة في الرّاديو بطلب من عجول، ولم يكن في نيّتي قتل ابن بولعيد. ولم يرد في حديثه تعريف بهذه اللّجنة، ومن هم أعضاؤها؟ وماذا كانت مهمتها؟ وأين التقت بعلي الألماني؟ ومتى؟ وكيف؟ ومن السائل؟ هذه الأسئلة كلها لا تشغل بال الرّاوي بقدر ما يشغله الحدث، وليس في هذه الرواية ما يدعو إلى الاعتقاد بصحتها والإطمئنان إليها، فهي لا تعدو أن تكون مجرّد شائعة انتشرت مثيلاتها خلال الثورة بين المجاهدين لأغراض مختلفة.

وهناك رواية أخرى تقول بأن مناضلا اسمه "علي أوباشا" وجد الطّرد ملقى في الغابة فقام بنقله إلى المجاهدين وهو لا يعرف ما بداخله، ولم يطعن أحد من المجاهدين في سيرة هذا المناضل الذي التحق بالثورة فيما بعد وعاش حتى شهد الاستقلال، ومضمون هذه الرواية ينسجم تماما مع مضمون رواية نشرها الكاتب الفرنسي "إيف كوريير" في كتابه "حرب الجزائر" حيث يقول مؤلف هذا الكتاب: "إن المتمردين ويعني بهم المجاهدين قتلوا خلال إحدى المناوشات النقيب: "كروتوف" العنصر الأسطوري من فرقة المغاوير. وكانت لهذا النقيب خِلالٌ جعلته محل تقدير واحترام الجميع فقرّرت مصالح الاستخبارات الفرنسية أن تثأر له، فقامت بصنع هذا الجهاز في مركز "سيركوت" بفرنسا، أين يتم تدريب الاحتياطيين لفيلق "اكسيون". وكان الجهاز في غاية الدقّة والإتقان يثير إعجاب كلّ شخص، لكنه لا يثير بالمقابل أدنى شكّ أو ريبة عند أكثر الناس حيطة وحذرا، إذ لم يكن يحتوي على قنبلة أو به مكان يصلح لوضع القنبلة بل

كان هو القنبلة وهو المادّة المتفجّرة، وينفجر بمجرّد أن يوصل بمصدر كهربي، وبه آلات وأدوات مما يحتاج إليه الشخص - وضعت للإغراء - (المؤلف)، ولا بدّ أن من يعثر عليه من المتمردين -يقول هذا الكاتب- سوف يقوم بنقله إلى القائد الذي يفترض أن يكون أوسع خبرة وأكثر دراية من الجند، وهذا القائد يفترض أن يكون: عاجل عجول أو شيحاني بشير أو مصطفى بن بولعيد، ومما يزيد من قيمة هذا الطرد هو أنه كان جهاز «راديو» متطورا ويعتبر غنيمة ضخمة للمحاربين الشاوية (الكلام لإيف كوريير)[1] بقيادة ابن بولعيد... «إن هذه العملية هي ثمرة محاولة محبوكة بإحكام من طرف المصالح الفرنسية الخاصة، وذلك لضرب رأس القيادة المستعصية في المنطقة المتمردة على فرنسا في الأوراس».

وبتاريخ 15 مارس 1956م قامت طائرة من نوع D.C3 بنقل هذا الجهاز في شكل طرد إلى حيث يعتقد وجود الفلاقة (المجاهدين) ومعه طردان آخران من الأرز - وضعا للتمويه - وكانت فرقة من الفيلق G. L. I، قد تمركزت في قمم تامشط - سلسلة فرعيّة من الجبل الأزرق - لتتابع العملية عن كثب وتساهم في تضليل المتمرّدين - ويعني بهم المجاهدين - فقامت هذه الطائرة بإلقاء الطردين المشتملين على الأرز فوق عناصر الفرقة، وعند إلقائها للطّرد الثالث الذي يحتوي على الجهاز - اللّغم - تظاهرت وكأنّ المظلة قد علقت بجسم الطائرة ولا تريد الانفصال عنها (والحقيقة يقول هذا الكاتب أن بداخل الطائرة شخص عميل يشدّ إليه المظلّة بخيط رفيع ليحول دون هبوطها). وظلّت الطائرة تحلّق في المجال الجوّي حيث عناصر فرقة GL1 أحيانا وخارج هذا المجال أحيانا أخرى حتى تتمكّن من لفت انتباه المجاهدين للطّرد المعلّق. فلما تبيّن له تحقق الهدف، قام بقطع الخيط الرفيع الذي كان يشدّ المظلة إلى جسم الطائرة، فانفصلت عنها - المظلة - وسقطت، لكن خارج نطاق تمركز عناصر فرقة GLI

---

1) - "إيف كوريير" يُجيد خلط السمّ في الدّسم، فهو يقول في غير هذا الموضع: الصفحة 41 من كتابه (زمن الفهود): «إن الشاوية يعتبرون أن كل من ليس منهم عدوّا لهم» ونحن نعذره على هذا الكلام ما دام أنه فرنسيّ وطرف في النّزاع، غير أن ما يجب أن يعلمه القارئ هو أن بعض سكان الأوراس عرب أقحاح امتزجوا بالسكان الأصليين وصاروا شعبا واحدا وعقيدة واحدة وفكراً واحداً وحلماً مشتركاً.

الفرنسية وهذا ما كانوا يريدونه، فتظاهر عناصر هذه الفرقة بالبحث عن المظلة المفقودة، لكن بعيدا عن المكان الذي وقعت فيه، - وهذا إمعانا منهم في تضليل المجاهدين - فلما لم يجدوا ضالتهم المزعومة يأمرهم النقيب قائد الفرقة بالكف عن البحث ومغادرة المكان لإتاحة الفرصة للمتمرّدين كما يصفهم للبحث عن الجهاز اللّغم، وفي الطريق يخبر عناصر الفرقة المدنيين بأن الطائرة قد ألقت بجهاز إرسال واستقبال متطوّر بواسطة مظلة فوق قواتنا لكنه سقط بعيدا، وكل شخص عثر على الجهاز وعاد به إلينا فسيمنح مكافاة جزيلة -كل ذلك من أجل إغراء المواطنين وتحفيزهم للإسراع في البحث عنه وإيصاله إلى المجاهدين- (المؤلف) تعود الفرقة بعد أن أفلحت في التمثيل إلى منعة لتنتظر النتيجة".

جزء هامّ من هذه الرواية للكاتب الفرنسي "إيف كوريير" ينسجم في مضمونه مع أكثر الروايات شيوعا في الأوراس، وهي أن مناضلا اسمه علي أوباشا عثر على جهاز راديو في الغابة وقام بنقله إلى المجاهدين في الجبل الأزرق وصادف عقد اجتماع بعين المكان تحت إشراف مصطفى بن بولعيد فقدّم له الجهاز، ولما حاول تشغيله انفجر وأودى بحياته. وثمة نقطة أخرى تتفق فيها هذه الرواية مع روايات أخرى لمجاهدين ممن عاشوا الحدث وهي المتعلّقة بوجود رسائل وضعت خصّيصا للتضليل وإيهام المجاهدين بأنّ هذه الرسائل موجهة إلى عناصر من تلك الفرقة التي أخذت موقعها في جبل تامشط. حيث تحدثت بعض الروايات من أن ابن بولعيد قرأ عدّة رسائل منها، قبل أن يؤتى له بالبطاريتين.

وهناك روايات أخرى أقل شأنا تقوم في مجملها على الظنون وعلى حسابات ضيقة وتفتقر عناصرها إلى الوحدة والترابط الموضوعي ولا تستند إلى أدلّة ملموسة أو بيانات محسوسة، يعتمد عليها الباحث أو يطمئنّ إليها القارئ وأحاديثها في الغالب مبتورة غير موصولة، تقوم على خلفيات سياسية أو تاريخية لا يقبل بها العقل السليم ولا المصلحة العليا للوطن، وهي لا تخدم في الأخير إلا الجهة التي قامت بحبك خيوط هذه المؤامرة الدنيئة.

وهكذا يظل موت هذا البطل لغزا من الألغاز يصعب حلّه - وإن كنت شخصيا أطمئن إلى ما جاء في كتاب: "حرب الجزائر لإيف كوريير" بشيء من

التحفظ - ومعادلة ذات أكثر من مجهول تثير الحيرة باستمرار عند أي كاتب أو باحث يريد معرفة الحقيقة الناصعة للتاريخ وللتاريخ وحده، فكلّما عثر المرء على حلقة ظنّ أنّها المفقودة سقطت منه حلقة أخرى فيعود للبحث من جديد.

المصادر الوطنية في الموضوع - أي التي تناولت الموضوع - معظمها مجلات وجرائد لا تخلو من استطرادات مملّة ومبالغات تسترعي انتباه أقل الناس فطنة، والمصادر الأجنبية - أعني الفرنسية - تستعرض الأحداث كأنها مسلسلات بوليسية ترسم مسارها كيف تشاء، وتضع نهايتها حيث تشاء، ولا تخلو من روح الانتقام والتشفي، ولا يصحّ أن تُعتمد كمراجع أساسية لعدم تجرّد أصحابها من الذاتية ومن النظرة الفوقية - أنا الأعلى -.

والاعتماد على الروايات وحدها غير كاف ولا تخلو هي كذلك من عيوب، لأن الباقين ممن عاشوا الحدث قليلون جدّا، وقد بلغوا من الكبر عتيا وضعفت حافظاتهم وطال بهم الأمد، رغم هول الموقف وجسامة الحدث الذي يفترض أن يظلّ حيّا ماثلا للعيان مهما طال بهم الزمن.

والمتفق عليه هو أن الذي صنع مجد الأوراس قد مات فعلا. مات وقد ترك خلفه ميراثا تاريخيا لا يُقدّر بثمن اسمه: **السيادة.**

مات البطل القائد وقد سقى بدمه الزكي هذه الأرض الطيبة، غير أن موته قد ترك في نفوسنا لوعة وحسرة شديدتين أليمتين، ظلتا تثيران فينا الحيرة باستمرار وتجعلانا نتساءل على الدوام.

1) - من صنع هذا الجهاز اللّعين؟ ..... دقّة صنعه توحي بأن ذلك قد تمّ في دولة متقدّمة في تكنولوجيا الاتصالات، إن لم تكن هي فرنسا صاحبة الشأن في القضية الجزائرية، فهي دولة أخرى كما أسلفنا تضاهيها من حيث التقدم الصناعي.

2) - لماذا ألقي الجهاز بالضبط فوق جبال تامشط وهي سلسلة متفرعة عن الجبل الأزرق.

أ) - هل كان ذلك لأنه المكان الذي قتل فيه النقيب "كروتوف"

ب) - هل كان ذلك بناء على معلومات استخباراتية كانت مصالح المخابرات الفرنسية تستقيها بانتظام من طرف عملاء لها. أو من طرف مجاهدين تم أسرهم، أو من قبل فرق للرصد تتمركز في قمم الجبال لمدد معيّنة.

أو عن طريق التصوير بواسطة الطائرات الاستكشافية، حيث يتمّ تحليل كل هذه العمليات في مكاتب الشؤون الأهلية وعلى ضوء النتائج تتخذ الإجراءات الحاسمة.

جـ) - هل كان ذلك بناء على معلومات بلغت مكاتب الشؤون الأهلية باحتمال عقد اجتماع لقيادات الناحية الغربية من الأوراس في الجبل الأزرق.

3) - كاتب "حرب الجزائر" "إيف كوريير" يقول: "إن الجهاز ألقي يوم 15 مارس 1956م والنقيب كروتوف قتل قبل ذلك بستة أيام فقط، فهل خلال الأيام الستة التي تلت مصرعه يتم التفكير في عملية الثأر وتتخذ التدابير اللازمة فيعطى الأمر على الفور إلى المركز المتخصّص في "سيركوت "بفرنسا ليصنع الجهاز على المقاس ثم ينقل من فرنسا إلى الجزائر ويحوّل إلى منعة "مقر فرقة التمثيل" فتخرج فرقة للرصد إلى جبال تامشط وتتم العملية وكأنها مسرحية جرت وقائعها على خشبة التمثيل.

4) - إذا كانت فرنسا قد آلمها مصرع النقيب "كروتوف" وفعلت من أجله ما فعلت، فماذا فعلت في حق جنرالات وعقداء وروادا سقطوا صرعى خلال حرب دامت سبع سنوات ونصف؟.

5) - فرنسا تعرف بوسائلها الخاصة أن مركز القيادة في كيمل والعناصر المستهدفة حسب "إيف كوريير" هم القيادة المركزية، وهذه القيادة إما أن تكون في المركز أو تكون غير بعيدة عنه، وتعرف أيضا أن هناك مراكز أخرى لقادة النواحي في جبل أوستيلي، أحمر خدو، القلعة، الجبل الأزرق، وفي كل مركز من هذه المراكز نوى صلبة للثورة. فلماذا يقع الاختيار على الجبل الأزرق؟.

6) - أنهى ابن بولعيد اجتماعه بوادي عطاف بتاريخ 13 - 3 - 1956م، وبعده بيومين فقط ألقي الجهاز - اللّغم - فهل هذا كلّه تمّ اتفاقا أوبمجرد صدفة؟

7) - هل كان غياب عاجل عجول عن الاجتماع، وهو العنصر المثقف ين المجموعة والسياسي المحنك الذي لا يُستغنى عن رأيه والعضو البارز في قيادة

الأركان، والذي تابع سير الأحداث خلال مدّة غياب ابن بولعيد مبرّرا ومقنعا؟ وهو الذي تجرأ وانتقد ابن بولعيد في مواقف خلال حوار له مع جمعية التراث والتاريخ منشور في كتاب ابن بولعيد والثورة الجزائرية. وكان هذا بتاريخ 3 - 9 - 1985م بمقر محافظة المجاهدين بباتنة. والذي يقول عنه المجاهد: مصطفى بوستة في حديثه مع نفس الجمعية، وقد نشر هذا الحديث في الكتاب المذكور أعلاه، يقول: "لما أخبرت عجول بهروب ابن بولعيد من السجن، قال: بعثته فرنسا جاسوسا!!!

8) - هل كان غياب جميع القادة البارزين المدعوين إلى الاجتماع لحظة وقوع الانفجار مجرد صدفة؟.

9) - هل كان ابن بولعيد الذي ظل طوال نشاطه السياسي حذرا. نجا من محاولات اغتيال عديدة، أفلت من مطاردات بوليسية كثيرة. تلقى تكوينا عسكريا خاصا في أشدّ الحروب هولا. دخل السجن خلال أدائه للخدمة العسكرية كاحتياطي.... زار أقطارا عديدة وقاد رجالا من مختلف المستويات رافع في محاكم متهما في قالمة، في تونس، في قسنطينة.... ظل يوصي أصحابه في السجن منذ شهور بأن لا يلمسوا شيئا مشبوها يجدونه في الطريق عند فرارهم من السجن المدني بقسنطينة، فقد يَكون ملغماً، هل كان ساذجا هكذا يؤتى له بجهاز راديو ملفوف في بطانية ألقت به طائرة من السماء فيعبث به كما يفعل الصبية بالدمى! فينفجر الجهاز ويموت القائد؟!.

كل سؤال يجرنا إلى سؤال مثله، وكل إجابة تخفي وراءها سؤالا يبحث عن إجابة تكون أكثر واقعية وأكثر موضوعية، الأمر يزداد غموضا وعتمة مع مرور الزمن. فالذين كانوا وراء الحدث مجهولين، والذين عاشوا الحدث لم يدونوا شيئا، ولعل هول الفاجعة وشدّة الصدمة وجسامة الحدث وسرعته أفقدهم الكثير من الصواب، حتى أن منهم من لا يتذكر حتى أسماء أولئك الأبطال الذين دفنوا تحت السقف المنهار، فنسوا حظا مما حدث ولا تحتفظ ذاكراتهم الساعة إلا بعناصر قليلة متفرقة ومتناقضة أحيانا، وإذا حاول المرء جمعها وفق تصور يراه ممكنا ومقبولا يوضح سيرورة الحدث وقع في المحظور بالنسبة إليهم، فهم يريدونها أن تظل كما هي، لأنه إذا عُرف السبب بطل العجب، ولن يسأل أحد بعده من قتل ابن بولعيد.

مات ابن بولعيد ورحل عنّا

* رحل عنّا، وقد خلّف وراءه سؤالا مفتوحا، وهو من قتل ابن بولعيد؟

* رحل عنّا، وترك خلفه إجابة صريحة وواضحة وهي أن موته خسارة تفوق كل تقدير.

* مات ابن بولعيد بعد أن ذاق ألوانا من المحن كان آخرها أن جاد بروحه الزكية في سبيل هذا الوطن. ولو قُدر له أن يعود إلى الحياة الدنيا لطلب الموت من أجله ثانية وثالثة ورابعة، غير أن سنة اللّه اقتضت أن يكون الموت ميتة واحدة.

* مات البطل بعد أن أذكى في قلب كل وطني مخلص شعلة من النضال لا تطفِئها العواصف ولا تخمدها الرياح.

* مات ابن بولعيد وقد ترك خلفه طيفا لا يثبت في مكان، بل يشغل كل مكان يؤرق دعاة الإدماج ويزعج أنصار التجنيس.

* مات البطل وقد سقى بعرقه ودمه هذه الأرض الطيبة وسيظل دمه هناك يفوح عطرا تتطاير منه شذرات تنطلق كالشهب نحو الفضاء لتعلم أجرام السماء أن في الأرض نجوما أيضا!.

* مات البطل وانطفأت بموته شعلة ظلت تتأجّج في ربوع هذا الوطن حينا من الدهر.

* مات البطل وقد مات قبله ومات بعده أبطال مثله من أمثال: زيروت يوسف، العربي بن مهيدي، ديدوش مراد، محمد بوضياف، كريم بلقاسم. وتركوا جميعا بين أيدينا وديعة كريمة اسمها "الجزائر" فهل سنكون أوفياء لحفظ الوديعة؟

ثبت المراجع

الكتــــب

- ابن بولعيد والثورة الجزائرية. لـ/جمعية أول نوفمبر لتخليد وحماية مآثر الثورة في الأوراس - دار الهدى - 1999م.
- الثورة الجزائرية - سنوات المخاض - لـ/محمد حربي. الطبعة الجزائرية السنة 1994م.
- استعمار إفريقيا. لـ/الدكتور: زاهر رياض. الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة- 1965م.
- ملحمة الجزائر الجديدة لـ/ المجاهد: عمار قليل. دار البعث قسنطينة 1991م.
- الثورة الجزائرية لـ/ العماد مصطفى طلاس. دار الشورى بيروت. 1982م.
- أصالية أم انفصالية للدكتور: مولود قاسم نايت بلقاسم المؤسسة الوطنية للنشر 1991م.
- الثورة في عامها الأول للدكتور العربي الزبيري و/ قسنطينة 1984.

مجــــلات

- مجلة التراث - لجمعية أول نوفمبر لحماية مآثر الثورة في الأوراس العدد الأول سنة 1980م.
- مجلة المجاهد الأسبوعية العدد 559 سنة 1971 الصفحة 25
- مجلة الجيش الشهرية العدد 142 سنة 1978م.
- مجلة أول نوفمبر - الأعداد: - 88 - 42 - 38
- مجلة آفاق عربية العدد 52 السنة 1974 الصفحات 40 وما بعدها.
- مجلات وكتب أخرى غير أساسية.

روايــات

- رواية المجاهد: علي عداسي
- رواية المجاهد: علي مزياني

فهـرس الصـور والـوثائق

مدينة الجزائر قبل الإحتلال 14
المرفأ يوم 5 جويلية 1830 15
داي الجزائر - حاج حسين 17
محمد علي سلطان مصر 17
الأمير عبد القادر 18
نص المعاهدة بين الأمير عبد القادر والجنرال دي ميشال 19
الحاج مقراني والشيخ بوعمامة 25
نماذج بشرية خلفها الاحتلال 26
الأمير خالد بن هشام 28
الحاج مصالي 29
من مجازر 8 ماي 1945 31
جماعة 22 أنصار العمل المسلح 38
القادة التاريخيون 40
خارطة مناطق العمليات 44
النص الأصلي لبيان أول نوفمبر فرنسية 45
النص الأصلي لبيان أول نوفمبر عربية 46
الدار التي طبع فيها البيان 46
مصطفى بن بولعيد القائد الرمز 48
رسالة الباشا آغا إلى المتصرف الإداري 54
مجاهدون ساعة لقاء 58
ابن بولعيد في ريعان الشباب 62
نقل السلاح 70
نموذج من قنبلة تقليدية 81
من مخزون الألغام التقليدية 82
المجاهد لخضر بعزي 82
مصطفى بن بولعيد بالزي العسكري 90
دشرة أولاد موسى مكان الاجتماع التاريخي 96

دار لخضر بعزي 96
توزيع العمليات ليلة أول نوفمبر 97
مخطط وطني لعمليات فاتح نوفمبر 1954 حسب مصالح الأمن الفرنسي.......... 99
رسالة تقويم العمليات من طرف بن بولعيد.......................... 100
قادة الأركان بالأوراس 102
مقطع من جريدة صدى الجزائر 107
منديس فرانس رئيس الحكومة الفرنسية عند اندلاع الثورة 107
فرانسوا ميتران وزير الداخلية الفرنسي.......................... 107
قادة الجمعيات والأحزاب السياسية سنة 1954 111
أصداء الحدث في الصحافة الفرنسية..........................113
مجاهدون في حالة تأهب 114
جبل اللّوح (مركز قيادة مؤقت) 123
مضايق تيغا نمين الشهيرة 130
المدرس مونيرو - في - وزوجته..................................127
مليشيات للمعمرين في الأوراس........................... 135
الجنرال بلونيس............................ 142
عمر مستيري رفيق ابن بولعيد في السفر........................... 150
الجنرال بلونيس وجنوده 153
استمارة بحث عن ابن بولعيد 155
خارطة تونس مسار ابن بولعيد 159
ابن بولعيد بين شرطيين فرنسيين في السجن........................... 162
نابليون الثالث........................... 168
جاك سوستال بطل مجزرة 20 أوت........................... 170
جاك سوستال في الأوراس........................... 171
ابن بولعيد في السجن........................... 179
الفارون من السجن رفقة ابن بولعيد 192
وحدة عسكرية فرنسية في قرية "مشونش" خلال عملية فيرونيك 1955 212

الفهرس

الإهداء 5
فاتحة الكتاب 7

الباب الأوّل

الفصل الأوّل 13
الاحتلال الفرنسي للجزائر 14

الفصل الثاني 27
ظهور الأحزاب السياسية 28
جماعة 22 أنصار العمل المسلح... 39
أعضاء لجنة التنسيق
والتنفيذ (تراجم) 41

الباب الثاني

الفصل الأوّل 47
مصطفى ابن بولعيد.....
أيّ رجل هو؟ 49
عاطفته الدينية 55
أي مدرسة كوّنت الرجل؟ 56
علمه 59
كل عظيم مدين لأمّته 60

الفصل الثاني 63
نشاط ابن بولعيد السياسي 64
مذهبه السياسي 66
نشاط ابن بولعيد العسكري
قبل الثورة 69
فراسته 74
دهاؤه وبعد نظره 76
احتواؤه لفريق الخارجين عن القانون ... 78
تنقلاته 81
رجل المهام الصّعبة 83
مشاركته في انتخابات
المجلس الجزائري سنة 1948م 86
تهديدات ومحاولات
اغتيال متكررة 88

الباب الثالث

الفصل الأول 91
إنتهاء العدّ التنازلي 92
أوّل الغيث قطر ثم ينهمر 94
تراجم لـ: قادة أركان
الثورة في الأوراس 102
مواقف الأحزاب السياسية
الوطنية من الثورة التحريرية 110
الحدث في الصحافة الفرنسية ... 115
أيّ صورة أعظم؟! 119
الحق أنطقه 122
تقويم العمليّات القتالية الأولى ... 123
تطورات وأحداث 134
المعضلة الكبرى 138
أسباب الاضطرابات 143
هل أصاب ابن بولعيد
في اختيار خليفة له؟ 145
الرّفيق قبل الطّريق 148

الفصل الثاني 151
رحلة بلا عودة 152
من كان الرفيق الصحيح
لابن بولعيد؟........ 160
الأسر........ 161
صدى اعتقال ابن بولعيد
في صفوف المجاهدين........ 165
صدى اعتقال ابن بولعيد
في الإعلام الأجنبي........ 167
الاستنطاق........ 169
الحكم - في تونس - 174
الفصل الثالث........ 177
نقل ابن بولعيد إلى قسنطينة 178
المحاكمة 178
في سجن الكدية........ 179
إنما البطل من يعرف كيف يموت 183
الفارّون من السّجن حسب
مصالح الاستخبارات الفرنسية 191
من صور التضامن والتحدي 194
الفصل الرابع 199
القائد يعود 200
معركة إفري البلح 209
اجتماع وادي عطاف........ 211
مقولة إعادة الاعتبار 213
اجتماع وداع 218
نهاية بطل........ 220
كيف وصل الجهاز إلى
ابن بولعيد؟........ 222
الفصل الخامس........ 227
من وضع الجهاز اللّغم؟
ومن المستهدف؟........ 228
مات ابن بولعيد........ 234
ثبت المراجع 235
فهرس الصور والوثائق........ 236
الفهرس 238

مؤلف الكتاب

مسعود عثماني من مواليد بلدية تيغانمين - دائرة آريس - ولاية باتنة، في 28 جويلية 1946م، درس في الكتاتيب القرآنية كبقية أبناء الريف وفيها حفظ القرآن الكريم.

عاش أحداث الثورة عن قرب وتفاعل معها وإن لم يساهم فيها لصغر سنه.

دخل الجندية في سن مبكرة وعمره لم يتجاوز 18 سنة، غير أن ذلك لم يحقق حلمه، فانصرف إلى الحياة المدنية من جديد واستأنف الدراسة في مدارس حرة، وما لبث أن تحصل على شهادة الأهلية أتاحت له فرصة الانتساب إلى سلك التربية والتعليم، فانخرط معلما مساعدا ثم مدرسا فمعلما متخصصا ومستشارا تربويا، ثم دخل أخيرا المعهد الوطني لتكوين إطارات التربية وتخرج منه بترتيب مشرف.

عمل مفتشا للطورين الأول والثاني في ولاية بسكرة مدة تقارب 10 سنوات، وبعد استيفائه للمدة المنصوص عليها في قانون التقاعد الجديد سنة 2000. اختار التقاعد وتفرغ للكتابة والبحث في التاريخ الوطني الحديث.

نشرت له - دار الهدى:

- كتابا في النصوص بعنوان: المفيد في المطالعة.
- كتابا حول السيرة الذاتية لشخصية الزعيم ابن بولعيد اعيد طبعه للمرة الرابعة
- الثورة التحريرية امام الرهان الصعب
- كتابا في التاريخ والاجتماع بعنوان: أوراس الكرامة.

ومجموعة من القصص والمسرحيات موجهة لأطفال التعليم الابتدائي.

المؤلف

ISBN 9947264614

9 789947 264614

http://albordj.blogspot.com